



الجزيرة

مجلة
فصلية علمية
دينية سياسية
تعنى بشؤون حوزتي
النجف الأشرف
وقم المقدسة

تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية



دعوة للكتاب

تود هيئة تحرير مجلة الحوزة ان ترحب بالأخوة والأخوات الباحثين والمتخصصين في الدراسات الدينية الحوزوية والذين يرغبون بنشر بحوثهم ودراساتهم العلمية والاكاديمية في مجلة الحوزة وفق المعايير التالية:

❖ أن تتناول البحوث والدراسات الشؤون الحوزوية المعاصرة وكل ما له علاقة بتطوير الحوزة والدفاع عنها وعكس صورتها المثلى

❖ تعتمد المجلة الأساليب العملية الراهنة في الكتابة والتوثيق والحيادية والموضوعية والدقة والإشارة إلى المصادر حسب القواعد العلمية المتعارف عليها.

❖ أن لا تكون البحوث قد نشرت في مجلات أخرى

❖ تقدم البحوث إلى المجلة مطبوعة وعلى (CD) مع موجز خالي من الأخطاء الطباعية.

❖ تخضع البحوث والدراسات إلى التحكيم العلمي المتعارف عليه أكاديميا ولا تعاد البحوث إلى أصحابها في حالة الاعتذار عن نشرها

❖ تنشر البحوث والدراسات وفق خطة هيئة التحرير والنشر

مجلة
علمية
فصلية

الحوزة

تصدر عن مركز الكندي للدراسات الحوزوية

العدد الثامن والثلاثون / السنة التاسعة / ١٤٤٤ هـ

المشرف العام

السيد قاسم هاشم مولى

رئيس التحرير

أ. عباس النوري

هيئة التحرير

حيدر النجار

إبراهيم الأسدي

التصميم والإشراف الفني

أحمد الهاشمي

أحمد الهاشمي

info@markazalhuda.net

www.markazalhuda.net

لا تمثل بالضرورة آراء الباحثين والكتاب رأي مجلة الحوزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

الامام الخامنئي عليه السلام

لا يمكن لأحد كتمان قوة البنية الشعبية للجمهورية الإسلامية

✍ في الفكر المقاوم

- ❖ جهاد التبیین في فكر الإمام الخامنئي
مقتطفات من كتاب جهاد التبیین ٩
- ❖ قراءة في نهج الإمام الخميني عليه السلام
د. نورة الهيدان ٣٩

✍ الأربعين الحسيني وقيم الشهادة

- ❖ الأربعين الحسيني خلود الشهادة والقيم الحسينية
إعداد: أ. ابراهيم الأسدي ٦٥
- ❖ الثورة الحسينية وزيارة الأربعين وأثرها الفكري والعقائدي في جهاد الحشد الشعبي
الدكتور خمائل شاكر الجمالي ٨٠
- ❖ دور الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية
الشيخ الشهيد مشتاق الساعدي ٩٩

❖ دور الزيارة الأربعينية في الإصلاح

الشيخ محمد رضا الساعدي ١٣٣

❖ زيارة الأربعين في ميزان النهوض الحضاري

الدكتور خالد عليوي العرداوي ١٦٣

✍ الدراسات الفكرية

❖ نقد المنهج القصدي في تفسير القرآن الكريم

الشيخ غازي عبد الحسن السمّك ١٧٣

❖ إشكالية التعامل مع السلوك الجمعي

أ. زهير الأعرجي ٢٠١

❖ إشارات الامام الرضا عليه السلام الاقتصادية

الشيخ إبراهيم حسين ٢٢٢

الإمام الخامنئي:

لا يمكن لأحد كتمان قوة البنية الشعبية للجمهورية الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التقى قائد الثورة الإسلامية، الإمام الخامنئي، مع رئيس الدورة الخامسة في «مجلس خبراء القيادة» وأعضائها، صباح اليوم الخميس ٢٣/٢/٢٠٢٣. في مستهل اللقاء، بارك سماحته حلول شهر شعبان والأعياد الشعبانية، ووصف مجلس الخبراء بأنه «التجسيد الحقيقي لامتزاج الجمهورية والإسلامية». وقال: «هذا المجلس منتخب من الشعب في ضوء تحقق السيادة الشعبية بمنتهى السلامة،

كما أنه متشكل من علماء دين ويظهر الجوهر الديني للنظام».

ورأى الإمام الخامني أن الموقعية والأهمية والحساسية لـ«مجلس خبراء القيادة» هي «أعلى من أي مركز ومؤسسة في النظام». وقال: «هذا المجلس هو الذي يعين القيادة وكذلك يضمن الوجود والاستمرارية لشروط القيادة عبر رقابته». كما رأى أن اهتمام الخبراء بمتابعة قضايا البلاد المختلفة هو «مطلب القيادة ومسألة صائبة»، مضيفاً: «الأهم بين المسائل كافة الاهتمام الجاد بالمسؤوليات الداخلية والخارجية لأعضاء "مجلس خبراء القيادة"».

وذكر سماحته أن استمرار النشاط لهيئة التحقيق لدى «مجلس خبراء القيادة» في المتابعة والحرص على «حفظ شروط القيادة وأداء المسؤوليات المدرجة في الدستور والواجبات الجازمة الأخرى للقيادة أمرٌ في غاية الأهمية». وقال: «أهم مسؤولية للقيادة مراقبة الحركة العامة وحركة الأجزاء المهمة في النظام والحفاظ عليهما في اتجاه الثورة كي لا تنحرفا عن المسار الرئيسي فلا تنحرف الثورة الإسلامية مثل سائر الثورات».

ووصف قائد الثورة الإسلامية العداوة لـ«مجلس خبراء القيادة» بأنه عداوة لمبدأ الجمهورية الإسلامية، موضحاً: «بعض العداوات مع الجمهورية الإسلامية مرتبطة بقضايا سياسية، ومواقفها من قضايا مثل فلسطين، لكن بعض العداوات هي مع النظام نفسه». وفي تبيين الأسباب وراء هذا العداوة، قال: «وقفت الجمهورية الإسلامية في وجه المعتقدين بالنموذج الغربي الذي يعارض أيّ تدخل للدين في القضايا الاجتماعية، وأمام قادة الديمقراطية الليبرالية الذين رسموا خطة الهيمنة على العالم خلف الراية الكاذبة للحرية والديموقراطية، فخطت خطتهم بوضعها السيادة الشعبوية والحرية إلى جانب الدين».

وقال سماحته إن الموقعية الثانية لأعضاء المجلس هي «مكانتهم العلمائية»،

مضيفاً: «البنية الشعبية القوية للجمهورية الإسلامية وعلاقة الشعب والنظام واعتمادهما على بعضهما بعضاً ثروة وطنية وحقيقة غير قابلة للكتمان ومنقطعة النظير، أو على الأقل قليلة النظير في العالم، وقد رأينا تجلياتها في قضية كورونا أو حضور الناس لمساعدة المتضررين في الحوادث الطبيعية».

في هذا السياق، رأى الإمام الخامنئي أن مسيرات «٢٢ بهمن» هذا العام هي تجلُّ آخر للبنية الشعبية القوية للنظام، وتساءل: «أين يوجد في العالم مثل هذا التجمع الضخم من أجل أمر سياسي، فيحضر الناس إلى الميدان كل عام بهذه الكثافة والتنوع في الفئات والأذواق، من كبار السن ذوي الظهر المنحني إلى الفتية اليافعين، وذلك على نحو متواصل طوال أربعين عاماً ونيف وفي ظروف مناخية صعبة في غالبية الأحيان؟»

واستنتج سماحته: «أتم حضور الناس الحجة الإلهية علينا نحن المسؤولين والعلماء، ولا يكفي أن نفخر بهذه الثروة الوطنية فقط، بل علينا أن نواصل الحفاظ عليها ونزيدها ونؤدي واجباتنا في هذا الصدد». كما قال إن «الثروة العظيمة التي تدفع التهديد، المتمثلة في البنية الشعبية، هي أمر حيوي للنظام»، مستدرِكاً: «يقع على العلماء، بغض النظر هل لديهم مسؤولية حكومية أو لا، واجبات ثقيلة لحفظ هذه الثروة العظيمة، وأهمها "جهاد التبيين"».

في الجزء الأخير من حديثه، شدد قائد الثورة الإسلامية على بثّ الأمل، مشيراً إلى أنّ سياسة العدو المستمرة هي بثّ اليأس. وهنا لفت إلى رسالة لمجموعة سياسية عام ١٩٩٠ إلى أحد المسؤولين، قائلاً: «حين لم يكن قد مرّ عامٌ على رحيل الإمام الخميني، وجّهت مجموعةٌ من الأشخاص رسالةً مليئةً باليأس، مفادها أن إيران وصلت حافة الانهيار والفناء!». واستطرد: «أولئك الذين هم أنفسهم وهوياتهم في معرض الفناء والخراب يرون كلّ مَنْ ينظرون إليه على هذا النحو،

على عكس من أذهانهم وقلوبهم مليئة بالأمل ويرون كل شيء مبعثاً للأمل». يُذكر أنه بداية هذا اللقاء قدم نائب رئيس «مجلس خبراء القيادة»، حجة الإسلام والمسلمين السيد رئيسي، تقريراً عن أجزاء العمل الثلاثة للاجتماع الرسمي الحادي عشر لهذا المجلس.

في الفكر المقاوم

مقتطفات من كتاب جهاد التبیین
من منشورات مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي .

جهاد التبیین

في فكر الإمام الخامنئي دائمة ظلة

عسكرية واضحة وقاسية وعنيفة لها
حكمها الخاص، لكن الحرب الناعمة
أكثر صعوبة في العلاج، وهي بمعنى
من المعاني أكثر خطورة من الحرب
الصلبة. يعمل العدو في هذه الحرب
الناعمة على أمرين: الأول قطع
سلسلة التواصل بالحق والتواصي
بالصبر والثاني إظهار الحقائق
معكوسة. إذ يطلقون لديهم الكثير من
الدعاية التي تصوّر - بسهولة - حقائق
العالم معكوسة كذبا وزورا. يُطلقون

جهاد الفكر هو أحد أنواع الجهاد؛
لأنّ العدو قد يستغلنا ويحرف فكرنا
ويدفعنا نحو ارتكاب الخطأ فأبياً
شخص يبذل جهداً لتنوير فكر الناس
ويحول دون الانحراف ويمنع سوء
الفهم، وحيث إنّ جهده هذا هو في
مواجهة العدو، فإنّ جهده هذا يُعدّ
جهاداً. وهذا هو الجهاد المهمّ اليوم.
يسعى العدو في الحرب الناعمة إلى
تحقيق هدفين.

من وجهة نظرنا توجد الآن حرب

بأنفسهم والردّ على هذا القصف المستمر منذ ست سنوات لكن بمجرد أن يفعل الطرف اليمني شيئاً ما للدفاع يعلو صراخ الإعلام لدى هؤلاء بأنّه «حدث هجوم أو عمل إرهابي» فيدين الجميع هذا العمل، وتدين الأمم المتحدة هذا العمل... فُبح عمل الأمم المتحدة حقاً أسوأ من فعل أمريكا في هذا الصدد أمريكا دولة مستكبرة وظالمة... لكن الأمم المتحدة، لماذا؟ هم لا يدينونها (السعودية) على ست سنوات من القصف، لكنهم يلومون اليمنيين عند الدفاع عن أنفسهم. هذا الدفاع صار فعّالاً ولذلك يلومونهم، والجميع يتهجمون عليهم. هذا مثال على الكذب.

أكبر ترسانة نووية في العالم هي في أمريكا أكبر ترسانة نووية! الآن ربّما لديهم الآلاف لا أدري من القنابل الذرية في مستودعاتهم، وقد استخدموا هذا السلاح... أي إنّ الدولة الوحيدة التي استخدمت القنبلة الذرية حتى الآن هي أمريكا

هذه الكذبة بجرأة وقاطعيّة إلى درجة يُخيّل فيها للذي يستمع لهم أنهم يقولون الصدق إنهم يقلبون الحقيقة ١٨٠ درجة بكل برودة وحسم وتأكيد على سبيل المثال، الحليف العربي لأمريكا يقصف الشعب اليمني المظلوم في المنازل والشوارع والمستشفيات والمدارس منذ ست سنوات إلى الآن ويحاصره اقتصادياً ويمنعه من الحصول على الغذاء والدواء والنفط. هذا حدث [ويحدث] بضوء أخضر من أمريكا. وقد كانت الحكومة الديمقراطية الأمريكية في السلطة آنذاك. لقد أعطت الضوء الأخضر، وللأسف هذه الدولة العربية القاسية القلب والظالمة تُعامل الشعب اليمني بهذه الطريقة. حسناً، هذا واقع القضية.

استطاع اليمنيون الآن، وهم حتماً أشخاص موهوبون جداً الشعب اليمني موهوب جداً بالاستفادة من بعض المواهب والإمكانات تحديث أو تطوير أو صناعة وسائل دفاعيّة

العراق وسوريا بينون قواعد عسكرية [ويقولون] إننا نريد أن نواجه «داعش». يضعون وسائل الإعلام الحديثة بتصرف «داعش» ويعطونه المال ويسمحون له بأخذ نفط سوريا وبيعه والاستفادة من أرباحه... وفي الوقت عينه: يقولون إننا نحارب «داعش». هذا ما يفعلونه إظهار ما هو خلاف الواقع.

يذكرون الحضور الإيراني في المنطقة بغضب وحقده ولماذا توجد إيران في المنطقة أي لماذا توجد إيران في سوريا والعراق وبعض الأماكن مع أن حضورنا ليس عسكرياً وحيثما كان هناك وجود لجنودنا، وقواتنا كان حضوراً استشارياً في بعض الأماكن، لا يوجد لنا حضور عسكري على الإطلاق. وهو مجرد حضور سياسي، فينظرون إلى الأمر بكل حقد على أنه مشكلة كبيرة تُسبب زعزعة الاستقرار في المنطقة وما شابه مع أننا نحن أهل هذه المنطقة وحيثما دخلنا، فقد دخلنا هناك دفاعاً عن الحكومة الشرعية،

وقتل ٢٢٠ ألف إنسان في ساعة واحدة في يوم واحد ومن ثم يصرخون قائلين: إننا ضد انتشار الأسلحة النووية، ويدعون «إننا ضد أسلحة الدمار الشامل». إنهم يكذبون أسوأ وأخطر أسلحة الدمار الشامل في أيديهم. لقد استخدموها، واستعملوها، لكنهم في الوقت نفسه يقولون إننا ضد أسلحة الدمار الشامل. أمريكا تدعم المجرم الذي يُقَطِّعُ معارضه بالمنشار إِرْبًا إِرْبًا - العالم كله عرف أن السعوديين أوقعوا بطريقة ما بأحد المعارضين وقطعوه إربا إرباً ثم تقول إنني مع حقوق الإنسان أي إنهم تقلب الحقيقة إلى هذا الحد وهذه الطريقة. أمريكا نفسها هي مَنْ صَنَعَ تنظيم «داعش» هذا ما أقرَّ به الأمريكيون أنفسهم ولسنا نحن من يقول ذلك بل قاله من صنعه والمنافس له في الانتخابات. قاله [المنافس] له في مقام التهجم عليه. كلهم أذعنوا واعترفوا بأن «داعش» من صنع أمريكا، ثم بذريعة وجود «داعش» في

سواء في العراق أو سوريا. كان هدفنا الدفاع عن الحكومة الشرعية ودخلنا بموافقة وطلب من هاتين الحكومتين إنَّهم يضحّمونه (الحضور) بهذه الطريقة في حين أنَّهم يدخلون معتدين إلى سوريا من دون إذن، فيحتلون منطقة ما، ويؤسسون قاعدة عسكرية، أو ينشئون قواعد في العراق إن قلب الحقيقة جزء من أعمالهم. وهذه هي الحال في المجالات جميعًا. بالتأكيد على الأمريكيين الخروج من العراق حتمًا، وهذه إرادة العراقيين وهذا قانونهم. يجب الخروج من سوريا عاجلا وفي أقرب وقت لذلك هذا هو عملهم.

التبيين الكاذب

لدينا موانع وعقبات خارجية أهم العقبات الخارجية بث اليأس والإيحاء بالعجز وما شاكل القول لا يمكن ولا فائدة من ذلك، ولا تستطيعون.

حاليًا يُبث وينشر الشعور باليأس والشعور بالعجز بشكل مستمر ودائم، وهناك حالات التبيين الكاذبة.

حيث يبينون ويشرحون بعض المسائل بخلاف الواقع ويحرفون الحقائق التاريخية والأمر لا يتعلّق بالحاضر، فمنذ سنين انطلقت حركة مؤذية لتلميع صورة النظام الطاغوتي البهلوي وليته كان شيئًا ممكن التنظيف والتلميع، لكنه لا يقبل ذلك نفس الذين يكتبون أشياء عن سيرهم الذاتية، مع أنهم يحاولون كثيراً أن يُبرروا، تصرّفاتهم إلا أنهم مضطرون في الوقت ذاته للاعتراف ببعض الأمور. نظام كان فاسدًا وضعيفًا وتابعا ومنحرفا وغير شعبي بشدّة وكان أفراده وأركانه بغاية الجشع، هل ترى يمكن الدفاع عنه؟ هل يمكن الدفاع عن هويدا؟ هل يمكن الدفاع عن محمد رضا [الشاه] من أجل أن يقولوا إنكم لم تشهدوا ذلك الزمان ثمة حركة تجري في هذا المجال وهدفها أن يقول الشاب اليوم «يا للعجب، لم يكن هؤلاء أناسًا، سيئين ولم تكن الأوضاع سيئة، إذًا لماذا قتم بالثورة؟». والأمر كله يعود إلى قضية

واليوم أيضاً سوف نتغلب عليه؛ سوف نتغلب عليه بلا شك، لكن هذا هو الوضع. [اليوم]. بتلك الإمكانيات الواسعة أهم ما يريد العدو القيام به هو تسويق صورة خاطئة عن الوضع في البلاد، ليس فقط من تضليل الرأي العام العالمي بل حتى من أجل تضليل الرأي العام داخل البلاد نفسها أي إنهم يتكلمون بطريقة تجعلني أنا وأنت ممن يعيش داخل هذا البلد نتصور شيئاً آخر غير الواقع الموجود هذه الحرب موجودة وقائمة بالتالي، وإذا لم نستطع لعب دور في هذه الحرب ولم نستطع النخبة لعب دور فيها فسيكونون قد تقاعسوا عن أداء واجبهم.

واجب الأمة الإسلامية كافة هو الكفاح من أجل التنوير هذا بالدرجة الأولى. فعلماء الدين مسؤولون والمثقفون مسؤولون والمتعلمون والدارسون مسؤولون وأصحاب المنابر مسؤولون مسؤولون أن ينوروا ويوضحوا ويبينوا حقائق ومجريات

التشكيك في الثورة. وهذه تحركات تُدار من الخارج. حسن، هناك أيضاً ما يصوره الأعداء. هناك الآن حرب إعلامية ودعائية حادة جداً تُدار ضدنا، وهي شبيهة تماماً بالحرب المفروضة. في الحرب المفروضة لم نكن نملك في بدايات الحرب حتى الـ آر بي جي. وقد تقدّمت أماننا وحدات مدرعة كبيرة واصطفت. كنت في الأهواز، وكانت وحدات العدو وألويته المدرعة تتقدّم الواحدة تلو الأخرى وكنا بحاجة [ماسة] للأسلحة مضادة للدبابات والسلاح المضاد للدبابات العادي الذي استخدمه الجميع كان الـ آر بي جي.

لم نكن نملك آر بي جي، إذ لم يكن سلاحاً رسمياً في الجيش لم نكن نمتلك حتى هذا الشيء، بينما كان العدو مجهّز بمختلف أنواع الأسلحة وصنوفها. وضعنا الآن كذلك؛ وإمكانياتنا الإعلامية الآن مقابل الأعداء مثل إمكانياتنا يومذاك مقابل العدو، بالتأكيد تغلبنا يومها على العدو،

والمرتبطة بأعداء البلاد والشعب دفعت الإمام كي يكون هو بنفسه بنحو دائم في موقف التبيين والإرشاد وهداية الشعب كما كان يوصي الآخرين أيضًا بأن يبينوا الحقائق للناس وأن يُعرفوهم بتلك التي يسعى العدو لإخفائها عنهم. وهذا ما يدفعنا كي نوصي باستمرار أصحاب البيان والقلم والمنابر المختلفة أن يجعلوا هدفهم وهمم التبيان الصحيح للحقائق.

يعمل العدو اليوم في النقطة المواجهة تمامًا لهذه النقطة الإسلامية الأساسية. فمنذ بداية الثورة، كانت إحدى أهداف العدو المهمة تحريف الحقائق والتاريخ. فعندما كان يظهر أحد الأفلام المأجورة التي تعتمد على تزوير حقائق الحرب والثورة والإسلام كتتم ترون الأصوات المهللة له من حول العالم. واليوم كذلك عندما يظهر في البلاد أشخاص يكتبون أو يُطلقون المواقف - إرضاءً للاستكبار وأعداء الإسلام وأعداء

العالم الإسلامي للناس الذين لا يعلمونها. هذا التنوير جهاد. فالجهاد ليس مجرد الإمساك بالسيف والحرب في ساحة القتال الجهاد يشمل الجهاد الفكري والجهاد العملي والجهاد التبييني والإعلامي والجهاد المالي لأننا لم ننهض اليوم بهذه الفريضة فريضة التبيين بصورة صحيحة ابتلي البعض بالضلال وراحوا يعملون ضد الإسلام وهم يظنون أنهم يعملون في سبيله. هذه الجماعات الإرهابية في منطقتنا.

أهمية جهاد التبيين

الميدان الرابع في ما خصّ اهتمام الإمام بالشعب هو ضرورة التوعية الدائمة له. فالإمام بنفسه في سنوات حياته الأخيرة كان يستغل كل فرصة من أجل تبيان الحقائق للناس. إن دور التحريف والتضليل في الأجهزة الدعائية العالمية هو دورٌ خطير للغاية، كان الإمام قد التفت إليه وسائل التواصل الفكري غير الموثوقة

وإذا رأوا تحريفًا في حقائق الإسلام والثورة وثوابتها فإن عليهم واجب التبيين ولا يجب السكوت في هذا الموقع. كان الإمام يلتفت إلى هذا الأمر كثيرًا. وهذا واحد هو من الأشياء المنضوي تحتها سر استحكام النظام وثباته ودوامه. أضف هنا أن بيان الحقيقة وإطلاع الرأي عليها أمر مهم ولا ينبغي أن يُنسى. ينبغي عدم ترك الجماهير في لجج الغموض. في قضية النبي المكرم عليه وعلى آله آلاف التحية والثناء أطلع الله تعالى الناس عن طريق هذه الآية، بمعنى أنه صرح بحقيقة القضية وأفهم الناس أن هذه الخطوة الخطيرة والمثيرة لسوء ظن الرأي العام بشدة والتي حصلت للرسول، إنما كانت من أجل هدم تقليد خاطئ في المجتمع بشكل عملي ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ ولقد أوجب الله عليه أن يفعل هذا كي يقضي على تقليد خاطئ يُعدّ المتبني كالابن الحقيقي مما يستتبع مشكلات عديدة في النظام

هذا الشعب التي تنطوي على تحريف الإسلام وتاريخ الثورة والشخصيات الثوريّة، ترون كيف أنّ أجهزة الاستكبار الدعائية تُهمل لهم وتقوم بتشجيعهم. التبيين هو موضوع مهم للغاية. والناس إنّما يتبعون آراءهم وأفكارهم. وإذا استطاع أحد ما تحريف الحقائق في أعين الناس فهو في الحقيقة يقود إرادة الناس وأعمالهم وقواهم نحو الضلال. وهذا ما يريده العدو اليوم إذا ما عمد أحد إلى كتابة أمور معادية للإسلام ومقدسات وجهاد هذا الشعب، وإذا ما أبدى أحدهم رأياً مخالفاً ومنتقداً لأعزّ أبناء هذا البلد أي الشهداء والمجاهدين في سبيل الله - إذا ما تكلم أو كتب أحدٌ أموراً ضدّ التعبئة والجهاد والشّهادة، سترون كيف ستُهمل الإذاعات والسياسيون والكتاب الأجانب له. إنّ كلّ الأشخاص اليوم سواء أولئك الذين لديهم تأثير كبير، أو المؤثرون بنحو أقل كالمدرسة والصف والجامعة والوسط العمالي وغيره - مسؤولون.

الاجتماعي وقتئذ. ولأجل هذا قدّم الله النبي قربانا للحقيقة لكنه دافع عنه وأطلع الناس ويّين لهم. إذن، يجب أن نعمل ونبادر ولكن علينا في الوقت نفسه عرض الحقيقة على الناس فمن دون عرض الحقيقة سيقى الرأي العام في الظلمات وفي أجواء الضبابية وسيستغل العدو ذلك.

التبیین أساس عملنا

التبیین هو أساس أمرنا وعملنا إننا في مواجهة مع الأفكار والقلوب، والقلوب هي التي يجب أن تقتنع. إذا لم تقتنع القلوب فلن تتحرك الأجسام ولن تعمل. هذا هو الفرق بين الفكر الإسلامي والأفكار غير الإسلامية. كنا جالسين في منزل أحد أصدقائنا في طهران قبل سنين من الثورة، وكان هناك أحد الشباب الذين نعرفهم، وكان من مدينة مشهد كنا نعرفه ونعرف والده كان من منظمة خلق ومن الذين ذهبوا إلى غابات الشمال وتخذقوا فيها للنضال دخل فجأة، ولم

أكن على علم بذلك. كنا على معرفة به، جاء وجلس ويبدو أنه جاء ليحصل من صاحب ذلك البيت على مساعدة مالية أو شيء آخر. قلتُ له ما الذي تفعلونه؟ فقال بعض الأشياء. قلتُ له إذا أردتم أن تنجحوا فالسبيل إلى ذلك أن تتحدّثوا إلى الناس وتبينوا لكي يعلم الناس لماذا تتجمعون في الشمال وتمارسون النضال المسلّح، ولماذا تقومون في المدينة الفلانية بالتحرك الفلاني مثلا، بينوا هذه الأمور لكي يعلمها الناس. حدثته عن التبیین قدرًا من الوقت. نظر إلى نظرة وهزّ رأسه - لم يكن ناضجاً كان أصغر منا بكثير، أي بنحو عشرة أعوام نظر نظرة كما ينظر العاقل للسفيه وقال: نعم، هذا هو فكركم الإسلامي، لكن فكرنا ليس هذا، أي أن التبیین غير ضروري. هذا الفكر الديالكتيكي القديم المتهرّئ الماركسي الذي تبين خطوه والذي سمعتُ أن البعض عادوا إليه في الجامعة يقول لهم: لا، إن مقتضى الديالكتيك ونتيجته هو هذه

واضحة فأوضحوها للطلبة الجامعيين. لماذا أصرُّ كل هذا الإصرار على أن العلاقات مع أمريكا يجب أن لا تكون حتى على مستوى المفاوضات باستثناء بعض الأمور المحددة المعينة التي تقتضيها المصلحة؟ ما هو السبب؟ لهذا سببه. والسياسيون حتى الميالون لأمريكا يؤيدون هذا السبب في بعض المواطن. قلتُ إن أحد هؤلاء السادة رؤساء الجمهورية في الفترات المختلفة كان يناقشني ويتحاور ثم معي حوارات متعددة حول هذه القضية في جلسات مختلفة، ذهب في المجلس الأعلى للأمن القومي وقال إن لفلان أدلة لا أملك لها جواباً. وكان على حَقِّ. لقد كان لديّ في رفض إقامة علاقات مع أمريكا أدلة لم يكن لديه أجوبة وردود عليها. كان على حق. الأدلة أدلة قوية وليست من النوع الذي يمكن إبطاله والردّ عليه بسهولة. فإذا توصلتم إلى هذه الأدلة، ويمكنكم التوصل إليها، فبينوها وأوضحوها. أنتم طلبة جامعيون

الحرب والمعركة بين العامل ورب العمل ولا ضرورة لأي تبين هكذا يقول لهم. لقد ثبت خطأ هذا بالتجربة تماماً. وعندما تأسست حكومة تبين بعد ستين أو سبعين سنة أنها خاوية من الأساس، انهار البناء برمته. ولا يزال البعض يراهنون على الحصان الخاسر كما يقول الأجنبي، عادوا ليراهنوا على الماركسية. لا، على حدّ تعبير ذلك الشاب نفسه والذي قتل بعد ذلك الفكر الإسلامي هو التبیین. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾. يقول الله تعالى: إِنَّ الرّسول له الا الله إن واجبك هو إيصال الكلمة. والفكرة يجب أن تبينوا وتقولوا كلامكم وآراءكم في قضايا البلاد المهمة في قضية الاقتصاد المقاوم، وفي قضية التقدم العلمي هذه هي قضايا البلاد المهمة وحول العلاقات مع أمريكا. هذه أمور غير واضحة بالنسبة للكثيرين وإذا لم تكن واضحة بالنسبة لكم أنتم المجاميع الطلابية في الجامعات فيجب أن توضّحوها لأنفسكم. وإذا كانت

تؤدي إلى صناعة خطاب وأفكار ومطالبات عامة وهذا شيء قيم جدا ويأخذ البلد إلى اتجاه محدد بالتأكيد لا بد من الاستمرار في العمل والاستقامة والتحدث بنحو صحيح، وقد يستغرق الأمر بعض الوقت.

التبيين منهج إسلامي

هذا ما سأستعرضه معكم بين قوسين أنتم الشباب الذين تشعرون بالمسؤولية وهو أن التبيين أمر مهم للغاية. في النضال الإسلامي، هناك أهمية قصوى للتبيين - تبيين الحقيقة وإيصالها الواقع التبليغ البلاغ ولا يجب تضييع هذا الموضوع. خلافاً للفكر الماركسي الذي كان رائجا في ذلك اليوم ولم يكن مؤمناً، بالتبيين بل كان يعدّ النضال سنة ستتحقق أردنا هذا أو لم، نرد تحدثنا عنه أو لم نفعل أي أن الجدل الذي قاموا بتفسيره وأشار إلى النضال لا يحتاج إلى التبيين في العام ١٩٧٠ كان هناك أحد الشباب المشهدين الذي يعرفنا مرتبطاً بهذه

وشباب ولديكم أفكار جيدة، والكلام الذي قلموه اليوم يجعلني متفائلاً تماماً، لا من حيث المحتوى والمضمون فهما كانا جيدين بدورهما لكنني أقصد شيئاً آخر بل من حيث إنني شعرت أن الأذهان نشطة تماماً، وهذا هو المهم بالنسبة لي. الذهن نشط والأدبيات المستخدمة جيدة، وهذا شيء قيم جداً. حسناً، ليعكف هذا الذهن النشط الفعال على إيجاد أدلة مناسبة لهذه القضية وليعمل على ترويجها ونشرها. لاحظوا هذه من جملة القضايا التي تحتاج إلى تبيين. أسلوب الحياة الإسلامية الإيرانية الذي طرحناه هو بالتالي أمر جدير بالدراسة فبينوه وعالجوه أنتم أنفسكم على الصعيد العملي وعلى الصعيد التبييني بالمسائل الثقافية. هذه من المسائل المهمة فبينوها. إذاً الواجب الثاني هو واجب التبيين. وهذا التبيين ممكن في الأجواء الجامعية الطلابية وخارج الأجواء الجامعية. وكما ذكرت يمكن التبيين في صلاة الجمعة وما شابه وهذه أعمال

أسلوبه وطريقته أم لا؟ نعم، وفعله الخاص. أحياناً إذا تفوّه شخص بكلام خاطئ نأتي ونرفع هذا الكلام الخاطئ في مئة مكان ونرفع الشعارات ونقول إن فلانا تفوّه

بهذا الكلام الخاطئ ليعلم الجميع بذلك. هذا هو الخطأ. إنني! أعارض أبداً العمل التنويري من قبل أي شخص أو أي مؤسسة، بل أرغب في ذلك وأؤمن به فالتبيين والتنوير أساسا من استراتيجيات عملنا منذ البداية. التبيين، ضروري ولكن هذا لا يعني أن نؤجج الخلافات الداخلية احذروا، وعلى الجميع أن يحذر من ذلك. إشعال الأجواء بين التيارات السياسية والسياسية والفكرية والسلائق المتنوعة ليس أمراً مناسباً على الإطلاق. وأنتم والحمد لله جميعاً من ذوي البصيرة والوعي، ولا شك أنكم مطلعون على التيارات وترون الآن الوضع القائم في البلاد حيث يتحدث هذا ضد ذاك وذاك ضد هذا، للأسف، وتفرح الأجهزة الأجنبية لذلك أيما

الأحزاب الشيوعية التي رفعت صرختها التقاني في أحد الأماكن وشرح لي أتمم يُودّون القيام بهذه الأعمال. أخبرته بأنه لا يُمكن القيام بهذه الأمور في هذه الأرضية الاجتماعية إنما عليكم التحدّث إلى النَّاس بنحو أكبر أن تبيينوا لهم، أن تُفهموا العالم ما تودّون القيام به. أجنبي بصلافة هذا الأسلوب هو أسلوب إسلامي. أجل، هذا هو الأسلوب الإسلامي فالتبيين هو الأسلوب الإسلامي وهذا الأمر هو ما دفع الثورة الإسلامية لتخطّي الأرضيات التاريخية وتجاوز العوائق التربويّة الخاطئة. بالتأكيد لم نتجاوز بعض الأمور، حيث لها دوافع أخرى كالأسلوب الاستهلاكي هذا والإسراف الذي تحدّثوا عنه والذي هو للأسف إرث ورثناه من العهد البائد ولا نزال نحفظ به.

إذا تكلم شخص بكلام خاطئ فهل يجب على المرء أن يرد عليه، هذا واضح للردّ على الكلام الخاطئ

هذا هو كلامنا ومنطقنا.

سبب الأهمية المتزايدة للتبيين في الجوالحالي

لقد يئس العدو اليوم من توجيه ضربة قاصمة للنظام الإسلامي لأنه يعلم أن هناك في الداخل قدرًا كافيًا من الدوافع والمحفزات والإيمان والصدق والجاهزية، لذلك فهم يائسون من أن يستطيعوا توجيه ضربة قاصمة لكنهم غير يائسين من أن يستطيعوا النفوذ. والتغلغل وأدوات النفوذ اليوم كثيرة. إثم يحاولون أن يربوا الشاب الإيراني ويُنشئوه بالنحو الذي يرتضونه هم فإذا ما نشأ الشاب الإيراني على النحو الذي يرضي الأمريكيين والاستكبار فإن أمريكا لن تعود بحاجة إلى الإنفاق لتنفيذ مخططاتها في إيران، فهذا الشاب نفسه سيعمل لهم كخادم لا يتقاضى أي أجر. يريدون تنشئة الشاب الإيراني على هذا النحو. بضعة أشخاص لا هوية لهم تحدثوا وتصرفوا بحيث جاء

فرح وتطلق تحليلاتها فتقول: نعم، ثمة خلاف بينهم وسوف يمحقون وقد محقوا يكررون أمانهم باستمرار. واضح أن هذه من نقاط ضعفنا. يجب أن لا نسمح لنقطة الضعف هذه بالاستمرار أو التفاقم ينبغي التنبه لهذه الأمور، فالحركة حركة رصينة وقائمة على الأدلة والوثائق. إذا كان بين البعض اختلاف في وجهات النظر فليعبروا عنها بالأدلة وقد ذكرت أنني أو من بالتبيين. وفي فترة النضال أيضًا كان اختلافنا مع اليساريين والماركسيين الذين يناضلون آنذاك حول هذه المسألة، إذ كنا نقول إنه لا بد من التبیین وهم لم يكونوا يؤمنون به ويؤمنون بشيء آخر ولديهم تفسير آخر عملية الثورة قامت أساسًا على التبیین والتنوير والبيان المنطقي والمبرهن والبعيد عن الضجيج. إذا انتشر الضجيج والصخب فسوف يفسد حتى الكلام المنطقي. قد يستقطب الضجيج بضعة أشخاص لكنه ينقر أيضًا بضعة أشخاص واعين

أمريكي إلى إيران قبل سنوات وحين عاد قال إن في إيران أشخاصًا يحملون السلاح وينتظرون أوامرنا ليطلقوا النار. كان قد شاهد بضعة أشخاص لا هوية لهم فانخدع. مشكلة الأمريكيين الكبيرة أنهم لا يعرفون بلادنا، ولا يعرفون شعبنا ولا يستطيعون معرفته مشكلة الاستكبار أنه ينظر إلى الظواهر أكثر و إلى الألوان والطلاءات الظاهرية، لكنه لا يستطيع مشاهدة الباطن. واقتداره اقتدار ظاهري على الأجسام فهم لا يستطيعون أن يفرضوا اقتدارهم الذي يرغبون فيه على القلوب. لقد أخطأوا، لكنهم غير يائسين من النفوذ والتغلغل فهم يريدون النفوذ، ويريدون استمالة القلوب وتغيير الأفكار.

هذا يلقي مسؤولية كبيرة على عواتق كل المخلصين للشعب الإيراني ومن يحملون هموم... البلاد واجب التبيين والإيضاح يقع اليوم على عاتق الجميع، بما فيهم أتم حين أشدّد كلّ

هذا التشديد على التبيين فالسبب هو أن هذا الجهاد الكبير منوط اليوم بالتبيين إلى درجة كبيرة. التبيين هو البيان والتنوير ولا بد من التنوير اليوم. حاولوا أن توصلوا الأذهان إلى أعماق الحقائق والأمور. يجب أن يحصل في الخطوة الثانية للثورة هو أولًا، معرفة ما نملكه والاهتمام به اهتمامًا جادًا. فيجب أن نعرف ما لدينا وما نملكه ونأخذه مأخذ الجد علينا أن نعرف مزايانا وطاقاتنا ومزايا البلاد وطاقاتها وننظر لها بجِد، ونستخدمها ونستفيد منها. ففي البلاد طاقات وإمكانات كبيرة جدًا. ثانيًا، أن نعرف الآفات والمفاسد ومنافذ الأعداء ونقف في وجهها بقوة ولتنتفتوا إلى هذا الأمر، وهو أن الغرب وأمريكا قد وصلوا إلى نتيجة مفادها أن الشعب الإيراني إذا أراد شيئًا فإنه سيحصل عليه بكل تأكيد، ووصلوا إلى نتيجة مفادها أنه لا يمكن محاربة الإرادة الوطنية للشعب الإيراني، فإذا ما أراد الشعب الإيراني شيئًا لن تنفع معه

ممارسة العراقيين ووضع العقوبات والصدود. فماذا يفعلون إذا؟ لقد توصلوا إلى النتيجة التالية وهي أن عليهم أن يفعلوا ما يجعل الشعب الإيراني يتخلى عن إرادته، وأن يضعفوا إرادته هذا ما يفكرون فيه. تنفق في العالم اليوم المليارات من الأموال من أجل التغلغل إلى المعتقدات السياسية والدينية للشبابنا، ولكي يسحقوا إرادة التحرك والنهضة فيهم. يريدون القضاء على الإرادة يريدون لكم أن لا تتخذوا القرارات مساعيهم منصبة على منع انعقاد إرادة الشعب الإيراني من أجل التقدم والمواجهة وتحقيق المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية هم يعلمون أن هذه الإرادة إذا ما تشكلت فسيحصل ما يريده الشعب بلا شك.

ينزعج أعداء الشعب من الشفافية الموجودة في الأجواء. فهم لا يتحملون الأجواء الشفافة، إنما يريدون الأجواء الملوثة بذلك يستطيعون الاقتراب من أهدافهم

وبالتالي توجيه ضربة لحركة الشعب الإيراني. الجو الملوّث هو الفتنة نفسها. فالفتنة تعني دخول أشخاص الميدان بظاهر الصداقة وبياطن العداوة، فيلونون الأجواء ويعكرونها. وفي هذه الأجواء يستطيع العدو الواضح والعلني أن يخفي وجهه ويوجّهه ضربته. وهنا يقول أمير المؤمنين: إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتبّع وأحكام تبتدع ويصل ليقول: فلو أن الباطل خلس من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو أن الحق خلس من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين. ثمّ يقول: ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن ذاك ضغث فيمزجان فحيثئذ يشته الحق على أوليائه. وهذه هي الفتنة.

حسنٌ ما هو الحل في مواجهة ظاهرة كهذه؟ يحكم العقل السليم كما يبيّن الشرع هذا الأمر بشكل قاطع الحلّ عبارة عن الصراحة في تبيين الحق الصراحة في إظهار الحق عندما ترون ظهور حركة بحجّة الانتخابات ثم

فلسطين وفي العراق وأفغانستان وفي الكثير من الأماكن الأخرى ليدخلوا الميدان ويتكلموا ويتخذوا المواقف حسن، يجب أن يكون موقف المسؤول في نظام الجمهورية الإسلامية واضحاً في مواجهة هذا الأمر، فيكون جاهزاً للتبرؤ فيقول إنني عدوكم وأنا أعارضكم. عندما يظهر في جو الفتنة أشخاص يُطلقوا مواقف معادية للإسلام والشعارات نظام الجمهورية ويُشككوا بتصرفاتهم وأعمالهم بجدواتية الجمهورية والانتخابات عندما تبرز هذه الظاهرة فعلى الخواص عندها أن يبينوا الحدود، ويُحددوا مواقفهم التكلم بوجهين الإعانة جعل الأجواء أكثر ضبابية هذه الأمور لا تساعد في رفع الفتنة ولا تساعد على الشفافية. الشفافية هي عدوة العدو ومعوق له الضبابية تساعده هذا الأمر بحد ذاته يُعدّ معياراً؛ فمن الذي يساعد على الشفافية ومن يُساعد على جعل الأجواء ضبابية. على الجميع أخذ هذا الأمر بعين الاعتبار وأن

يدخل العدو الميدان في هذا الجوّ الضبابي عندما ترون أن عامل العدو الذي يُفصح في كلامه وشعاراته عما في ضميره دخل الميدان، هنا عليكم أن تُحدّدوا الخط، وهنا يجب أن تتضح الحدود يتحمل الجميع المسؤولية هنا، والخواص بشكل أكبر، وبين الخواص، أولئك الذين لديهم مستمعون أكثر وجمهور أكبر. هذا: واجب يجب أن تتضح الحدود وما يجب النطق به؛ فلا يستغل الباطل الجو الضبابي ليُخفي نفسه في الساحات ويوجه ضربة لجهة الحق. وهنا على الخواص أن يُطلقوا كلاماً واضحاً وأن يبينوا الأمر بنحو واضح، لا أن يطلقوا مواقف تحمل أكثر من وجه.. وهذا الأمر لا يختص بتوجه سياسي محدد. فكل التوجهات تنضوي تحت لواء النظام الإسلامي. هؤلاء من يجب أن يُحددوا بنحو صريح ما إذا كان دعم مستكبري العالم هو أمر مقبول أم لا. عندما يأتي قادة الاستكبار قادة الظلم، محتلو الدول الإسلامية قاتلوا الأناص المظلومين في

يجعلوه معياراً.

التحليل السياسي السليم والمنشط والمربي للذهن أمرٌ مهم للغاية. فتربية الذهن أمر واجب الحقبة الصعبة التي تواجهها أي ثورة إنما هي الحقبة التي يمتزج فيها الحق والباطل. انظروا، لعل هذا ما كان يُبكي أمير المؤمنين ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولى الشيطان على أوليائه لم يكن هذا الأمر على هذه الشاكلة أيام الرسول. في أيام الرسول كانت الصفوف واضحة وصریحة في ذلك الطرف كان الكفّار والمشركون وأهل مكة. وكان المهاجرون يذكرون بدقة ماذا فعل لهم هؤلاء: فذلك الشخص ضربني في التاريخ الفلاني، وذلك سجنني، وذلك نهب أموالي وعليه لم يكن هناك من شُبّهة. وكان هناك اليهود الذين يعرف كل أهالي المدينة من المهاجرين والأنصار مؤامراتهم. دارت حرب بني قريظة، وأعطى النبي أوامره بقتل الكثيرين من هؤلاء لم يعترض أحد

ولم يسأل لماذا؟ لأن المشهد كان واضحاً ولم يكن هناك أي ضبابية فيه في جوّ كهذا كانت الحرب سهلة، كما كان حفظ الإيمان سهلاً كذلك. لكن من وقف في وجه عليّ عليه السلام في مدة حكمه؟ هل تخالون هذا مُزاحاً؟ هل تتصوّرون أن صحابياً كبيراً كـ«عبد الله بن مسعود» لا يبقى على ولاية أمير المؤمنين وأصبح من المنحرفين؟ «ربيع بن خثيم» وأولئك الذين جاؤوا في حرب صفين وقالوا إنهم منزعجون من هذا القتال وطلبوا السماح بالذهاب إلى الحدود والثغور وألا يدخلوا في الحرب. تذكر الرواية أنّه من أصحاب عبد الله بن مسعود وهنا تُصبح القضية أصعب.

عندما يشتد الضباب أكثر ندخل في عهد الإمام الحسن عليه السلام، وتعلمون ما الذي جرى فالضّ باب كان أقل كثافة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام. كان هناك أشخاص مثل عمّار بن ياسر الذي كان يُعد جهاز تبيين عظيمًا في عهد أمير المؤمنين أينما كانت تجري

أمر المؤمنين والذي توصلت إليه أن «التحليل السياسي» كان ضعيفاً. بالتأكيد كانت هناك أسباب أخرى في الدرجة الثانية. لكن هذه كانت المسألة الأساس. كان هناك الكثير من الناس المؤمنين لكن هذا الإيمان دفعهم في حرب الجمل إلى قتال علي وقتلوا. وعليه كان هذا التحليل خاطئاً.

قد يتوجب علينا تبليغ بعض الأمور لمدة معينة؛ فنحتاج مثلاً للحدّث عنها مدة خمسة أعوام أو عشرة أعوام، وبعدها قد لا نحتاج إلى ذلك على الإطلاق. ينبغي التخطيط لهذه الأمور. هذا ما نوصي به المبلّغين وطلبة العلوم الدينية والفضلاء دوماً؛ أن يرصدوا الاحتياجات ويتحدّثوا حسب احتياجات المتلقين واستفهاماتهم وأسئلتهم. لكن هذه ليست مهمة فرد واحد الأفراد قد يخطئون في معرفة الأمور وتقييمها أحياناً. هذه مهمة جماعة منظمة تقوم بتخطيط وبرمجة مدروسين. وهذا ما سيحدث إن شاء الله تعالى.

حادثة، كان عمّار بن ياسر وأشخاص عظام من صحابة النبي يذهبون للتحدّث فيها ويوجهون الناس فكان الضباب ينجلي أمام العديد من الناس. لكن الأمر لم يكن كذلك في عهد الإمام الحسن في مرحلة الشبهة وفي مرحلة الحرب مع الكافر غير الصريح تكون الحرب مع أشخاص يستطيعون أن يطابقوا شعاراتهم مع أهدافهم صعبة للغاية، ويجب الحذر فيها بطبيعة الحال نحن لسنا في مرحلة مُشابهة، فلا تزال الصفوف واضحة حتى الآن وما زال الكثير من المبادئ والحقائق واضحةً وجلياً. لكن لا يُمكن الإطمئنان بأنّ الأمر سيكون كذلك على الدوام. عليكم أن تتحلّوا بالوعي. عليكم أن تمتلكوا عين البصيرة. عليكم أن تعرفوا إن كانت سواعدكم وقوتكم بتصرّف الله أم لا. هذا الأمر يحتاج إلى بصيرة. عليكم ألاّ تستخفّوا بهذا الأمر. حدث أنّي أجريت بحثاً ودراسات واسعة حول السنوات الخمسة من عهد حكومة

أهم فترة وزمان ومكان يكتسب فيه التبليغ معناه هو موطن الفتنة. المشقة الأكبر في زمن صدر الإسلام وفي عهد الرسول الأكرم كانت مشقة المنافقين. وبعد عهد الرسول أي في زمن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام برزت مشاق كانت نتيجة اصطدام الحكومة الإسلامية بأشخاص يدعون الإسلام واستمر الحال كذلك في عهود الأئمة حيث كانت الأجواء أجواء ضبابية مغبرة. وإلا حينما تكون القضية قضية معركة بدر لن يكون الأمر صعباً. حينما كان المسلمون يحضرون في سوح الحرب ليقاتلوا أعداءً واضحين وواضح ما يقولون لم تكن القضية صعبة. القضية تصعب حينما يقف الإمام علي مقابل أشخاص يدعون الإسلام ويعتقدون بالإسلام لم يكونوا ممن لا يعتقد بالإسلام أو من المرتدين عن الإسلام لا كانوا يعتقدون بالإسلام لكنهم يسرون في الطريق الخاطيء وقد غلبتهم أهواؤهم النفسية. هذه أصعب المواقف التي

تضع الأفراد أمام الشبهات إلى درجة أن أصحاب عبد الله بن مسعود يأتون إلى الإمام علي ليقولوا له: «لقد شككنا في هذا القتال». لماذا يجب أن يشكوا؟ شكوك الخواص هذه تنخر أسس الحركة الصحيحة للمجتمع الإسلامي كما تفعل الأرضة. أن يشك الخواص في الحقائق الجلية لهو أمر يخلق المشكلات والصعاب لأساس العمل. هذه هي المشكلة التي واجهها الإمام علي وكذا الحال أيضاً حينما ننظر اليوم على مستوى العالم نرى أن الوضع على اليوم الشاكلة نفسها وكذا هو الحال على مستوى مجتمعاتنا الداخلي أيضاً. لا بد من التبيين والإيضاح على المستوى العالمي يستخدم الأعداء اليوم جميع الوسائل لتشويش أفكار عامّة أفراد البشر الشعوب خواصهم وعوامهم؛ مها أمكن ذلك ينبغي المرور على الأمور التي قالوها وقلناها وكررناها حول الثورة الإسلامية والإمام الخميني وتكرارها ثانية، لأن الحقيقة إذا لم تتكرر مراراً ولم تذكر بتفاصيلها

وخصوصياتهما فستكون هناك احتمالات لتحريفها على مر الزمن تعلمون ويعلم أكثركم أن هناك دوافع ونوايا لتحريف شخصية الإمام الخميني وتحريف الثورة الإسلامية التي كانت أعظم ميزة وإنجاز للإمام الخميني الجليل. علينا تكرار الحقائق التي قلناها بخصوص الإمام الخميني والثورة الإسلامية. يجب أن نقولها مرة أخرى ونكررها ونعيدها لنسد طريق التحريف على المحرفين.

كذا الحال بالنسبة للشرع المقدس وكذا الحال بالنسبة للحقائق التاريخية. لقد أمرنا أن نكرر الكثير من المعارف الإسلامية تلاوة القرآن على سبيل المثال يجب أن نكررها لكي لا تُمحي حقائق القرآن من أذهاننا أبدًا أو التاريخ الواقعي الصحيح يجب أن نكرره لو لم يبين شعبنا قضية عاشوراء هكذا طوال القرون المتتالية وبإصرار فلربما كانت هذه الحادثة المهمة قد فارت الأذهان أو جرى نقلها بنحو أضعف بكثير مما حدث على أرض

الواقع. حُبل خطابي وكلامي اليوم موجّه لكم أيها الشباب الأعزاء والسبب (أولا) هو أن الشباب لم يشهدوا مرحلة الملاحم الكبرى ولم يعيشوها؛ لم يشهدوا مرحلة انتصار الثورة الإسلامية ومرحلة الدفاع المقدس والتحركات العظيمة وحالات الجهاد الكبرى مقابل الساعين إلى التجزئة الشباب سمعوا بهذه الأحداث وهي تمثل لهم تاريخًا. لذلك من اللازم أن تُوضّح وتبين هذه الأمور لهم أكثر. ثانيًا أذهان الشباب مستهدفة بعمليات تحريف المحرفين. إنهم يريدون في الوقت الحاضر أن يعملوا على أذهان شبابنا أكثر، يريدون الحؤول بين جيل الشباب الواسع في البلاد وبين أن يتعرف على الحقائق، لذلك فإنّ خطابي اليوم موجه للشباب.

تيار تحريف الحقائق بموازاة الحظر
بموازاة الحظر الاقتصادي هناك عملية تحريف الحقائق والعمل على

التأثير في الشعب الإيراني في التلفزيونات والإذاعات الموجهة التي يديرها حتمًا يومذاك كانت وسائل التواصل الاجتماعي محدودة وليست على هذا النحو من التنوع الموجود - اليوم- وأن يُفهمهم أنكم تعيسون، وأوضاعكم سيئة، وأموركم قد انتهت ولن يستطيع أحد أن يمد يد العون إليكم وغيرها من الترهات كان هدفهم منذ بدايات الثورة حتمًا في الأيام الأولى كانوا لا يزالون في حال من صدمة لكن بعد أن عاد إليهم وعيهم شرعوا في حرب دعائية ضدّ البلاد أن يقولوا للشعب الإيراني إنك بقطع علاقاتك مع أمريكا، تلك العلاقات الاستعمارية التي كانت قائمة زمن النظام البهلوي، تكون قد حكمت على نفسك بالهلاك. هذا ما كانوا يسعون إليه، آنذاك واليوم الوضع هو نفسه، فهم يسعون بمئة وسيلة ولسان أيضًا إلى إظهار أن الأوضاع في إيران سيئة. وإن كان هناك نقطة قوة في البلاد ينكرونها

قلبها سواء الحقائق في بلادنا أو الحقائق المرتبطة ببلادنا. هذا الأمر من ضمن ما يعملون عليه أيضًا، والهدف منه تحقيق أمرين: الأول توجيه ضربة إلى معنويات، الناس حيث سأحدث الآن عن الطريقة التي سيجهون بها هذه ضربة والثاني إطلاق عناوين غير صائبة لإنهاء مشكلة الحظر التحريف يجري ضمن هذه المجالات ولتحقيق هذين الهدفين. هناك أموال طائلة ينفقونها لتحريف هذه الحقائق. لاحظوا الآن كيف أن رئيسهم ووزراءهم مستميتون في السفر والتنقل من هنا إلى هناك، ويتكلمون ضد إيران ويعقدون اللقاءات، الصحافية ويقحمون اسم إيران في كل قضية في الحقيقة كل ما يفعلونه هو حملة لتحريف للحقائق. أما المسألة الأولى، وهي سياسة إضعاف معنويات الناس والحركة والنشاط والأمل لديهم، فكانت موجودة منذ بداية الثورة. كانت هذه هي المنهجية الثابتة التي تبناها العدو أن يحاول

المحسوبين على خط معين حتى ينتشر وتمتلئ به مواقع الإنترنت أو تنقله وتسלט عليه الضوء إحدى الصحف المحلية. للأسف، يوجد لدينا من هذه الأمور في الداخل.

في القسم الثاني أي إطلاق عناوين غير صائبة، يقولون على سبيل المثال: إن كنتم تريدون الخلاص من الحظر، فعليكم أن تراجعوا أمام أمريكا. خلاصة كلامهم في هذا الإطار هو أن عليكم أن تقدموا التنازلات لأمريكا، وأن تكفوا عن المقاومة. سأحدث عن هذا الموضوع بتفصيل أكثر لاحقاً. هذا عن موضوع التحريف بالتأكيد لا بد هنا من الإشارة إلى أنه نعم سيقع البعض تحت تأثيرهم وسيكرر كلامهم، سواء في تضخيم نقاط الضعف الموجودة في البلاد، أو تهميش نقاط القوة والتقدم وتصغيرها أو على صعيد إطلاق العناوين غير الصائبة. نعم، هذا الكلام سيؤثر في البعض، لكنه لن يؤثر في غالبية الشعب الإيراني، لأن أكثر شعبنا يعرف

مطلقاً، أو يلزمون الصمت حيالها. هناك الكثير من الأعمال الجيدة التي تنجز في البلاد، لكن تعكس في وسائل الإعلام الأجنبية أبداً. وأما إن كانت هناك نقطة، ضعف فيعرضونها مضخمة عشر مرات، وأحياناً مئة مرة. لماذا يفعلون ذلك؟ كي يضعفوا معنويات الناس ويسلبوا الأمل منهم، ولا سيما فئة الشباب، لأن الشاب عندما يكون مفعماً بالأمل، يصير تحركه استثنائياً. فالشباب هم السباقون والرواد دائماً، وإذا سلب الأمل منهم يتوقفون عن الحركة مثل السيارة التي ينتهي وقودها هو هدف الأعداء: إنهم يريدون أن يزرعوا اليأس والإحباط في نفوس شبابنا، أن يسلبوهم الحركة والنشاط، وأن يفقدوهم دورهم الريادي والطلائعي والسباق. هذا هو هدفهم، وسيترك أثره بالتأكيد في البعض. للأسف لدينا في الداخل أشخاص يكررون كلام العدو نفسه. ما إن يسمع الإنسان خبراً أو تصريحاً لأحد السياسيين

التطرف والتمادي وبلغته صحيحة ولسان علمي منطقي وباللسان الطيب أي بالتي هي أحسن. بهذه الوسائل يجب نقل هذه الأفكار والنقاط وانتقالها.

كل ما نقوله اليوم عن المستقبل هو في الحقيقة رؤية وكلام وإشارات لفترة زمنية تحصّكم أنتم ووجودكم الحقيقي في تلك الفترة هو الذي سيحسم الأمور ويعالج القضايا هذا الموضوع الذي يستشرف المستقبل هو شعار العقد الرابع للثورة الذي دخلنا فيه: التقدم والعدالة. لقد أعلننا أنّ هذا العقد هو عقد التقدم والعدالة. بالتأكيد بمجرد الإعلان والكلام العدالة والتقدم لن يحصلوا، لكن التبیین والتكرار وترسيخ الهمم والعزائم يساعد في حصول التقدم والعدالة. أردنا تحويل التقدم والعدالة إلى خطاب وطني في العقد الرابع. علينا جميعاً أن نطالب بهذا الشيء ونريده فما لم نرده لن يحصل التخطيط والبرمجة والعمل والتنفيذ وسوف لن

أمريكا، ويعرف عدوّه جيّداً، ويعلم أنه يكذب، وأنّ كلامه مغرّض. لذا فإنّ عملية التحريف ستبوء بالفشل؛ لأنّ الحرب على هذا الصعيد هي حرب إرادات، وعندما تُلحق الهزيمة بعملية التحريف، ويحافظ الشعب الإيراني على قوة إرادته وثباته يقينا سيقهر إرادة العدو، وسينتصر.

آثار وثمار التبیین

١. صناعة الخطاب بهدف إيجاد فكر

وتحوّله إلى مطلب عام

النقطة الأخيرة هي صناعة الخطاب هذه النقاط التي ذكرناها ليست مجرد نصائح وهموم تتداولها بيننا وتقولونها أنتم فأستمع، أنا وأقولها أنا وتستمعون أنتم، إنما ينبغي أن تتخذ هيئة الخطاب. والخطاب معناه والاعتقاد العام أي الشيء الذي يتحوّل إلى كلام ورأي مقبول لدى العموم ويهتم به الناس وهذا ما يتحقق بالكلام والتبیین اللازم التبیین المنطقي والعلمي والبعيد عن أنواع

أهل البَصْرِ والبَصْرِ والعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ... في الخطبة ١٧٣ من نهج البلاغة.

حسنًا، إذا وُجِدَت هَاتَانِ، الخاصيتان لن ينتصر العدو إحدى الطرق التي يُمكن الحفاظ بها على هاتين الخاصيتين في المجتمع هي «التواصي»، الموجودة في سورة العصر: ... وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ. فليتواصَّ الناس فيما بينهم. هذا يحفظ الجميع. إذا كان هناك تواص بالصبر وبالحقَّ وكان هناك بصيرة في المجتمع، فلن يقع هذا المجتمع بسهولة ضحية لمؤامرات العدو لكن إذا انقطع تيار التواصي وهو سلسلة الحماية للمؤمنين ستكون هناك خسارة، بالتأكيد. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. إذا لم يحدث هذا التواصي سيكون الضرر حسنًا، العدو يستهدف هذا العامل المهم.

نصل إلى النتيجة. يجب تبين المسألة. كما قلنا فإن الأمر لا ينتهي بهذا الكلام ينبغي التدقيق والمتابعة. والبحث لبحث الجامعيون في هذه القضايا وليشر حوها علميًا وليقدموا نماذج علمية لنستطيع تحويلها إلى خطط وبرامج تطرح في الساحة حتى يشعر الشعب في نهاية الأعوام العشرة هذه بأنه حقق تقدّمًا حقيقيًا.

الحفاظ على سلسلة التواصي بالحق

هناك عنصران مُهمّان لمواجهة هذه العداوات أوصيت بهما دائماً والآن أوصي بهما أيضًا هناك خاصيتان ضروريتان في كل فرد، إحداهما البصيرة، والثانية الصبر والاستقامة فإذا كان هذان العنصران، موجودين لا يُمكن للعدو أن يفعل شيئًا، ولا يُمكنه أن يوجه أي، ضربة ولا تحقيق أي نجاح في مواجهة النظام الإسلامي البصيرة والصبر. وهذا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا يحِملُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا

یحدث هذا عندما یعدم التواصي وبالتأكيد عندما يحدث ذلك، تتضاءل الآمال وتقل الشجاعة وتضعف الإرادة وبالتالي تصیر الأهداف السامیة، والعالیة، قهرا وبنحو تدریجی بعیدة المنال، باهتة وتقع طی النسیان. لذلك، یجب الا یسمح ضباط الحرب الناعمة بحدوث ذلك. قُلْتُ ذات مرّة إن شبابنا هم ضباط الحرب ألا یجب یسمح الشباب بحدوث مثل هذا الشیء، بل یجب أن یخلقوا الأمل، وینبغی أن یتواصوا بالمشابرة، وأن یتواصوا بالنشاط وأن یتواصوا بالبعد عن الشعور بالتعب. هذه هی الأشياء التي تقع علی عاتق شبابنا الذین قلنا إثم ضباط الحرب الناعمة... یجب أن نعلم أنّ علینا إزاء هذه الأمانة الثقیلة التي ألقنتها الثورة الإسلامیة علی كاهلنا وعلی أكتاف الشعب الإیرانی، وإزاء الطریق الذی فتحتة أمامه إلى السعادة واجبات من هذه الواجبات هذا التواصي بالحق، والصبر ومعرفة العدو ومواجهته

یسعی العدو فی الحرب الناعمة إلى تحقیق هدفین من وجهة نظرنا - یوجد الآن حرب عسکریة واضحة وقاسیة وعنیفة لها حُكْمها الخاص، لكن الحرب الناعمة أكثر صعوبة فی العلاج وهي بأحد المعانی أكثر خطورة من الصلابة - إذ یعمل فی هذه الحرب الناعمة علی أمرین: الأول قطع سلسلة التواصي بالحق والتواصي بالصبر والثانی إظهار الحقائق معكوسة ولدیهم کثیر من الدعاية التي تصوّر - بسهولة - حقائق العالم معكوسة كذبا وزورا لكن قطع سلسلة التواصي بالحق والصبر بین المؤمنین قطع تیار التواصي شیء خطیر أن یعملوا علی جعل المؤمنین لا یتواصون فیما بینهم فلا یحفظ أحدهم الآخر، ولا یزرعون الأمل فی نفوس بعضهم البعض... هو أمر خطیر للغاية، [خاصة] إذا ما حدث انقطاع فی تیار التواصي فی المجتمع. هذا یجعل الناس یشعرون بالوحدة وبالیأس وبضعف وبتضاؤل الأمل، وبفقدان الجرأة علی الإقدام

ورائجاً، وهو ما لا يحدث من تلقاء نفسه ويتطلب سعيًا. الآن سأقدم مثالين أو ثلاثة في هذا الصدد.

لنفترض مثلاً قضية كورونا الأخيرة. إن مفهوم «المواساة» مفصلي في المجموعة والمنظومة القيمية والمعرفية للإسلام، إذ إن هذا المفهوم وبقدر من التبيين في المجتمع، خلق نهضة في هذه الأيام نهضة المساعدة، الإيمانية فحدث عمل عظيم هذا يعني أن الناس نقلوا «المواساة» من موقع المفهوم المعترف أو القيم شرعاً، الذي تقبله الجميع إلى مرحلة العمل. ورأيت مقدار العمل الذي أنجز في أنحاء البلاد، والقيمة التي خلقها ما فعله الشباب والناس والمجموعات وأجهزة الدولة والأجهزة المؤسساتية الثورية. انطلقت حركة، وحدثت نهضة وفُكَّت عُقْد، وانطلقت أعمال. ذلك يعني أنه كانت لمفهوم «المواساة» هذه المرونة، وكانت لديه هذه القابلية للتأثير بهذه الطريقة، وللتأثير في المجتمع.

ورفض الاستسلام له وتجنّب الثقة بهذا العدو الغدار.

٣- جعل المعارف عملية

من الاحتياجات التي هي مورد ابتلاء للمجتمعات الإسلامية والبلاد الإسلامية كافة وهم بحاجة إليها خاصة بلدنا العزيز الذي يدار من خلال النظام الإسلامي بحمد الله أن نأخذ المفاهيم الإسلامية إلى مرحلة العمل والتطبيق العملي. إن المنظومة المعرفية والقيمية للإسلام هي مجموعة من المفاهيم التي يعدّ إدخالها بين الناس وجعلها موضع التطبيق العملي مهمة كبيرة ومهمّة للغاية، وأينما أدينا هذا الفعل بشأن أي من هذه المفاهيم كانت ذات قيمة للشعب والبلد ولسمعة الإسلام والجمهورية الإسلامية وأينما غفلنا حُرْمنا منها في الواقع، إن ما أريد قوله هو إنّ العناوين والمفاهيم المعرفية للإسلام يجب أن يكون لها بعد عملي وترجمة عملية، ويجب أن يصير بها ممكناً

لنذهب أبعد من ذلك. هذه المفاهيم المهمة التي استخدمها الإمام [الخميني قدس مثل التوكل، والتكليف، والإيثار وحتما كلها مفاهيم شرعية - إلى مفهوم الشهادة والجهاد... أثرت بحضور الإمام وحركته وبتبيينه وإرادته التي كانت مؤيدة بالإرادة الإلهية ودخلت حيز العمل في حياة الناس فكانت النتيجة أننا مثلا في ثماني سنوات تمكنا من الانتصار على أعدائنا في حرب دولية علينا واقعا. فهذه الحركة العظيمة للناس ساحة المعركة كانت بسبب تلك المفاهيم. وقد روجها الإمام بين الناس وأخذها من الموقع المفهومي الذي كنا نقرأه في القرآن والحديث ونحوهما مع أن ذلك الموقع لم يكن حاضرا على صعيد العمل، أخذها إلى ساحة العمل.

من الأمثلة الأخرى التي باعتقادي أنها الأهم هي هذه الآية: الشريفة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. في الأساس، يأتي إرسال

الرسول من أجل أن يطاعوا، وهذه الطاعة مطلقة أي في شؤون الحياة كلها المعنى المستفاد من الآية أن حياة الناس - سواء الخاصة أو العامة يجب أن يديرها الدين. بالتأكيد قد يحصرها بعضهم في الأمور الشخصية كالصلاة والصوم ونحوهما. ولكنها ليست كذلك، أولاً بدليل التعميم نفسه الذي في الآية، وثانياً بدليل آيات أخرى [مثل] قوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾. حسناً، هذا القتال مع «الربِّيُّونَ» الكثير ليس مسألة شخصية. إنه عمل اجتماعي إنه عمل عام، إنه عمل حكومي. لذا لهذه الآية مثل هذا المفاد. لقد جلب الإمام هذا المعنى إلى ميدان العمل، عبر الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا أَعْظَمَكُمْ بِوَأَحَدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى وَفُرَادَى﴾. واستخدمها لهذا المعنى وليس ﴿أن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى وَفُرَادَى﴾ لمعنى أن تذهبوا وتصلوا بل لإنشاء حكومة، ولإقامة نظام إسلامي. استخدم الإمام هذا [الفكر]، فأطلق نهضة عام

١٩٦٣، ثم مع مرور الوقت عزّز المفكرون والمحبون، والمخلصون وتلاميذ الإمام والإمام نفسه على رأسهم، هذا الفكر حتى وجدت الثورة الإسلامية وظهرت وانتصرت وتشكل النظام الذي انبثق منها يعني التفتوا إلى المفاهيم القرآنية والإسلامية، والمفاهيم المعرفية للإسلام يمكن أن يكون لها مثل هذا التأثير في الحياة عندما تدخل ميدان العمل بالتأكيد هذا مثال للتأثير الإعجازي لهذه الآلية وهذه الحركة، أما كيفية تنفيذها، فذلك موضوع آخر بحد ذاته.

ما هو تكليف الشخصيات الفنية والشخصيات الثقافية من رجال ونساء أي الإنسان الفنان والإنسان المثقف في هذه الساحة؟ أعتقد أن المسؤولية جسيمة وكبيرة، والوظيفة الأهم هي التبليغ والتبيين. ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُرُونَهُ، وَلَا يُحْشِرُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، هذا أحد المعايير. أن تدركوا حقيقةً وتطرحوها

على الناس. لا يتوقع منكم أحد أن تتحدثوا بخلاف ما تفهمون لا قولوا الشيء الذي تفهمونه وحتماً لا بدّ لكم من السعي والجد لكي يكون ما تفهمونه صحيحاً وصائباً لأن معرفة الساحة في الحوادث المشوبة بالفتن عملية صعبة. من الصعب في تلك الظروف معرفة عناصر القضية ومعرفة المهاجم والمدافع والظالم والمظلوم. من الصعب معرفة العدو والصديق. إذا كان من المفترض بالشاعر أن يُجِدع الشاعر كما يُجِدع الآخرون ويصاب بانعدام البصيرة فهذا أدنى شأنًا بكثير بالنسبة لإنسان فنّان ومثقف. إذاً، ينبغي فهم الحقيقة ثم يجب تبليغ هذه الحقيقة لا يمكن التحرك في عالم الثقافة بالأساليب السياسية وبأساليب السياسيين هذا دون شأن الثقافة في عالم الثقافة ينبغي حلّ العقد وكشف الحقيقة وحلّ العقد الذهنية. وهذا ما يحتاج إلى، تبين أي إلى عمل الأنبياء ولا بد في البيان من الفصاحة والبلاغة. ومع أنهم في

٤ - الحفاظ على حضور الناس في

الميدان

لا تشيحوا النظر أبداً عن كيد العدو فإن غفلتنا توفر له الفرصة. أنه: «من نام لم يُنم عنه». تجربتنا في الجمهورية الإسلامية هي بدورها مليئة بالدروس المعبرة في هذا المجال؛ إذ بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، بدأت الحكومات الغربية والأمريكية المستكبرة، التي كانت منذ أمد بعيد تسيطر على طواغيت إيران وتتحكم في المصير السياسي والاقتصادي والثقافي لبلدنا وتستهين بالقوة الضخمة للإيمان الإسلامي في داخل المجتمع، وكانت غافلة عن قوة الإسلام والقرآن في التعبئة والتوجيه، بدأت تفهم فجأة ما وقعت فيه من غفلة، فتحركت دوائرها السيادية وأجهزتها الاستخباراتية ومراكز صنع القرار فيها لتجبر ما مُنيت به من هزيمة فاحشة.

رأينا خلال هذه الأعوام التي تربو على الثلاثين أنواع المؤامرات

الكتب التخصصية يذكرون البلاغة بمعنى التطابق مع مقتضى الحال، لكن ذلك معنى خاص من معاني البلاغة وليس المعنى الأولي والصريح لها. البلاغة معناها الإيصال والبلاغ هو الإيصال. حين يقال: إن حافظ الشيرازي نظم هذا الشعر الفصيح البليغ فما معنى البليغ هنا؟ هل معناه أنه نظمه بما يتناسب ومقتضى الحال؟ وما يديرنا هل كان شعره مناسباً لمقتضى الحال في ذلك الزمن أم لا؟ إننا ننظر إليه الآن والقضية ليست قضية مقتضى الحال البلاغة تعني الإيصال والبليغ هو الموصل، قولوا ما تقولون ببلاغة وإيصال ووضوح وبيان ساطع، ولكن قولوا ما تفهمونه ليس من المتوقع أبداً - وليس من الحق أن يتوقع أحد ذلك أن يتحدث شخص بخلاف فهمه، وحاولوا أن يكون ما تفهمونه صحيحاً.

والمخططات. والذي بدّد مكرهم أساساً عاملان الثبات على المبادئ الإسلامية والحضور الجماهيري في الساحة.

هذان العاملان هما مفتاح الفتح والمُصرِّج في كل مكان العامل الأول يضمّنه الإيذان الصادق بالوعد الإلهي والعامل الثاني سيقتى ببركة الجهود المخلصة والبيان الصادق. الشعب الذي يؤمن بصدق قاداته وإخلاصهم يجعل الساحة فاعلة بحضوره المبارك. وأينما بقي الشعب في الساحة بعزم راسخ فإن أي قدرة ستكون عاجزة عن إنزال الهزيمة به. هذه تجربة ناجحة لكل الشعوب التي صنعت بحضورها الصحوة الإسلامية من القضايا المهمة الأخرى الحفاظ على دعم الجماهير ومساندتهم. يجب عدم الانقطاع عن الناس. الناس لديهم توقعاتهم ومطالبهم واحتياجاتهم والقوة الحقيقية بيد الجماهير والشعوب حيث يجتمع الناس ويتآلفون ويكونون قلباً وتوجّهًا واحدًا خلف المسؤولين وقادة

البلد، هناك لن تستطيع أمريكا ولا الأكبر منها أن ترتكب أي حماقة. يجب الحفاظ على الشعب وحضوره ودعمه وهذا ما تستطيعونه أنتم ما يستطيعه المثقفون والكتاب والشعراء وعلماء الدين والأكثر تأثيراً هم علماء الدين الذين يتحملون واجبات جسيمة. ينبغي أن يبينوا للناس ويشرحوا لهم ويوضحوا ما الذي يريدون وفي أي مراحل هذا الطريق يسرون وما هي الموانع والعقبات، ومن هو العدو، أن يحافظوا على وعي الجماهير وبصيرتهم، وعندها لن تنزل أي نازلة ولن يصيب المسيرة بأي أذى و ضرر.

٥- القضاء على المشاكل

تنشط الأيدي الأجنبية لفرض المشكلات والآلام والصعاب على المسلمين وتشديد هذه المصائب عليهم. في حين لو وُجدت مجموعة من المفكرين والعلماء وأهل الثقافة والأدب تتعامل مع قلوب الشعوب المسلمة وأفكارها وخصصت وقتاً

وأبرزت شجاعة واستخدمت فنّ التبيين بالنحو الصحيح فإنّ إرادة الشعوب وقواهم ستزيل هذه المشكلات والصعاب.

أضرار ترك التبيين

من أكثر الأشياء التي تؤثر في ذهن الشباب، أمران: الأول، هو دعايات العدو المختلفة. الدعايات التي تجعل الشاب متراخيا بل وغير مهتم للحقائق الإسلامية المقدسة والحقائق التي أظهرتها الثورة كمسلمات وقواعد أساسية للاعتقاد والأمر الثاني هو عدم التبيين وعدم الدفاع بنحو صحيح عن هذه الحقائق والمبادئ برأيي إنّ تأثير العامل الثاني ليس بأقل من تأثير العامل الأول، لأنّه قلّما تطلق الدعايات في الجمهورية الإسلامية

بنحو علني وصریح ضد الإسلام والمبادئ الإسلامية والمعارف الإسلامية كما أن الساحة لتبليغ مثل هذه الأمور ليست واسعة وعليه فإنّ دعاية العدو تقتصر على مجالات محدودة. في حين أن العامل الثاني لا حد له، لأننا عندما لا نُبَلِّغ، أو عندما لا نُظْهِر الحقائق وعندما لا نبين المعارف الإسلامية بالنحو الصحيح - لا نبين التوحيد بذاته، ولا نتحدّث عن الحكومة الإلهية عن ضرورة عبودية الإنسان لله وعن ضرورة تسليم الإنسان في مواجهة أحكام الله - فإنّ التأثير الناتج عن عدم الدفاع وعدم التبيين وعدم التبرير الصحيح لا يكون محدودًا بحدود معينة، بل يشمل الجميع.

د. نورة الهيدان
باحثة وأكاديمية من العراق

قراءة في نهج الإمام الخميني عليه السلام

النفي تجلت أبعاد أخرى في شخصية الإمام الراحل منها قدرته على التخطيط لبناء نموذج إسلامي يراعي متطلبات الحياة العصرية والقضايا الراهنة خاصة وأن الثورة التي قادها الإمام الخميني عليه السلام لم تعتمد على وجود تشكيلات حزبية داخل البلاد، بل كان للإمام تلاميذ وأنصار يحملون أفكاره إلى الجماهير ومع ذلك كان الإمام يوجه خطابه دائماً إلى الجماهير واستطاع خلال سنوات نفيه أن يزرع في الأذهان بذور النهضة الإسلامية أولاً ثم تمكن أن يتوغل إلى عمق الشعب ثانياً حيث كان شعبه الأرضية

تتجلى أبعاد شخصية الإمام الخميني عليه السلام في وعيه وذكائه وشدة اهتمامه وغيرته المتميزة على الشعب وعلى الإسلام المحمدي الأصيل إذ صرح ومنذ اليوم الأول بأنه سيتحرك بمساعدة الشعب وكان واثقاً من استجابة الجماهير في جميع أنحاء إيران، وهنا يتجسد بعد آخر في شخصية هذا الرجل على الصعيد العملي تمثل في قدرته القيادية وشجاعته السياسية وخبرته بأساليب وأهداف العدو.

بعد أحداث ١٩٦٣ - ١٩٦٤ في إيران نفي الإمام إلى تركيا ومن ثم إلى العراق لمدة ١٤ سنة، وفي فترة

لم يقصد من ثورته ونهضته استلام أي منصب بل أتباع الحكم الإسلامي بشكله الصحيح على صعيدين هما: الإسلام كإطار عام للنظام، والإسلام على صعيد الفرد.

واعتمد الإمام مبدأ العدالة الاجتماعية لإيمانه بأن الطبقات الفقيرة هي صاحبة الحق في الاستفادة من مكتسبات الثورة صحيح أنه كان يقول بأن ثورته لم تكن ثورة خبز وإنما انطلقت على أساس الإيمان، لكن هذا الأمر لا يلغي الاهتمام أولاً بالشعب وبحياته واقتصاده. وكان الإمام على اطلاع تام بالعدو وبأساليبه الإعلامية والسياسية وحريصاً على مجابهتهم والتصدي لهم، كما كان حريصاً على إعلاء شأن الأمة الإسلامية إلى جانب بقية الأمم الأخرى في العالم فتحركت الجماهير المستضعفة في العالم وخصوصاً الجماهير التي تغذت بفكر ونهج الإمام الخميني الفكر الثاقب والنهج السليم من العراق الجريح ولبنان المغتصب وفلسطين المحتل

المناسبة لقيام تلك الثورة، وبفضله استطاعت الحركة الثورية للنهضة الإسلامية أن تجتاز جميع التحديات التي واجهتها ولم تثن عزيمته الأحداث الكبيرة والعصيبة التي مرت بإيران وأولها الحرب الإيرانية العراقية والهجوم الأمريكي ومؤامرات الانقلاب العسكري والحصار الاقتصادي والممارسات العدوانية المختلفة.

وفي عام ١٩٦٨ تبنى الإمام فكرة ولاية الفقيه اعتماداً على ثوابت فقهية راسخة، وهي نظرية تعطي الولي الفقيه صلاحيات في إدارة جميع ميادين الدولة وقد أعاد الإمام صياغة هذه الفكرة وفق أسس رصينة لقد اجتمعت في الإمام أغلب مزايا ومواصفات القادة العالميين لأنه كان بعيد النظر، شديد الوثوق بشعبه، شديداً على أعدائه وقد اعتبر نهج الإمام الخميني النهج الأمثل لإنقاذ البلاد قبل الثورة وبعدها، ومن أهل معالم هذا النهج: حاكمية الإسلام إذ

تلوح في الافق بعد تحرير لبنان وان
النصرات في العراق وفلسطين وباقي
الدول العربية والإسلامية وان
علامات ظهور ولي الله الأعظم مهدي
أهل البيت عليه السلام قد حانت بعدما تهيأت
الأرضية المناسبة بمنهجية الامام
الراحل عليه السلام الذي كان ينتقد الانتظار
السلبى للإمام القائم روجي له الفداء
فوضحت معالم نهج السيد الامام
الراحل فهذه المفردة الإسلامية في
عقيدة انتظار المصلح الذي يخلص
العالم من الفساد وان حركة الشعوب
المستضعفة حافز إلى ظهوره عجل الله
له الفرج وسهّل له المخرج...

نهج الإمام الخميني عليه السلام وخطه

تطلعات سماحة الإمام عليه السلام

إنّ خط الثورة خط الإمام الذي هو
خط الإسلام النقي الأصيل وخط
القرآن ينبغي مواصلته والالتزام به
بشكل تام.

لقد توضحت للجميع هوية الإمام

ودول أخرى كان تحركها حسب
الظروف الموضوعية وانتصرت
المقاومة في لبنان (حزب الله) على
جرثومة الفساد (إسرائيل) وباتت
قاب قوسين أو أدنى للزوال من
الوجود كما تنبأ الإمام الراحل عليه السلام وفي
فلسطين استشعر العدو الصهيوني ان
ضربات المقاومة الفلسطينية ستحرر
فلسطين والقدس الشريف فنصب
المكائد ليقي على وجود هذا الكيان
بفضل الاعيب القوى الكبرى وبعض
الخونة من الأنظمة من خلال
معاهدات السلام السرايية الذي حذر
الإمام الراحل منذ ولادة معاهدة
كامب ديفيد المشؤومة وبعدها من
المعاهدات الخيانية التي تهدف إلى بث
اليأس في نفوس المسلمين في فلسطين
وغيرها ولكن نهج الإمام الراحل
ونظرته الثاقبة أعطت الكثير إلى
الشعوب المستضعفة في فهم الأعداء
والاعيبهم الشيطانية ونحن نعيش
الذكرى العشرين لرحيل الامام السيد
روح الله العبد الصالح وبشائر النصر

الفنية بعد رحلته. وربما لم يكن الثيرون يعلمون أن الإمام كان ممن ينظمون الشعر العرفاني مع تلك المضامين العرفانية اللطيفة وذلك الوله والعشق الذي يختص به الإنسان العارف المتوله.

بل هو عمل أصعب من هذا بكثير، وخصوصاً أنه تم في عالم كل ما فيه يعتمد على القضايا المادية، وقد مرت حوالي (٢٠٠) سنة مليئة بالعمل والجهود المتواصلة ضد الدين وبالذات ضد الإسلام من بين كل الأديان الأخرى.

فحينما تتم إقامة حكومة إسلامية في إحدى أكثر مناطق العالم حساسية وأهمية يمكن القول عند ذلك أنه أمر شبيه بالمعجزة دون مبالغة.

وقد تمكن هذا الشخص الجليل الفذ أن يعبئ كل هذه القوى الشعبية العظيمة وساعده الله وأعانه على القيام بذلك حتى تحققت هذه المعجزة، ولم ينحرف صاحب تلك

النفس اللطيفة والإرادة الصلبة - طوال تلك السنوات المتعاقبة - حتى ولو بمقدار شعرة عن الطريق القويم لا إلى اليمين ولا إلى اليسار، وهذا أمر على غاية من الأهمية.

أن سماحته يعتبر قدوة وأسوة بالنسبة للناس جميعاً ولكم كفتانين ملتزمين ومؤمنين، وبالنسبة لكل الفئات الأخرى من زوايا مختلفة، وينبغي أن نتعلم منه ونقتدي به.

إن قيادة الجمهورية الإسلامية تضع نصب عينها هذه الذخيرة الشريفة وغير المتناهية تلك الصورة المشرقة والبعيدة عن متناول الأيدي لشخصية هذا القائد الكبير.

إن التطلعات التي أعلنها الإمام هي أسمى التطلعات وأعلاها وأقدسها، وإننا سنواصل السعي الحثيث لبلوغها فهي تطلعاتنا أيضاً. هذه التطلعات التي أعلنها الإمام هي طموحاته وأمانيه، وهي حية تماماً وتزخر بالحياة أكثر من أي شيء

الإسلام في شتى المناسبات والتقلبات الحياتية، ومن خلال مواقفه المختلفة إزاء شتى الحوادث، ولم يبق نقطة مبهمة لأحد أبداً.

إنّ الفقه الشيعي هو أحد أقوى أنماط الفقه ومناهجه، وهو يستند إلى أسس وأصول قوية للغاية، وقد نشر الامام هذا الفقه المتين ووسع من دائرة عمله على صعيد واسع وأضفى عليه نظرة عالمية ونظر إليه من زاوية عالمية وحكومية، وأوضح لنا أبعاداً ونواحي من هذا الفقه كانت مخفية من قبل.

إن أفضل ما يمكن أن يمدح به هذا القائد هو القول بأنه عبد الله يعمل على تشخيص تكليفه - فحينما يشخص أن تكليفه الشرعي يمكن في القيام بالعمل الفلاني فإنه يقوم به وينجزه ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يبارك له في ذلك العمل ويعينه على تحقيقه وهذا يعدّ لنا درساً كبيراً، وهذا هو الإسلام.

وأن أهمية هذه القضية تنبع من كونها تعكس مدى صلابة قائد هذه

آخر، وهذا ما يخشاه العالم في الوقت الحاضر.

إنّ شخصية الإمام ترتبط - وإلى حد كبير - بأهمية التطلعات التي كان يحملها.

هذا الشعب الذي تشاهدونه يلطم على رأسه وصدره، ويذرف الدموع، وتكاد قلوب أبنائه تغادر صدورهم من فرط الألم واللوعة، ولو كانت الدنيا كلها ملكاً لأحدهم فإنه مستعد لإعطائها لمن يعلم أنه يستطيع إبقاء الإمام على قيد الحياة للحظة واحدة أكثر... هذا الشعب مصمم على السير وفقاً لأفكار الإمام. وأن أبنائه يعشقون الإمام من أجل فكره وتطلعاته ونهجه وجهاده ومقاومته وهم سائرون على هذا المنهج.

إنّ مدرسة الثورة التي أسسها الإمام تأبى أي نمط من أنماط الإسلام السفيفي والمرواني.

لقد أوضح لنا الإمام الفذ الجليل خلال السنوات العشر الماضية معالم

الثورة وحزمه وإخلاصه وصدقه، وهذا كله درس لنا.

طريقه.

إنّ ذكر الإمام الخميني واسمه يزلزل قسور القوى الطاغوتية وقلوبها لأنه كان خادم الإسلام والمسلمين ولأنه هو الذي حقق العظمة للإسلام والمسلمين عبر جهاده وجهاد شعبه.

لقد سلك الإمام نفس الطريق الذي سلكه الرسول الأعظم ﷺ من أجل إعادة الحياة إلى الإسلام، وهو طريق الثورة.

لقد ربط الإسلام هذه النهضة في فصلها بقضية عاشوراء.

إرشاد الإمام

استطاع الإمام ﷺ أن يرفع راية الإسلام المحمدي الأصيل النقي ﷺ ولواء الولاية العلوية والحسينية عالياً خفاقاً في الآفاق من خلال إرشاده وزعامته.

ففي الفصل الأول من النهضة أي من أيام محرم من عام ١٩٦٣ تحولت الحسينيات ومجالس العزاء والمواكب والمراثي ومجالس الخطابة والوعاظ تحولت كلها إلى منابر ومنصات خطابية لبيان قضايا النهضة.

لقد جذب إليه أعين العالمين وجعلها تنظر إليه بإعجاب، وجعل آيات تحقيق الفرح للمستضعفين تتجسد في ملحمة الغنية بالبطولات، وبعد ارتحاله إلى الرفيق الأعلى ربط الشعب على قلبه وسار في طريقه مستبصراً وأكد عزمه وإرادته الفولاذية على مواصلة السير في

وفي الفصل الأخير الذي سبق انتصار الثورة كان شهر محرم لعام ١٩٧٨ قد شهد بأمر الإمام تكثيف الاهتمام بإقامة المجالس والمواكب الحسينية، وأطلق مقولته المشهورة فيه (أن شهر محرم هو شهر انتصار الدم على السيف) فثار من جديد ذلك الطوفان العظيم العام والشعبي. إنّ محبتكم هذه ومحبة هذا الشعب

الروح الروحي والمعنوي والمثل الحقيقية.

نشكر الله تعالى أن أثمرت جهود وارث الأنبياء وسالك طريقهم وجعل الله فيها البركة، وأعطى له ولأمته جزءاً تمثل بالنصر العظيم الذي ظل أمنية لجميع الصالحين وحكام الإسلام، وقرن هذا النصر واتبعه بانتصارات باهرة في شتى المجالات وأهمها كلها في مضمار التربية وتزكية نفوس الشباب الذين صاروا بمثابة القواعد المتينة وحراس الثورة والنظام الإسلامي اليقظين، ومنّ عليه بفتح الفتح الذي كان مفتاح جميع الانتصارات.

ويقيناً أن الإمام كان يتحرك بالروحية التي كان يتحرك بها الأنبياء، وكان أسلوبه أسلوب الأنبياء، وكان نهجه نهج الأنبياء، وأهدافه أهداف الأنبياء أيضاً.

إننا سنصدر هذه الثورة، وإننا لن نتردد في تصدير التوحيد وإشاعة

للحسين بن علي - عليه السلام - تضمن الحياة والبقاء للإسلام وهذا هو معنى مقولة الإمام التي جاء فيها (إن يوم عاشوراء هو الذي حفظ الإسلام وصانه) وهكذا الحال بالنسبة للأيام الفاطمية - أيام ذكرى وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) - وذكر المولد النبوي الشريف ومناسبات مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم.

نشكر الله على أن صار للنفس العيسوي لذلك العبد الصالح وتذكار الأنبياء والأولياء - سلام الله عليهم دوراً يتسم بطابع الإعجاز وصار له الخلود في جبين التاريخ، أي أنه ربي أناساً أفذاذاً ذوي نفوس طيبة من خلال تربيته المشابهة لتربية الأنبياء صاروا يتلألئون كالنجوم المضيئة في ظلمات الجاهلية والمادية التي صنعها طواغيت الزمان وأباطرة التبر والقهر في العالم وفرضوها على الناس.

فطفقوا يبشّون نور الفضيلة والمعنوية فيما حولهم ويظهرون للعالم

منهج الأنبياء وعرض القيم الإنسانية
النظيفة والطيبة والطاهرة، والصبر
والمقاومة والإيثار.. وإشاعتها في
البلدان الأخرى.

عصر سماحة الإمام الخميني عليه السلام

لقد بدأ عصر جديد ذو خصائص
متميزة عن العهود التي مرّ بها العالم
من قبل وكان بدء هذا العصر الجديد
متجسداً في ظهور الثورة الإسلامية في
إيران وإقامة نظام الجمهورية
الإسلامية في هذه المنطقة من العالم،
ومع تصاعد النضال الطويل الذي
خاضه الشعب الإيراني بقيادة قائده
العظيم الفذ للدفاع عن الثورة
الإسلامية.

وبدأ هذا العصر بكل ما فيه من
خصائص متميزة، سواء شاءت القوى
المادية في العالم أم لم تشأ، وسواءً
أرادت أمريكا أم لم ترد. وأخذ هذا
العصر يتقدم إلى الحد الذي بدأت
تأثيرات هذا العصر الجديد تشاهد

على صعيد الشعوب والدول
الضعيفة وحتى على مستوى القوى
العتيقة والكبرى.

وعندما يشهد تاريخ البشرية عصرًا
جديداً فلا أحد يستطيع أن يجعل نفسه
بمعزل عن تأثيرات ذلك العصر
ويحذر منها، وهكذا كان الحال أبان
العهود السابقة التي مرّت بها البشرية.
ليس بإمكان أحد أن يجعل نفسه
مصاناً من تأثيرات عصر أخذ يشق
طريقه في هذا العالم وهو يستند على
الأسس الإنسانية والإلهية المتينة.

إننا نريد أن نعلن هذه الحقيقة وهي
أنه على الرغم من أن الكثير من
شعوب العالم قد شملتها تأثيرات هذا
العصر الجديد وعلى الرغم من أن
الكثير من الحكومات الموجودة على
ظهر الأرض هي الأخرى خضعت
لتأثيرات هذا العصر بحيث تبدّلت
حتى الخارطة السياسية للعالم، إلا أننا
لا نتوقع أن يقر ببدء هذا العصر
المحللون والمسكون بزمان إصدار

للحقوق العامة للشعب، واحترام المطالب المخلصة للطبقات المستضعفة والفقيرة في المجتمع، والتي كان يؤكد عليها مراراً.

لقد بدأ الامام عصراً جديداً وإننا اليوم ونحن نحمل قلوباً وأنفسنا مترعة بالأسى واللوعة لفقدان ذلك الإنسان العزيز الذي لا مثيل له في الأمة الإسلامية، فإن علينا أن نؤدي أعظم وظيفة وهي أن نعرف خصائص هذا العصر الجديد الذي بدأه الإمام وجعل الشعب يسبح في أجوائه، وأن نحافظ عليها.

الثورة الثقافية

كنا نعيش حياة عادية، فأبدل الإمام ذلك الركود والخمول إلى حيوية ونشاط وصنع كيان الإنسان وصاغه من جديد. ولقد قال هو نفسه في أحد الفتوحات الكبرى التي حققتموها في جبهات القتال عندما أصدر بيانه بتلك المناسبة إن فتح

الأحكام من المقتدرين السياسيين في هذا العالم.

أنهم وإن لم يعترفوا ببدء هذا العهد الجديد لكنهم وقعوا تحت تأثيراته وهم يحسون به ويتلمسون آثاره وهذا العصر الجديد ينبغي أن يسمى (عصر الإمام الخميني).

لقد أدركت كل الأبصار النافذة - منذ البدء - إنه وبانتصار هذه الثورة العظمى بدأ عصر جديد في العلاقات الدولية وهذا العصر يجب أن يطلق عليه (عصر الإمام الخميني) وسماته وملاحه عبارة عن يقظة الشعوب وانتشار الصحوة فيما بينها، وجرأتها وثقتها بنفسها، في قبال منطق التسلط وهيمنة القوى الكبرى، وكسر أصنام القوى الظالمة، وتنامي جذور القدرة الواقعية لبني الإنسان، وبروز القيم المعنوية والإلهية.

إنَّ أحد سمات العصر الجديد الذي أوجده الإمام الخميني هو هذا الاحترام لحقوق الإنسان والاحترام

الفتوح هو بناء مثل هؤلاء الأشخاص والشبان، وكان هو فاتح فتح الفتوح ذلك.

كما قال: إن قضية الحرب قضية مؤقتة ولكن القضية المهمة هي قضية الجامعات.

اعرفوا منزلة التعليم والتربية وأهمية عمل المعلم، وينبغي للشبان والفتيان أن يعرفوا قيمة الدراسة والبحث والمطالعة وبناء الذات التي تقع على عاتقهم هذه الأيام.

أنكم أنتم الذين تقومون بمهمة البناء في الغد القريب، وأنكم أنتم الذين تدخلون اليأس في قلب الاستكبار العالمي، وأنتم الذين تبقون على شعلة الأمل متقدة في قلوب المستضعفين بعد أن أحيها الإمام وأوجد ثورتنا، أنتم الذين سوف تقومون بذلك يا جيل الشباب والفتيان في هذا اليوم وأنتم أيها المعلمون والمربّون.

هذا هو الأمر الأساسي الذي كان

يؤكد عليه دائماً الامام القائد، ويُعتبر جزءاً من محكمات الثورة وخط الإمام ومن القضايا الضرورية فيهما.

إن الناس بحاجة هذا اليوم إلى الأخلاق وإلى تعميق فكر الثورة لديهم، لكي يعلموا ما هو الأساس والقاعدة التي استندت إليها هذه الثورة التي قامت، فينبغي التفكير ملياً في كيفية سد احتياج الناس.

والمرجع الأفضل لذلك هو كلمات الإمام ﷺ وتعاليمه وإرشاداته، وبعض المؤلفات والكتابات التي أصدرها بعض كبار الشخصيات خلال هذه السنوات الإحدى عشرة، والله الحمد.

وطبعاً فإن المهتمين في مجال البحث والتحقيق يستطيعون مراجعة القرآن الكريم والحديث الشريف في باب حاكمية الإسلام وشموليته وكونه دين الحياة.

لقد كان الإمام خلال فترة قيادته التي استمرت عشر سنوات ونيّف - بعد انتصار الثورة - يحذر المسؤولين

ويحذر الشعب الإيراني طراً من الغرور والأنانية والتكبر، وكان يقول دائماً حذار من أن تكونوا أسرى لهوى النفس.

الاعتماد على الناس

إنّ لدينا في هذه الثورة عدة ثوابت ومبادئ أساسية فهمناها منذ البداية، وعلمنا إيّاها الإسلام، وأوضحها لنا الإمام والفقهاء الفذ الجليل.

أحد هذه الأصول هو أي نظام إن لم يكن مبنياً على أساس إرادة الناس وتأبيدهم لا يمكن أن يكتب له البقاء والاستمرار. فالناس هم الذين يستطيعون إقامة نظام ما، وحينما يقيمونه فإنهم هم الذين يحافظون عليه، حتى لو اجتمعت كل القوى ضدهم.

فإذا لم يكن النظام نظاماً شعبياً ولا يقوم على أكتاف الناس ووفقاً لعقائدهم وعواطفهم وإرادتهم فإنه لا يمكن أن يستمر ويدوم، وهذا هو

أحد الأصول التي نؤمن بها. وهناك أصل آخر وهو إن فرض فكر ما أو عقيدة من نمط معين أو نظام اجتماعي على الناس ليس عملاً ناجحاً، وخصوصاً حينما يكون ذلك الفكر والعقيدة متعارضاً مع دين الناس ومنافياً لعقيدهم.. وهو الآخر من بين أصولنا الفكرية والإسلامية، فإن ما يكتب له البقاء هو العقائد القلبية للناس وأفكارهم الدينية.

طوال فترة العشر سنوات وبضعة أشهر التي كان يعيش فيها الإمام الخميني رحمته الله ويقوم بقيادة الأمة ومسلمي العالم - بعد انتصار الثورة الإسلامية - كان سماحته يركز في خطاباته على الحضور السياسي للشعب، أي حضور الشعب في ساحات النشاط السياسي، وهو يؤكد إنّ الناس ينبغي أن يعتبروا هذا البلد ملكاً لهم، وإن مصير هذا الشعب وهذا البلد إنما هو في أيديهم فرداً فرداً، وأن منح العظمة والعزة لهذا البلد

سوف يكون ممكناً عندما يريدون ذلك
ويصممون عليه، وسيصبح استقلال
البلد جذرياً وحتماً حينذاك.

يندر أن رأينا شخصاً مثل الإمام -
أو سمعنا به - يكن للناس احتراماً في
أعماق قلبه ويثق بهم هكذا، لم يكن
يحمل لهم محبة في قلبه فحسب بل كان
إلى جانب المحبة، الثقة والاعتماد على
الناس وعلى شجاعتهم وإيمانهم وكان
يثق بحضورهم الدائم ووفائهم.

وحقاً وإنصافاً إن الناس قد أدوا
لقائدهم جزاء ثقته المطلقة بهم، وكان
الأمر يشكل امتحاناً عجيباً سواء
بالنسبة للإمام أو لكم أيها الناس، فقد
كان ينظر ذلك الإنسان الفذ إلى
الناس بنفس المنظار الذي كان ينظر به
الأنبياء إليهم.

إنّ الأنبياء لم يهتموا بالناس
اللامعيين والبارزين وإنما كانوا يبحثون
عن الناس المؤمنين والجماهير
المحرومة. لم يكن الإمام يهتم كثيراً
بالخواص، وكان يعيش عامة الناس

ويتحدث إليهم ويطلب منهم ما يريد.
لقد فقد متطوعو قوات التعبئة
المتحمسون المخلصون أباً عطوفاً وحقاً
كانت العلاقة بينهم وبين ذلك القلب
المشرق والرؤوف مثل علاقة الأب مع
ابنه.

وربما لم يحدث مرة واحدة أن يرد
ذكرهم وذكر أعمالهم البطولية في
ساحات الحرب وفي الميادين المختلفة
إلا وأثنى عليهم وعلى أعمالهم
وتحدث عنها بركة ورأفة، وأعرب عن
تقديره لمتطوعي قوات التعبئة
وتحركهم الحماسي.

وحينما كانت تعرض على ساحتها
آراء الناس المنخرطين في سلك
القوات الشعبية فإنه يبدي رد فعل
مشوب بالمحبة والأبوة الحانية.

مثل هذا الإنسان الذي كانت له
تلك العظمة، كان يقول - حتى أواخر
حياته - عندما يرد أمامه ذكر الشعب
يقول إنّ الشعب خير منا وأفضل.

كان يرى نفسه ضئيلاً في قبال

الدفاع عن المستضعفين

إنَّ شعار اجتثاث الغدة السرطانية (إسرائيل) الذي طُرِح من قبل الإمام الفذ والقائد الإسلامي الكبير سماحة الإمام الخميني رحمته الله ينبغي أن يُطرح الآن أيضاً بشدة وقوة وأن يتحول إلى صرخة عامة لكل المسلمين في الحج، على الرغم من حنق التساويمين وذوي الألاعيب السياسية.

إنَّ خط الثورة هو خط الإسلام والمسلمين والدفاع عن المظلومين والمستضعفين، وهذا الخط هو الطريق الذي جعل الشعب الإيراني يتحول - بعد أن سلكه ومضى فيه قدماً - من شعب متأخر ومتكلم على الآخرين إلى أكثر الشعوب حيوية واستقلالاً في العالم المعاصر، ومن خلال دفع الشعب إلى إبداء الإيمان والمحبة والعشق حملهم هذا الخط على تقديم التضحيات المثيرة للدهشة والعجب. وهذا الخط يمثل الهوية الوطنية والثورية.

عواطف الناس وإيمانهم وشجاعة الناس وتضحياتهم وينحني لهم إجلالاً وإكباراً، وكان ذلك من بين جوانب العظمة لديه.

في أثناء الحرب، كانت هناك أمور لم يكن من المصلحة ذكرها والتصريح بها جهراً، ولذلك لم تكن تُعلن على رؤوس الأشهاد، بيد أنه في ما عدا هذه الأمور، فإن كل ما يحدث يجب أن يُخبر الشعب به.

وهكذا كانت الأمور في عهد سماحة الإمام رحمته الله وحينما كان المسؤولون يزعمون على القيام بخطوة ما كانوا يستشيرونه، ومن بين التوجهات التي كان يقولها عليكم أن تقوموا بما تقومون به بشكل بحيث تستطيعون إخبار الشعب به، وبحيث يمكن تنوير أفكار الشعب به، فالعيار هو مدى تفهم الشعب للثورة وتفاعله معها. فهذا النظام نظام شعبي.

واستحصلاً لرضا أمريكا والاتحاد السوفيتي.

لقد كان جميع من حوله يقولون له أن السبيل لتلين مواقف أمريكا والاتحاد السوفيتي وجعلها يتعاملان معكم بالرأفة هو التراجع عن مواقفكم الصلبة والحازمة والمثينة، والتساهل في اتخاذ الموقف منها، ولكن قيادة الشعب الإيراني العظيمة ونفس هذا الشعب الفذ الشجاع لم يتراجعا حتى خطوة واحدة، ومن الأولى به اليوم ألا يتراجع.

دور المرأة في المجتمع الإسلامي

لقد كان معلم الثورة الكبير سماحة الإمام الخميني رحمته الله يرى أن للمرأة دوراً كبيراً في الثورة سواءً في إيجادها أو في استمرارها، ويرى أن دورها في تكامل المجتمع الإسلامي وبلوغه ورشده - إسلامياً وثورياً - مهم للغاية.

لقد كان للسيدات دور بارز ومشرق في انتصار هذه الثورة

ثمة عبارة كان يلهج بها سماحة الإمام كثيراً خلال السنوات الماضية، وهي (ان هذه الثورة وهذا النظام مدين دائماً للحفاة، وأن القوة التي ستصونها هي أولئك الحفاة والطبقات المحرومة في المجتمع).

ويقيناً أن التحرك نحو فك العقد التي يعاني منها الناس وتمهيد الطريق لحياة مرفهة وسليمة وحسنة يتمتع فيها الناس بالوفرة والرخاء وهبوط الأسعار والاستفادة من الإمكانيات الموجودة، إنما هو واجب إسلامي يقع على الجميع القيام به وخصوصاً على عواتقكم أنتم المسؤولين ومدراء البلاد، وهو أمر عملي وممكن التحقيق ويعتبر من التطلعات الإسلامية حتماً.

إنّ الشعب الإيراني لم ينكص على عقبه أثناء اشتعال الحرب وعلى الرغم من تعرضه لشتى أنواع الضغوط. ولم يتساهل ويغض الطرف في أي قضية من قضايا الحرب، التي دامت ثماني سنوات، مراعاة

واستمرارها وفي مواجهة الوقائع الكبيرة التي شهدتها العقد الأخير من عمر الثورة.

خطوط التقاطع في قراءتين (الإمام الخميني: ملامح ومنطلقات أولية في المنهجية الإحيائية)

لا يكمن المدخل الأساس لفهم متكامل لأبعاد شخصية الإمام الخميني، بمنهجية الاستعراض الترتيبي لمراحل حياته من الولادة حتى الوفاة، وإنما يكمن في استكناه إنجازاته والتبصر بمنهاجه؛ ذلك أن أنسب أرض قادرة على استجماع خصائص شخصية الإمام الراحل، تكمن في التطلع إلى نهضته، والتعمن بها نصاً ومنهجاً وإنجازاً.

لقد شهد العالم الإسلامي على خط الإحياء الديني صيحات واسعة للإصلاح ودعوات متكاثرة للنهضة خلال القرن والنصف الماضيين، بيد

أن الباحث ينتهي في التحليل الأخير إلى أن أغلب تلك الصيحات، رغم إخلاص الرواد وتطلع الشعوب وتوثبها، لم تعدوا في حياة الأمة وفي أوضاع المسلمين أكثر من أن تكون إثارات في الوعي ومواقف في الفعل والحركة، لم تبلغ مستوى الإنجاز المتكامل في خطوطه التفصيلية والعامية.

بعبارة أصرح: ظلت النهضة منذ صيحة السيد جمال الدين الأفغاني مشروعاً نظرياً في عقول الرواد، وأمنية تشدّد إليها المجتمعات الإسلامية، ولم تتحول إلى واقع ناجز ومتكامل إلاّ مع آية الله الإمام الخميني. فقد أتاح التوفيق الإلهي من جهة والاستعدادات التي حظيت بها شخصية الإمام الراحل وتوفرت عليها من جهة ثانية، الفرصة المواتية لأن يتحول ساحتها إلى رمز كبير للإحياء والنهضة، تعدى إنجازه المشروع النظري إلى تشييد نموذج، كما شمل الإنجاز الأزمنة والحالات

وكإشارة إلى عمل بعينه، ربما استطعنا أن ندرج كتاب الباحث اللبناني د. سمير سليمان (الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي) في مضمار هذه المنهجية. فهذا الكتاب رغم صغر حجمه (١٣٢ صفحة من الحجم الوسط) وبعض ما يرد عليه من ملاحظات في جانب الأسلوب وصيغة الآراء والتعبير بالذات، نجده أفلح في تلمس تلك المنهجية التي تدرس الإمام الخميني كرمز من رموز التجديد والإحياء الديني، وتنظر لإنجازه كنهضة محكومة بمكونات ومنهج، يمكن الإفادة منها، وبالتالي دوام خط الإمام عبر اكتشافها ورصد هذه المكونات وتعميم منهج الإمام.

ما دمنا نتناول شخصية الإمام في إطار المنهج الذي نوهنا إليه قبل لحظة، فذلك يعني أننا نتحدث - في هذه الشخصية - عن بعدها النهضوي دوماً؛ أي تلك المكونات التي انصبت حول الوضع الإسلامي المعاصر

جميعاً، فدار جهده من التوعية والتحرك، إلى الثورة والانتصار، ومن ثم بناء الدولة، ثم خوض تجربة المواجهة لتثبيت النموذج في الداخل والسعي لتعميمه في الخارج.

وبذلك نعتقد أن أهم الكتابات عن الإمام، هي تلك التي استلهمت هذا الجانب وعبرت عنه. وإذا كان ثمة رغبة في أن يفتح العالم الإسلامي على هذه الشخصية الإحيائية التجديدية الرائدة ويستفيد منها، فليس أمامه إلا التعرف على نهضتها واكتشاف منهج النهضة. بيد أن الذي يؤسى له أنه برغم مرور ما يقارب العقدين على انتصار الثورة وما يناهز الشئاني سنوات على وفاة الإمام، نجد أن هذا المنحى من الدراسات لم يشق بمنهجه الإحيائي طريقه بعد، إلا من استثناءات قليلة برزت في بعض المحاولات، إذ ما تزال سبيل التغطية العاطفية والخطابية من جهة وصيغ السيرة الترتيبية لتأريخ حياة الإمام هي الأكثر طغياناً وهيمنة في هذا المضمار.

الإمام وقراءتها في نطاق منظومة عضوية متواصلة ومنسجمة.

وعندما نتحدث عن النهضة كمعلم من معالم شخصية الإمام، فما نعيه هو ذلك الهم الذي يحمّله سماحته لأوضاع العالم الإسلامي ومشكلاته، وما يستتبع الهم من رؤى تحليلية قائمة على أساس استيعاب الإسلام من جهة، ووعي الواقع المّعاش من جهة ثاني من دون انفصال أو تعالٍ كما يحدث بالنسبة لمقتضى النخبة وحمله راية التنظير والكثرة الغالبة م رواد الإصلاح من الذين يرضون لأنفسهم مقام التنظير وحسب.

وبعد الهمّ وتحليل الواقع يصل الدور بالإمام إلى مرحلة تشخيص الحلول المناسبة للمشكلات والسعي لتمثلها عملياً.

هذه الاضامة المتتابعة من الأبعاد نلمسها واضحة في مدلولات النص الخميني. على سبيل المثال بين أيدينا

بهدف تغييره، وتشديد واقع مغاير مكانه يقوم على أساس الإسلام.

هذا المنهج أمضى - كما أشرنا - في التعريف بشخصية إحيائية كشخصية الإمام أعطت جميع ما تملك لله، ولدعوة الحق التي تحملها، حتى وجدنا الإمام في واحدة من خطاباته للأمة يذكر بأنه أوقف لحظات عمره لله، يبذلها في سبيل خدمة شعبه لحظة فلحظة.

إن التعريف الرُتبي لمراحل شخصية الإمام لا يفي بأبعاد إنجازاته ولا يستوعبها، عدا عن أن هذا المنهج يطمس الكثير من معالم شخصيته، ويجزئ فكره الحركي والنهضوي، فيشخصه في مواقف متناثرة موزعة على سني حياته.

بخلاف أسلوب تركيز الأضواء على معالم نهضته، فهذه المنهجية وإن كانت تغفل بعض التفاصيل الجزئية أحياناً، بيد أنها الأقدر على استكناه الأبعاد الكلية والعامّة في شخصية

الحكومات المسيطرة على مقدراتهم. إنها الحكومات التي أدت بالمسلمين إلى هذا الوضع الذي هم عليه الآن. إن مشكلة المسلمين لا تكمن في الشعوب؛ فهذه الأخيرة قادرة على حل مشاكلها بفطرتها الذاتية؛ بل تكمن بالحكومات المتسلطة على رقابهم.

يستمر الإمام في نصوص ومواقف أخرى بمعالجة مشكلة السلطة في إطار منظوته الإحيائية النهضوية التي جسّد معالمها الكبرى على أرض إيران، حيث امتحن أفكاره واختبر مقولاته الممتدة من الثورة إلى الدولة، مع كل ما رافق هاتين المحطتين الكبيرتين وما سبقهما وتلاههما من محطات ومراحل.

البُعد النهضوي بوصفه بُعداً كاشفاً لمعلم آخر من معالم شخصية الإمام، نلمسه راکزاً في تلك الأصالة النازعة دوماً صوب الفعل والحركة والتغيير، والبعيدة كل البعد عن الجمود والتحصّر والانغلاق.

الآن نص للذمام يحمل هذه الأبعاد ويعبر عنها جميعاً، حيث يقول فطه سماحته وهو في معرض تدارس مشكلات المسلمين مع ممثليهم ممن حضر طهران في إحدى المؤتمرات الفريدة التي لم تتكرّر بعدئذ من حيث مستوى الحضور ونوعيته؛ مخاطبهم بقوله: « ينبغي أن نفكر في جذور المشكلات التي تعم المسلمين ونجد لها الحلول اللازمة؟ ». ثم يواصل سماحته القول بإثارة التساؤلات التالية: « لماذا ظلّ المسلمون في أنحاء العالم يرزحون تحت سطوة الحكومات والقوى الكبرى؟ ما هو السبيل لحل موضوعي لهذه المشكلة؟ أين يكمن سرّ قدرة المسلمين للتغلب على هذه المشكلات لتُحرّر - بالتالي - القدس وأفغانستان وسائر بلاد المسلمين؟ ». وعندما يتحوّل للجواب يعبر الإمام من مواقع خبرته بمشكلات المسلمين عن جزء أساس من أفكاره في الحركة والنهضة، حين يقول: « تكمن مشكلة المسلمين الأساسية في

ليستملك ذاته المفقودة مجدداً، وبين كون حالة فقدان الذات مساوية لفقدان البلد ومساوقة للتبعية والذوبان والضياع.

لا نحتاج إلى عناء كبير لإثبات صوابية هذا التحليل؛ فبين يدينا عالماً الإسلامي الذي يسهل قراءة وقائعه وأوضاع المسلمين فيه من خلال العلاقة المتبادلة التي حددها النص الخميني بين الشعب وذاته، وبين الذات والبلد. وإلا هل ما يشهده العالم الإسلامي سوى دليل آخر على فقدان الأمة لذاتها؟ وهل وجدتم شعباً مستلباً ضائعاً يفلح بتشديد نهضة وإقامة عمران حضاري حقيقي؟

وما دمنا نثير مسألة الذات فعلياً أن نلاحظ في قراءتنا لأبعاد معينة من منظومة فكر النهضة عند الإمام، إن قضية استعادة الأمة لذاتها لا تقوم في أطروحة الإمام على بدائل مفتوحة لا عدّها وحصر، كما هي قضية لا تتحمل التجريب لأن الخطأ فيها يعود

خصلة رجحان الفعل والعمل على الكلام يشير إليها نص نادر يقول فيه الإمام: «لست من الذين يطلقون الكلام على عواهنه، ولا من الذين إذ قال سكت عن متابعة ما يقول».

كان حيويّاً يحذر من الكسل والانكماش واليأس. وهذه السمات النابضة بالفاعلية نجدها واضحة جلية في نص يوحى فيه سماحته: «ينبغي للأشخاص الموجودين في البلاد الإسلامية، من أولئك المعتقدين بالإسلام الذين تنبض قلوبهم من أجل شعوبهم، ويريدون خدمة الإسلام، أن يقوم كل واحد منهم ببعث شعبه من داخله، لكي تعثر شعوبهم - بالتالي - على ذواتها التي فقدوها؛ فالشعوب التي فقدت ذواتها فقدت بلادها».

هو جدل محكم يصدر عن فكر إحيائي - نهضوي ثاقب، فالنص يجمع على صعيد تعبير واحد، بين استنهاض الشعب من داخله وبعضه

نتمكن من حلّ قضاياها فيما لو لم نرجع إلى الإسلام).

من شروط الاستنهاض العملي المرتبط بالواقع أن لا يقتصر على التحليل والتنظير، ولا على مجرد الهتاف والشعار. وهذا المَعْلَمُ نجده هو الآخر واضحاً في شخصية الإمام ونهضته. فعن البعد الشخصي نجد الإمام - وهو قلماً يتحدث عن نفسه - يقول: (إني لستُ ممن إذا قال قولاً تركه هدرًا. وإذا وجدت أن مصلحة الإسلام تقتضي أن أصدر حكماً فسوف أجدّ في إنجازه بكل طاقاتي، ولن أقف مكتوف اليدين إزاءه، بل أقف بوجه الظلم دون وجل).

هذه نقطة كاشفة في صفة قرن القول بالعمل في تكوين شخصية الإمام. وهي بنفسها نجدتها في المواقف النهضوية. على سبيل المثال نعرف جميعاً أن الإمام هو الذي أعلن الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك يوماً للقدس، وطلب من المسلمين في إيران وخارجها

- بل عاد فعلاً - بتبعات مفاجئة. وإذا كان فكر الإمام يرفض بدهة أن يكون تبني الغرب أساساً كخيار استنهاضي للأمة، فإن شرط الاستعادة لديه أن تتم بالإسلام وللإسلام.

الإسلام هو هوية ذات الأمة المقطوعة. وفي غير ذلك ستظل مشكلات العالم الإسلامي على حالها، حتى لو تم - فرضاً - بناء الذات على أساس التغريب وما سواه من تيارات الحضارة الغربية واتجاهات الفكر المعاصر. وفي ذلك يصرح الإمام: (إن مشكلاتنا ستظل قائمة على حالها حتى نعود للإسلام).

إذا كانت صورة الإسلام قد تماهت وتشاكلت مع إسلامات، رفعتها عوائل وبيوت، وتنادت بها سلطات وعواصم، فإن الإسلام الذي ينادي به الإمام ويجعله شرطاً لاستعادة ذات الأمة، إنما هو إسلام رسول الله ﷺ حيث يقول في تنمة النص الأنف: (حتى نعود إلى الإسلام؛ إسلام رسول الله، وسوف لن

الإسلامي منذ أكثر من مائة عام، وبالتالي فإن مهمة الباحث ينبغي أن تنصرف لاستقصاء معالم الفكر الإحيائي النهضوي لدى هؤلاء، واكتشاف نظرياتهم في قضايا الأمة ومشكلاتها الحضارية.

من مزايا هذا المنهج أنه يوفر للأمة فرصاً أوفر للتعامل الخصب مع فكر أولئك وإنجازاتهم، وهو يمنح الحيوية لفكرهم بعد أن يصاغ على شكل نظريات إزاء قضايا الواقع.

كما أنه يكسر الحصار المنهجي المفروض على رجالنا ويتجاوز الإقصاء والإلغاء الذي يمارس ضدّهم على أساس الانتماء المذهبي.

وحين نتحدث في نطاق المسلمين، يمكن أن نتفق على مفهوم عريض للإحياء يتألف من حس عميق بالواقع المعاش ومرارته، وتجاوزه نحو الأفضل، شرط أن يستند التغيير إلى رؤية فكرية تحليلية

الاحتفاء بهذه المناسبة. بيد أنه يعود بشخصه ليرفض مجرد الاحتفال والاقتصار على الهتاف والشعار، ويبحث على الحركة والفعل التغييري. يقول: « إن الاكتفاء بالاحتفال بيوم القدس عن طريق إطلاق الهتافات وعقد الاجتماعات... لا يمكن أن يقف حائلاً بوجه الحكومات؛ وقد تؤدي هذه الأعمال الغرض المطلوب لكنها لا تكفي لوحدها ».

مانسعى إليه ونبغى ترسيخه في دراسة شخصياتنا هو تجاوز النهج الذي يقتصر على الاحتفاء بكلمات التمجيد والتبجيل وذكر المؤلفات، لنضعها في مدارها الواقعي، كونها رموزاً ريادية لم يقتصر إنجازها على مدّوعي الأمة بالفكر، وإنما تركت في وجودها بصمات مؤثرة.

وزبدة هذه المحاولة تتمثل بالنظر لهذه الرموز الريادية. إنها شخصيات كبيرة في خطّ الإحياء الذي عمّ العالم

ساحات المسلمين المختلفة.
عندما ينتهي الدارس من بعض
التحديات المنهجية التي تتناول
إمكانية الإحياء الإسلامي ومعناه،
يقف حيال إنجاز الإمام وأمامه
قراءتان إيجابية وسلبية « إذا صحَّ
التصنيف ». والأساس في هذ
التصنيف أن الممارسة الإحيائية نتيجة
للإسلام تارة وللواقع تارة أخرى.

فالشخصية الإحيائية تستلهم من
الإسلام عوامل الإحياء وممكناته
وتدفع بها إلى المسلمين، وهذا ما
نسميه بالجانب الايجابي من الإحياء،
في حين تتجه للواقع وتعالج
العقبات التي تحول دون فاعلية هذا
الدين وامتداده وعطائه، وهذا هو
الجانب السلبي الذي يشهد صراعاً
ومعارك محتدمة مع جميع العوامل
المعوقة لانطلاقة الدين، سواء عبّرت
عن نفسها بصيغة عوامل تعويق
داخلية أو تحديات وعقبات خارجية

لعلل الواقع المعاش، إلى جوارها
رؤية فكرية ينطلق منها برنامج
يترسم منطلقات التغيير. وقد تمارس
الشخصية الإحيائية بعض منطلقات
فكرها في التغيير أو أُتيحت لها
إمكانات ذلك، وقد تموت وتختفي
من الساحة ويبقى فكرها الإحيائي
مناراً لعمل الآخرين.

ولاريب أن الإمام الخميني تميز
من بين رموز الإحياء الإسلامي
خلال أكثر من قرن، أنه توفر على
البعدين في زمن واحد، فهو صاحب
نظرية أو مشروع في الإحياء، وقد
استطاع في الوقت ذاته أن ينفذ
مشروعه عملياً ويحوله إلى إنجاز
متحقق على أرض الواقع.

وعند هذه النقطة تكمن أهمية
دراسة شخصية الإمام الخميني
كرائد إحيائي يمثل مشروعه العملي
إنجازاً قائماً بالفعل، وصاحب نهضة
يمكن التوفر على اكتشاف عناصرها
العامة التي تستحق التعميم في

خط الإمام الخميني عليه السلام

خط الإمام الخميني عليه السلام كما يعرفه سماحة الإمام القائد (دام ظلّه الوارف) هو: فهمه الأصل للإسلام كرسالة إلهية، ومنهجه العملي في التعاطي مع قضايا الإسلام والأمة. وهذا يعني أن لخط الإمام بعدين:

البعد الأوّل: فهم الإمام النظري للإسلام بما هو عقيدة وفكر وشريعة وقيم وأخلاق وخط سير وسلوك على الله.

والبعد الثاني: المنهج العملي للإمام في التعاطي مع قضايا الأمة المعاصرة وأحوالها وأوضاعها وشجونها وآمالها وآلامها، وطريقته وأسلوبه العملي في مواجهة التحديات والأخطار والمحن والفتن التي يواجهها الإسلام والأمة من قبل الاستكبار العالمي وغيره.

إن أهم أركان هذا الخطر

يفرضها الوضع الحضاري الراهن للأمة الذي يشهد استعلاء الغرب وضغوطات حضارته المادية.

والواقع أن الإمام خاض معركة ضارية في الجبهتين معاً، ذلك أن مهمة إحياء الدين ونفض الغبار عما لحقه من ركाम التخلف والجمود بفعل عوامل معروفة، لم تكن أقل قسوة من ضراوة المعركة على الجبهة الثانية؛ جبهة الواقع في معوقاته الداخلية وتحدياته الخارجية، إن لم تكن أشدّ منها كما صرّح الإمام أكثر من مرّة.

نعرف أن هذه المحاولة محفوفة بأسئلة أساسية ومهمة عن إمكان الإحياء ومعناه وتاريخيته في حياة المسلمين، ثم مدها وأدواته. كما نعرف أن دراسة مثل هذه لشخصية الإمام الخميني تحتاج لجهود كبيرة وتقصي واسع لمئات الخلفيات والمواقف وألوف النصوص والوقائع، بيد أن الذي لا نشك فيه أنها ستعود بمعطيات مهمة على وعينا وواقعنا.

يحددها للأمة.
 خامساً: الصمود في مواجهة نفوذ القوى الأجنبية المستكبرة وعدم مساومتها، والثبات السياسي على المواقف المبدئية تجاه كل القضايا السياسية.
 سادساً: الاهتمام بالجانب الروحي والمعنوي، والعمل على بناء الذات على التقوى، والصمود في مواجهة وساوس النفس الإنسانية أو (سلطة شيطان النفس) على حد تعبير الإمام القائد.
 يقول الإمام القائد (دام ظله الوارف) عن الخصوصيتين الأخيرتين:
 (هذان الأمران المهمان وهذان الميدانان للصراع - أي الصراع مع قوى الاستكبار والصراع مع النفس - لم يكن الإمام يفصلهما عن بعض، كان يقف في الساحة الاجتماعية والسياسية في مقابل الشيطان الأكبر وشياطين القوى المستكبرة، وكان

وميزاته وخصوصياته حسبما يشير سماحة الإمام القائد (دام ظله الوارف) هي:
 أولاً: الربانية والارتباط بالله سبحانه وتعالى ارتباطاً وثيقاً قائماً على أساس العبودية الحقيقية لله تعالى، والإخلاص له، والتوكل عليه في كل الحالات، وهذا هو قوام الخط وأساسه الأول.
 ثانياً: التقيّد الكامل بالتكاليف والمسؤوليات الإلهية والعمل على امتثالها وتطبيقها مهما كانت النتائج.
 ثالثاً: الإصرار على الالتزام بالإسلام المحمدي الأصيل وتحطيم حاجزي التحجر والالتقاط في الفهم والعمل الإسلامي.
 رابعاً: التأكيد على ارتباط الحاكمية والقيادة بالولي الفقيه في عصر غيبة الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ووجوب التفاف الناس حول قيادته والتقيّد بأوامره والمسؤوليات والتكاليف التي

يجاهد في ساحة النفس الإنسانية نفسه ويصّر على العمل العبادي وبناء الذات وتركيز النفس وتهذيبها).

سابعاً: التبنى المستمر لقضايا المستضعفين في العالم الإسلامي، بشكل جاد، والدفاع عن مواقعهم وقضاياهم بكل الوسائل الممكنة، والعمل على إنقاذهم ورفع الحرمان عنهم وتأمين العدالة الاجتماعية.

ثامناً: الإصرار على وحدة المسلمين ومحاربة محاولات بث الفرقة بين الشعوب الإسلامية.

تاسعاً: التوجه الخاص للصراع مع الكيان الصهيوني الغاصب والمحتل للقدس، فإن قضية الصراع مع العدو الإسرائيلي كانت تحتل مكاناً في منطق وطريقة وتخطيط الإمام عليه السلام.

يقول الإمام القائد (دام ظله الوارف): (ففي نظر الإمام تعتبر قضية الصراع مع الصهاينة من الأصول والثوابت التي لا يجوز غض

النظر عنها من قبل الشعوب الإسلامية بأي وجه من الوجوه، وذلك لأن الإمام قد شخص بدقة الدور الإرهابي والمخرب والهدّام لهذا الكيان الغاصب قبل سنوات من الثورة).

عاشراً: إعطاء الأهمية لقدرات الشعوب واعتبارها عنصراً أساسياً في أية حركة تغييرية. (فقد كان الإمام يخاطب الشعوب ويتكلم معها، وكان يعتقد أن تحولات العالم الكبيرة إذا حدثت بأيدي الشعوب فلن تقبل الهزيمة والانكسار، وتستطيع الشعوب أن توجد تحولاً في الدنيا وتغير المحيط الذي تعيش فيه).

الحادي عشر: إيجاد علاقات صحيحة مع الدول على مستوى العالم باستثناء الدول المستكبرة كأمریکا مثلاً (فالعلاقة مع أمريكا مرفوضة لأنها دولة مستكبرة ومعتدية وظالمة، وهي في حالة حرب وصراع مع الإسلام) على حدّ تعبير

الإمام القائد (مد ظله الوارف).

لقد تميز خط الإمام من خلال هذه الخصوصيات عن سائل الخطوط السياسية المعاصرة، وبرز كخط إيماني سياسي جهادي واضح المعالم والاتجاه، واستقطب هذا الخط دون سائر الخطوط جماهير الأمة.

ونحن بحاجة دائماً إلى شرح وبيان معالم هذا الخط وأركانه وخصوصياته من أجل أن نحاكم أعمالنا وسلوكنا وأداءنا على أساسه، لأنه عندما يكون الخط واضحاً لدينا نستطيع أن نحصن المسيرة الإسلامية إيمانياً وفكرياً وثقافياً وسياسياً وفي الإلتزام والأداء.

خط الإمام

من أهم مكاسب الثورة الإسلامية ظهور خط سياسي إسلامي، يعبر عن مواقفنا الإستراتيجية السياسية

والجهادية، ويرتبط بمواقفنا وأصولنا الفكرية والإيمانية، وذلك هو خط الإمام الخميني رحمته، قائد الثورة الإسلامية الكبرى في عصرنا ومؤسس الجمهورية الإسلامية.

ولا شك أن ظهور خط الإمام حدث سياسي هام، يستحق دراسات واسعة وتحقيقية، فلأول مرة في العصر الحاضر يكون لجهادنا السياسي، خط سياسي محدد المعالم، واضح الاتجاه.

وقد ظهر مصطلح (خط الإمام) لأول مرة عند احتلال السفارة الأمريكية، من قبل الطلبة المسلمين، الذين سمو أنفسهم بـ (الطلبة السائرين على خط الإمام) ومنذ هذا التاريخ دخل هذا المصطلح في قاموس الثورة، إلا أن مضمون خط الإمام، والمحتوى السياسي والفكري، لهذا المصطلح كان موجوداً في عمق الثورة، قبل ذلك بزمان بعيد.

✍ الأربعين الحسيني وقيم الشهادة

إعداد: أ. ابراهيم الأسدي
باحث وكاتب من العراق.

الأربعين الحسيني خلود الشهادة وقيم الحسينية محاضرات الإمام الخامنئي دامت ظلته

علي عليه السلام وبقية الشهداء يستشهدون في كربلاء، لكن بني أمية، كما تمكنوا من قتل الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام، ودفنوا أجسادهم تحت التراب، يتمكنون من محو ذكرى وخاطرة هذه الذرية الطاهرة من أذهان الأجيال البشرية، في تلك الأيام والأيام التالية. هل كانت لتلك الشهادة فائدة للعالم الإسلامي؟ وإن تكن ذات أثر لذلك

من أين تأتي أهمية الأربعين؟ هل هي مجرد مرور أربعين يوم على استشهاد الشهيد، ما هي خصوصية الأربعين؟ خصوصية الأربعين تكمن في أن في أربعين الحسين عليه السلام إحياء لذكرى شهادة الحسين عليه السلام؛ وهذا أمر مهم للغاية.

افترضوا بأن تقع هذه الشهادة العظيمة في التاريخ؛ أي أن الحسين بن

والقادمة بقصة شهادته ومظلوميته. الشهيد الذي يتدفق دمه ويسري إلى أعماق التَّاريخ يصبح درساً واسوة للأجيال.

مظلومية شعبٍ ما تصبح مرهمًا يداوي جراحه الملتهبة ظلمًا وعدوانًا، عندما تتحول هذه المظلومية إلى صرخة، تصل إلى أسماع الناس. لذلك تلاحظون الضجة التي تفتعلها القوى الاستكبارية لكي لا يصل صوتنا إلى الشعوب. لذلك تلاحظون القوى الاستكبارية مستعدة لدفع الأثمان الباهضة لكي لا يعلم العالم ما هي تفاصيل الحرب المفروضة وما هي عواملها وما هي الدوافع التي تكمن خلفها، وعلى يد من، وبدعم من فرضت علينا هذه الحرب.

في ذلك الوقت أيضاً، الجهاز الاستكباري كان مستعداً لأصرف جميع ما في يده، من أجل أن لا يبقى اسم الحسين عليه السلام وذكر الحسين، ودم الحسين عليه السلام والشهادة في عاشورا،

العصر، هل هذه الخاطرة كانت ذا أثر في التَّاريخ وهل كان لها أثر في تنوير الأجيال المتأخرة في مواجهة الظلم الذي يجري عليهم من قبل ظلمة وحكام عصرهم.

لو قتل الحسين عليه السلام، ولم يعرف الناس في ذلك اليوم والأجيال التي من بعده بهذه الشهادة، هل كان لهذه الخاطرة أثر أو دور في توعية الناس وهدايتهم وإثارة الشعوب والمجتمعات والتَّاريخ؟ تعلمون جيداً، بأنها لم تكن ذات أثر. نعم؛ الحسين عليه السلام يستشهد، ويصل إلى اعلى عليين في المرضاة الإلهية؛ الشهداء الذين استشهدوا في الغربية والظلام ولم يعلم بهم أحد، ينالون أجرهم في الآخرة، تنال أرواحهم الروح والريحان عند الله تعالى. لكنَّهم هل يصبحون أسوة ودرساً للآخرين؟

متى يصبح الشهداء أسوة؟ تصبح سيرة الشهيد درساً وعبرة للناس، عندما يعلم الناس والأجيال الحاضرة

أنصار أمير المؤمنين عليه السلام. كما ورد في التاريخ، جابر بن عبد الله كان رجلاً ضريراً، وكان عطية ماسك بيده يقوده نحو قبر الحسين بن علي عليه السلام. وعندما لمس القبر بكى وأخذ يتكلم مع الحسين بن علي عليه السلام.^(٧)

فهو بمجيئه وكلامه مع الحسين عليه السلام، أحيا ذكرى الحسين بن علي عليه السلام، وأسس سنة زيارة قبور الشهداء، يوم الأربعاء، هو يوم بهذه العظمة والأهمية.

الأربعين، استذكار النهضة الحسينية

أساساً، أهمية الأربعين تكمن في هذه النقطة، بأن في هذا اليوم، بتدبير إلهي، أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله خلدوا ذكرى النهضة الحسينية وإلى الأبد وتأسست هذه السنة. إذا لم يحرص ذوي الشهداء وأصحاب العزاء، في الحوادث المختلفة، كاستشهاد الحسين بن علي عليه السلام في عاشوراء، على إحياء

درساً للناس في ذلك الزمان والشعوب الآتية. بالطبع، في البداية ما استطاعوا أن يدركوا جيداً، عظمة هذا الأمر. كل ما مرّ الزمان، عرفوا أكثر. في أواسط العصر العباسي، عندما أدركوا تأثير هذه الزيارة في معرفة الناس، قاموا بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام، فتحوا الماء عليه؛ أرادوا أن لا يبقوا له أثر.^(١) هذا هو دور ذكرى الشهداء والشهادة. الشهادة، بدون ذكرى، وبدون إحياء لهذه الذكرى، من غير تدفق دماء الشهداء، ليس لها أثر. الأربعاء، هو اليوم الذي رفعت به راية الشهادة، هو اليوم الذي اعتلت به رسالة كربلاء ويوم ذوي الشهداء؛ سواء كانت عائلة الإمام الحسين عليه السلام أتت إلى كربلاء^(٢) أم لم تأتي.^(٣)

لكن الأربعاء الأول هو اليوم الذي أتى أول زائري الحسين بن علي عليه السلام لزيارة قبره إلى كربلاء؛^(٤) جابر بن عبد الله الأنصاري،^(٥) وعطية^(٦) من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ومن

ذكر وآثار الشهادة، لم يكن لهذه الشهادة الأثر المطلوب ولا يمكن الاستفادة القصوى من معطياتها.

صحيح إن الله تعالى يحيي الشهداء في هذه الدنيا ويبقى ذكر الشهيد في أذهان الناس، لكن السبب الطبيعي الذي جعله الله لهذا الأمر - كباقي الأمور - هو الشيء الذي جعله الله باختيارنا وإرادتنا. نحن نستطيع من خلال اتخاذ القرار الصحيح والمناسب أن نحیی ذكری الشهداء ونخلِّد فلسفة ومفهوم الشهادة.

إن لم تقوم السيدة زينب الكبرى عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام خلال الأسر - سواء في عصر عاشوراء عندما كانوا بكربلاء، وسواء في طريقهم إلى الشام والكوفة ومن ثم في زيارتهم لكربلاء ثم في طريقهم إلى المدينة، وعلى طوال السنين التي عاشوا بها بعد واقعة عاشوراء ^(٨) - بإفشاء الأمر وتبيين ما جرى على الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء وبيان حقيقة

وفلسفة عاشوراء وهدف الحسين بن علي عليه السلام وما فعلته الأعداء من ظلم بحق الحسين عليه السلام، ^(٩) لما بقيت عاشوراء متدفقة حية ومشتعلة إلى يومنا هذا.

لماذا يؤكد الإمام الصادق عليه السلام على البكاء على الحسين عليه السلام ولماذا كل هذا الثواب لمن ينشد شعرا على الحسين عليه السلام أو عن عاشوراء ^(١٠) لأن الجهاز الإعلامي آنذاك، كان مجهزاً لتهميش قضية عاشوراء وكل ما يتعلق بموضوع أهل البيت بصورة عامة لكي لا تعرف الناس ماذا جرى في كربلاء وما هي القضية. هكذا هو الإعلام، في تلك الأيام أيضاً كانت القوى الظالمة والجائرة، تبذل ما بوسعها من الأكاذيب والإشاعات المغرضة، لكي لا تصل الحقيقة إلى الناس. في هذه الظروف، هل كان لقضية كعاشوراء حدثت في صحراء أن تدوي وتبقى بهذا النشاط والتأثير؟ باليقين كانت تضيع لولا

علي عليه السلام ويعرفه كشخص خرج على دولة العدل والإسلام وقام من أجل الدنيا! والبعض كانوا يصدقون هذه الدعايات الكاذبة. وبعد ما قُتل الحسين بن علي عليه السلام بتلك الصورة العجيبة والفجيعة، من قبل الأعداء في رمضاء كربلاء، عبروا عن هذا الأمر بالفتح والنصر والغلبة؛ لكن الإعلام الصحيح الذي قام به الإئمة، غيّر كل هذه الأراجيف. هكذا هو الحق. (١١)

ذكر المصيبة في أربعين سيد الشهداء عليهم السلام

أود أن أنعى الحسين بن علي عليه السلام بجملة واحدة، فغدا ذكرى أربعين سيد الشهداء عليهم السلام. نحن هنا من جميع أنحاء البلاد اجتمعنا في مزار الإمام الخميني في ذكرى وفاته. تزامن هذا التجمع والاجتماع حول قبر الإمام الراحل، مع أربعين الحسين عليه السلام تزامناً عجيباً. في يوم الأربعين، بعد تلك الأيام المرة وتلك الشهادة العجيبة،

تلك المساعي وتلك المجاهدة. الذي أبقى هذه الذكرى، مساعي أهل بيت الحسين بن علي عليهم السلام. وكما واجه جهاد الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه الموانع والصعوبات، كذلك واجهت مساعي زينب الكبرى عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام وبقية أهل البيت العظام، المصاعب. بالطبع لم تكن الساحة عسكرية، بل كانت ساحة إعلامية، ثقافية وتبليغية. يجب أن ننتبه إلى هذه النقاط.

الدرس الذي يجب أن نأخذه من الأربعين، هو أنه لا بد علينا أن نحافظ بذكرى الشهادة الحقيقية وخاطرة الشهادة أمام عواصف الأعداء الإعلامية. إن لم يكن إعلام الحق في مواجهة إعلام العدو، سيبقى العدو يصول في الساحة لوحده ويغلب. ساحة الإعلام، ساحة عظيمة جدا وخطيرة للغاية.

جهاز يزيد الظالم، من خلال الإعلام، كان يندد بالحسين بن

ثم تأزر بأزار ووضع إزار على كتفه؛ كمن يريد الطواف ببيت الله الحرام. ثم اتجه نحو قبر الحسين عليه السلام. وكان ضريراً. وعندما وصلنا قرب قبر الإمام الحسين عليه السلام وعندما تلمس القبر وعرفه، تدفقت مشاعره. لعل هذا الشيخ كان قد رأى الحسين بن علي عليه السلام في حجر الرسول صلى الله عليه وآله، فصرخ بصوت عالٍ ثلاث مرات: يا حسين، يا حسين، يا حسين! (١٤)(١٥)

الاتساع المتزايد لزيارة كربلاء

"كربلاء المقدسة" هي كعبة القلوب. النقطة التي دفن فيها ذات يوم كل شيء؛ يوم انتهت به الاصلة، الحقيقة، القيم وجميع معالم الإسلام المحمدي صلى الله عليه وآله. لكن لاحظوا اليوم كيف تنجذب قلوب الناس في جميع أنحاء العالم إلى هذه النقطة! هذا، ليس بصورة إيمان وعقيدة، بل بصورة العشق الحقيقي. من إيران، من السعودية، من الهند، ومن جميع أنحاء العالم، تأتي الناس إلى هذه المكان بكل

اجتمع أول زوّار لأبي عبد الله الحسين عليه السلام حول قبر ذلك الإمام المعصوم الشهيد.

كان من ضمن هؤلاء الزوّار، "جابر بن عبد الله الأنصاري"، و"عطية بن سعد العوفي" أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. كما كان جابر بن عبد الله الأنصاري من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله ومن شارك في واقعة بدر؛ (١٢) وكان شيخاً عجوزاً في ذلك الوقت قد تجاوز - على الظاهر - السبعين من عمره أو أكثر من ذلك. لأنه كان ممن حارب مع الرسول صلى الله عليه وآله في بدر؛ لكن عطية كان من أصحاب أمير المؤمنين وكان أقلّ عمراً من جابر في ذلك الوقت. لأنه - عطية بن سعي العوفي - عاش حتى زمن الإمام الباقر عليه السلام. (١٣)

ينقل عطية: عندما وصلنا إلى ذلك المكان، أردنا أن نتوجه نحو القبر، ولكن جابر قال: تعال نغتسل بشط الفرات أولاً. فاغتسلنا بشط الفرات،

الزيارة ولا يستطيعون تحملها! هناك من يواجه المجاميع التي تتجه لزيارة الأربعين من أنحاء العراق نحو كربلاء. قد واجهت العشائر المؤمنة والغيورة في العراق اختبارات دموية من أجل القيام بهذه الزيارة، لا يسمحون ببث أنباءها.

لو كان المجال مفتوحاً، لرأيتم هذا الاشتياق؛ لرأيتم كم هي كثيرة هذه القلوب العاشقة والمتحمسة والمحبة للحسين عليه السلام. كم هي واسعة، كم هي عميقة! لأن الحب والعشق، كالنار الملتهبة. هذه المحبة، هي محبة معنوية، يزداد اشتعالها يوم بعد يوم، لا تنطفي أبداً، لا تخمد. هذا هو العامل المعنوي. هنيئاً لقلب من يحضى بجرقة من هذه الشعلة. ^(١٦)

الأربعين، أول تدفق لعين المحبة الحسينية

تفتحت في الاربعين أول أزهار الحب الحسيني. أول تدفق لعين

شوق. فيتبين أن الأيادي المادية لن تستطيع أبداً أن تدفن القيم والأصالة. فإن كان هناك أناس ضعاف النفوس، دفنت أمام أعينهم الأصالة والحقيقة، سينالون جزاء ضعف همتهم وهوان حميتهم. لكن سيبعث الله تعالى، أناس يستفيدون من هذه الأصالة.

منذ أن وقت حادثة عاشوراء، وحتى صار الناس يتوافدون على قبر الحسين، قد اتسعت هذه الدائرة بصورة متزايدة على خلاف الوضع الطبيعي في العالم. لأنكم عندما ترمون بحجارة في الماء، تتكون امواج - على شكل دائرة أطراف هذه الحجارة - لكن كل ما يمرّ الزمن، تصغر هذه الدائرة إلى أن تختفي. لكن في هذه الحادثة، وقع العكس، أي كل ما اتسعت هذه الدائرة، ارتفعت أمواجها أكثر، واتضحت، وبرزت، وبقيت، وولدت، وتدفقت.

الآن، أيضاً هناك موانع. هناك من أتباع المتوكل، لا يستسيغون هذه

بعطاء؛^(٢٢) - على العموم كان أحد كبار التابعين في الكوفة^(٢٣) - قد قطعوا هذا الطريق وقد وصلوا في هذا اليوم^(٢٤) - الأربعين - إلى مزار شهداء كربلاء.

بداية الجاذبية الحسينية، في يوم الأربعين. هي التي جاءت بجابر بن عبد الله الأنصاري من المدينة إلى كربلاء. هذه الجاذبية، هي نفسها اليوم، بعد هذه القرون المتبادلة، في قلبي أنا وقلوبكم. الذين في قلوبهم معرفة أهل البيت، يتوقد دائماً في قلوبهم العشق والحماس إلى كربلاء، هذا الأثر قد بدأ من ذلك اليوم. العشق لترربة الحسين، ولمرقد سيد الشهداء عليه السلام.

جابر بن عبد الله الأنصاري كان من مجاهدي صدر الإسلام؛ كان ممن حاربوا في واقعة بدر؛^(٢٥) أي أنه كان بخدمة الرسول صلى الله عليه وآله وجاهد مع الرسول، قبل ولادة الإمام الحسين عليه السلام. فهو ممن شاهد ولادة الحسين ونشوء بعينه. جابر بن عبد

الحب الحسيني المتدفق، الحب الذي أجرى نهر الزيارة طوال هذه القرون. مغناطيس الحب الحسيني الجذاب، قد جذب القلوب في أول أربعين نحوه. فذهب جابر بن عبد الله الأنصاري، وعطية بن سعد العوفي، إلى زيارة الامام الحسين عليه السلام^(١٧) في الأربعين،^(١٨) كانت بداية لتيار مبارك استمر طوال هذه القرون حتى يومنا هذا، واستمرت هذه المسيرة بعظمة أكثر، وجاذبة أقوى، وحماس أشد لكي تحيي اسم الحسين وذكرى عاشوراء في العالم.^(١٩)

أعطى اسم الحسين بن علي عليه السلام سيد أحرار العالم وسيد الشهداء، رونقاً لهذه الأيام. فمجيء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله إلى كربلاء في يوم الأربعين - بناء على نقل بعض الروايات^(٢٠) - إن كان صحيحاً أم غير صحيح، فالظاهر أنه لا شك بأن جابر بن عبد الله الأنصاري، مع أحد كبار التابعين - الذي سمي بعطية^(٢١) في بعض الروايات، وسمي في البعض الآخر

الله - قطعاً - كان ممن شاهد النبي ﷺ يحضن الحسين بن علي ﷺ ويوس عينيه، ويوس وجهه، كان رسول الله ﷺ يضع الطعام في فم الحسين بن علي ﷺ بيده الشريفة ويسقيه الماء، فمن المحتمل أن يكون جابر بن عبد الله قد رأى هذه المشاهد بعينه. جابر بن عبد الله - قطعاً - قد سمع بأذنه قول الرسول ﷺ: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" (٢٦) ومن ثم بعد الرسول ﷺ موقع الحسين ﷺ وشخصية الحسين ﷺ في زمن الخلفاء، وفي زمن أمير المؤمنين ﷺ في المدينة وفي الكوفة، كلها كان قد شاهدها جابر بن عبد الله الأنصاري.

والآن جابر قد سمع بخبر شهادة الحسين بن علي ﷺ. فلذة كبذ الرسول ﷺ استشهد عطشاناً. فقام من المدينة، وجاء إلى الكوفة، وأخذ معه عطية. يروي عطية أن جابر توجه نحو نهر الفرات، واغتسل هناك، لبس ثوباً أبيضاً نضيفاً، ومن ثم أخذ يخطوا خطوات هادئة، ويسير باحترام

واجلال نحو قبر الحسين ﷺ.

الرواية التي قرأتها تقول: عندما وصل إلى القبر، صرخ ثلاث مرات بصوت مرتفع، قائلاً: "الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر" فإنه عندما يرى كيف قتل الحسين بن علي ﷺ فلذة كبذ النبي والزهراء، مظلوما بيد أصحاب الشهوات والطواغيت، يكبر. ثم تنقل الرواية: بأنه أغمي عليه على قبر الإمام الحسين ﷺ - من شدة الحزن. لا أعلم ماذا جرى، لكن الرواية تقول أنه بعد ما أفاق من غيبوته، بدأ يتحدث مع الإمام الحسين ﷺ قائلاً:

"السلام عليكم يا آل الله، السلام عليكم يا صفوة الله" (٢٧)

يا أيها الحسين المظلوم، يا أيها الشهيد!

اليوم نحن أيضاً نقول لك في بداية هذا العام، من أعماق وجودنا: "السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام على الحسين الشهيد". ألا أن شهادتك، وجهادك وثباتك، قد أعطى

جرت تلك المصيبة العظيمة، وبعد أن ضحى أبا عبد الله ﷺ وصحبه واهل بيته تلك التضحية المنقطعة النظير في ذلك المكان الضيق والمحدود؛ كان على الأسرى أن ينشروا هذه الرسالة في مكان أوسع. كان على حادثة الأسر أن تفشي ما حدث في كربلاء، الخطب والحقائق التي بيتهها زينب الكبرى ﷺ والإمام السجاد ﷺ نشرت تلك الفكرة والواقعة والهدف والاتجاه كإعلام قوي في مساحة وسعة ولا تزال تعمل بنفس القوة والقدرة.

الصمت المميت؛ نتيجة الاختناق اليزيدي بعد عاشوراء

من صفات المكان المضطهد أن الناس لا يجدون الفرصة والجرأة لبيان الحقائق التي يعرفونها من خلال عملهم وتصرفاتهم؛ لأن الجهاز الظالم والمستبد لا يسمح للناس أن يعرفوا ويفهموا وإن خرج فهم الناس عن سيطرتهم، - أي عرف الناس ما لا ينبغي أن يعرفوه - فهناك لا تسمح لهم

رونقاً للإسلام ووهب دين النبي ﷺ حياة جديدة. إن لم تكن تلك الشهادة، لم يبق لدين النبي ﷺ أثرا. اليوم قلوبنا مشتاقة الي الحسين بن علي ﷺ ولذلك القبر الشريف الطاهر. نحن وإن كنا بعيدين، لكننا نلهج بذكر الحسين بن علي ﷺ ونتكلم بحبنا وعشقنا له. نحن قد عاهدنا أنفسنا ونعاهدها ثانية أن لن نفارق اسم الحسين ﷺ وذكر الحسين ﷺ في حياتنا أبدا. جميع افراد شعبنا، وجميع المواطنين، وجميع الشيعة في العالم وجميع الاحرار في أرجاء العالم، لديهم هذا الشعور بالنسبة للحسين بن علي ﷺ. (٢٨)

الأربعين: بداية نشر الرسالة الحسينية

اليوم، هو يوم الأربعين، ومناسبة التاسع والعشرين من بهمن هي أيضاً مناسبة من هذا النوع. الاربعين في واقعة الطف، كانت بداية لمشروع. بعد أن انتهت واقعة كربلاء، وبعد أن

بالعمل بما عرفوا. ففي الكوفة، وفي الشام، وفي الطريق، قد عرف الكثير من الناس من خلال ما تكلمت به السيدة زينب عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام وأيضاً من خلال حالة الأسرا، الكثير من الأمور، لكنهم لم يجرؤا، ولم يستطيعوا أن يظهروا ما عرفوا، أمام ذلك الجهاز الظالم والمستكبر والمستبد وفي ذلك الفضاء المضطهد. فبقيت تلك الحقيقة عقدة وعبرة في حناجر المؤمنين.

الأربعين: اول مبادرة لكسر جو الاضطهاد

هذه العقدة، انفجرت في يوم الأربعاء، اول تدفق لكسر هذا الاختناق حصل في يوم الأربعاء حيث رجعت زينب عليها السلام إلى كربلاء.

يقول المرحوم السيد بن طاووس ومجموعة من الاكابر - عندما دخلت قافلة الأسرا، أي السيدة زينب عليها السلام وبقية الأسرا في الأربعاء إلى

كربلاء، لم يكن هناك جابر بن عبد الله الأنصاري وعطية العوفي فحسب بل كان معهم جماعة من بني هاشم أيضاً. كانت جماعة من بني هاشم مجتمعة حول تربة سيد الشهداء عليه السلام فقاموا ليستقبلوا زينب عليها السلام. ولعل إصرار زينب الكبرى عليها السلام على العودة إلى كربلاء - عند مغادرتهم للشام - (٣٠) كان من ضمن سياستها الولائية ومن أجل تكوين هذه المجموعة الصغيرة لكن ذات البعد العميق، في ذلك المكان. والآن هناك من يستبعد وصولهم إلى كربلاء في الأربعاء، (٣١) المرحوم الشهيد أية الله القاضي له بحث مفصل في هذا المجال، (٣٢) وهناك يثبت أنه من الممكن أن يقع هذا الأمر.

على كل حال كما ورد في كلام القديماء والكبار، أن زينب الكبرى عليها السلام ومجموعة من أهل البيت عندما دخلوا إلى كربلاء، كان هناك عطية العوفي وجابر بن عبد الله

الأنصاري ورجال من بني هاشم مجتمعين في ذلك المكان. وهذا الأمر هو شاهد ونموذج من تحقق الهدف الذي يجب أن يتحقق بالشهادة؛ أي بث هذا الفكر واعطاء الجرأة للناس. ومن هنا حدثت ثورة التوَّابين؛ مع أن ثورة التوَّابين قد قُمعت،^(٣٣) لكن بعدها بفترة قصيرة حدثت ثورة المختار وبقية الأبطال في الكوفة^(٣٤) التي كانت نتيجتها دحر السلسلة الأموية وسحق الشجرة الخبيثة. نعم؛ ثم ظهرت السلسلة مروانية؛^(٣٥) لكن استمرت المواجهة وانفتح الطريق.

هذه من صفات وخصوصيات الأربعين؛ أي في الأربعين إفشاء للحقائق، وفي الأربعين، مبادرة وعمل كما في الأربعين تحقق للأهداف التي تروم لها إفشاء الحقائق.

مثل هذه القضية، وقعت في الاربعينية التي اقامها اهالي مدينة تبريز، وقد قتلها سابقا إلى أهالي مدينة تبريز الأعرزاء، إن لم تكن حادثة التاسع

والعشرين من بهمن في تبريز - أي لم يكن إحياء لذكرى شهداء مدينة قم من قبل أهالي تبريز بتلك الطريقة والتضحية- لربما أخذت الثورة مسيرة أخرى. كان من المحتمل أن لا تحصل هذه الحادثة العظيمة، التي حدثت؛ أي قضية تبريز وقيام أهالي تبريز في التاسع والعشرين من بهمن، كانت حادثة مصيرية. فالدماء التي سالت في قم والقيم الرئيسية التي أوجدت الحركة في قم، قد أحيها أهالي تبريز في الأربعين التي أقاموها لشهداء قم. بالطبع قد ضحى الناس الكثير في هذا المجال، قد بذلوا أرواحهم وراحتهم وأمنهم في هذا الطريق؛ لكن النتيجة التي حصلوا عليها هي وعي، كل البلاد. فقد أقيم أربعين لشهداء قم في تبريز، وأقيمت أربعينيات متعددة لشهداء تبريز في التاسع والعشرين من بهمن في مدن كثيرة. وهذا إن دل على شيء فهو يدل على اتساع النهضة، وهذه خاصية الحركة الصحيحة.^(٣٦)

التكليف الجماهيري: إحياء ذكرى وخاطرات الأعداء المؤثرة

جهاز الظلم الجور آنذاك ما كان
بوده أن يبقى أثرا لواقعة عاشوراء
الحسين، لكن زينب الكبرى عليها السلام لم
تسمح بذلك. فقد قامت عمنا زينب
الكبرى عليها السلام بمهمتين: أحدهما، حركة
الأسر وما قامت به في الكوفة والشام
من تبين للحق من خلال خطاباتنا
التي أفشت بها الكثير من الأمور
والحقائق؛ والحركة الثانية، مجيئها إلى
كربلاء في الأربعين - إما الأربعين
العام الاول أو الثاني ليس مهم - المهم
أن هذه الحركة تعني أنه يجب أن لا
نسمح للدوافع الخبيثة التي تريد محو
المقاطع المهمة والمؤثرة والثرينة، أن

الهوامش:

- [١] مقاتل الطالبيين، ص ٤٧٨ - ٤٧٩؛
مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٥٣؛ بحار
الانوار، ج ٤٥، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.
[٢] الأثار الباقية عن القرون الخالية، ص
٤٢٢.
[٣] العدد القوية، ص ٢١٩؛ بحار الانوار، ج
٩٨، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

تنجح؛ بالطبع أنها لن تنجح. ما دامت
الشعوب واعية، وما زالت الألسن
الناطقة بالحق موجودة. وما زالت
قلوب المؤمنين متحمسة، لن يستطيعوا
أن يمحو هذه الذكريات وهذه
الحقائق من الأذهان. كما أنهم ما
استطاعوا إلى يومنا هذا. هذه الدوافع
المعاندة والمعادية كانت من صدر
الإسلام إلى أمد طويل؛ منهم كما
تعلمون المتوكل العباسي - حوالي ١٧٠
او ١٨٠ عام - بعد واقعة عاشوراء؛
أراد أن يهدم قبر أبي عبد الله عليه السلام؛ فعلى
الشعب الإيراني أن يبقى منتظرا وينظر
ماذا يفعل الأعداء - أعداء الثورة - من
مؤامرات وفتن واعمال خبيثة من أجل
إخماء جمال وحلاوة الثورة. (٣٧)

[٤] نفس المصدر.

- [٥] رجال الطوسي، ص ٣١ - ٣٢؛
الاستيعاب، ج ١، ص ٢١٩ - ٢٢٠.
[٦] قاموس الرجال، ج ٧، ص ٢٠٩ - ٢١١.
[٧] تنبيه الغافلين، ص ٩٠؛ مقتل الحسين،
خوارزمي، ج ٢، ص ١٩٠ - ١٩١؛ بحار
الأنوار، ج ٦٥، ص ١٣٠ - ١٣١.

- [٨] الكافي، ج ١، ص ٤٦٨؛ تاريخ مدينة
يمشق، ج ٤١، ص ٤١٥؛ بحار الأنوار، ج
٤٦، ص ١٢. الزينبيات، ص ١٢٢؛
قاموس الرجال، ج ١١، ص ٤٣.
- [٩] الفتوح، ج ٥، ص ١٢٣؛ مقاتل
الطالبين، ص ١١٩ - ١٢٠؛ الإحتجاج،
ج ٢، ص ٣٣ - ٣٤؛ مناقب آل أبي طالب،
ج ٣، ص ٣٠٥؛ اللهوف، ص ٩٢ - ٩٣؛
بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٨ - ١٤٩؛
أخبار الزينبيات، ص ١١٥ - ١١٩؛
أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٠٦؛
الفتوح، ج ٥، ص ١٢١ - ١٢٢؛ الإرشاد،
ج ٢، ص ١١٥ - ١١٦؛ الإحتجاج، ج ٢،
ص ٣٣ - ٣٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص
١٩٨؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٢٢؛
[١٠] ثوار الأعمال، ص ٨٣ - ٨٥؛ بحار
الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.
- [١١] في لقاء مع مجموعة من أهالي مدن نائين،
ابرده، خراسان ومجموعة من عوائل
الشهداء من مدن طهران، گرگان،
چهاردونغه، واعضاء جمعية الصليب
الأحمر، ومسؤولي الأقسام الثقافية في
مؤسسة الشهيد ومجموعة من طالبات
الجامعات في اصفهان، بتاريخ ٢٩ - ٦ -
١٣٦٨هـ. ش / ١٩٨٩م.
- [١٢] التاريخ الكبير، ج ٢، ص ٢٠٧؛ اختيار
معرفة الرجال، ج ١، شرح ص ٢٠٥ -
٢٠٨.
- [١٣] قاموس الرجال، ج ٧، ص ٢٠٩ -
٢١١.
- [١٤] تبيينه الغافلين، ص ٩٠؛ بشارة
- المصطفى، ص ١٢٥، بحار الأنوار، ج
٦٥، ص ١٣٠.
- [١٥] خطبة صلاة الجمعة في طهران بتاريخ
١٤ - ٣ - ١٣٧٨هـ. ش / ١٩٩٩م.
- [١٦] في لقاء مع وزير التجارة والوفد المرافق
له، بعد سفره إلى كربلاء، بتاريخ ٣ - ٨ -
١٣٧٨هـ. ش / ١٩٩٩م.
- [١٧] مقتل الحسين، خوارزمي، ج ٢، ص
١٩٠ - ١٩١؛ بحار الأنوار، ج ٦٥، ص
١٣٠ - ١٣١.
- [١٨] مسار الشيعة، ص ٤٦؛ بحار الأنوار، ج
٩٥، ص ١٩٥.
- [١٩] خطاب العام الجديد بمناسبة حلول
العام ١٣٨٥ الهجري الشمسي. /
٢٠٠٦م.
- [٢٠] الأثار الباقية عن القرون الخالية، ص
٤٢٢؛ اللهوف، ص ١١٤؛ بحار الأنوار،
ج ٩٨، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.
- [٢١] بشارة المصطفى، ص ١٢٤ - ١٢٦؛
بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ١٣٠ - ١٣١.
- [٢٢] بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٣٢٩.
- [٢٣] قاموس الرجال، ج ٧، ص ٢٠٩ -
٢١١؛ الأعلام، ج ٤، ص ٢٣٧.
- [٢٤] العدد القوية، ص ٢١٩؛ بحار الأنوار،
ج ٩٨، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.
- [٢٥] التاريخ الكبير، ج ٢، ص ٢٠٧؛ اختيار
معرفة الرجال، ج ١، شرح ص ٢٠٥ -
٢٠٨.
- [٢٦] المعجم الكبير، ج ٣، ص ٣٩؛ شرح
الأخبار، ج ٣، ص ٧٦؛ بحار الأنوار، ج
٢٧، ص ١١٩.

- [٢٧] بحار الانوار، ج ٩٨، ص ٣٢٩.
- [٢٨] كلامه في الصحن الجامع الرضوي - مشهد المقدسة، بتاريخ ١ - ١ - ١٣٨٥ / م. ٢٠٠٦.
- [٢٩] اللهوف، ص ١١٤.
- [٣٠] المصدر السابق.
- [٣١] بحار الانوار، ج ٩٨، ص ٣٣٤.
- [٣٢] بحث حول أول اربعين لسيد الشهداء - عليّ - .
- [٣٣] الطبقات الكبرى، خامسة ١، ص ٥٠٩ - ٥١٠.
- [٣٤] الاخبار الطوال، ص ٢٨٨ - ٣٠٨؛
- الأمالي، الطوسي، ص ٢٤٠ - ٢٤٥؛ بحار الانوار، ج ٤٥، ص ٣٣٢ - ٣٣٨.
- [٣٥] الاخبار الطوال، ص ٢٨١ - ٢٨٥؛ الإختصاص، ص ١٣١.
- [٣٦] لقاء مع جمع من أهالي محافظة أذربايجان الشرقية بتاريخ ٢٨ - ١١ - ١٣٨٧ هـ. ش / ٢٠٠٨ م.
- [٣٧] في لقاء مع مجموعة من أهالي مدينة قم، بمناسبة ذكري يوم التاسع عشر من ذي حسيّنة الإمام الخميني عليه السلام بتاريخ ١٧ - ١٠ - ١٣٩٣ هـ. ش / ٢٠١٤ م.

الدكتور خمائل شاكر الجماليّ
مركز إحياء التراث العلمي العربي . جامعة بغداد

الثورة الحسينية وزيارة الأربعين وأثرها الفكري والعقائدي في جهاد الحشد الشعبي

المقدمة

دروساً لحياته التي يرنو ببناءها على أسس التوحيد. فكل مبادئ الإسلام وجوانب العقيدة تجسدت عملياً في هذه الثورة، إذ نجد الإسلام في السياق الفكري، وفي العمل، وفي مرحلة التحقيق والتطبيق لها.

إذ مثلت هذه الثورة منظومة واقعية مؤثرة على الصعيد النضالي، فتحوّلت من تراث إلى خطاب وفكر لم يفقد نبرته خلال الأزمنة، ورسالة إلى فريضة لدى الأجيال في وجوب التصدي للانحراف والفساد والظلم،

سجلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام نجاحاً في إبراز مفاهيم فكرية وعقائدية في المجتمع الإسلامي من الممكن تحديدها تحت عنوان الهوية العقائدية للثورة، استهدفت تحقيق متطلبات الوعي الإسلامي المعاصر. إذ إن من السمات الأصيلة للثورة تداخلها العضوي بالهوية الإسلامية، فهي تجسد الإسلام فكراً حياً، وهي شعار المسلم الذي يلتبس منها

الرسالة الإسلامية ومبدأ المعاد، وخطابه الجهادية مع أصحابه يؤكد الشهادة بصورة واقعية؛ إذ عدَّ الإمام الحسين عليه السلام الشهادة قيمة حضارية لبقاء الدين الإسلامي وحمايته من الانقراض والانحراف على قوى الشر التكفيرية مشدداً بتكرار الشهادة علناً؛ إنها أراد أن يجسد هذه الحتمية؛ لأنها غابت منذ استشهاد الإمام علي عليه السلام. فقد ركز الإمام الحسين عليه السلام في تصريحاته وبياناته على عنصر الشهادة في سبيل الحق والدين، فقد فضل الموت على الحياة مع الظلم وسجل موقفاً إنسانياً ما زال خالداً في ضمائر الناس جميعاً على مرّ الأيام والعصور بقوله: (فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً).

ومن أجل تأصيل خط الشهادة الحسينية في حياة المسلمين، وهذه الروح التي لها أعلى مستوى من الضمير والإرادة النضالية الحقيقية التي باتت تحرك الضمائر في نفوس الأجيال وأبناء الحشد الشعبي، مثلما

خاصة إذا كان نابعاً من السلطة، مُشكلة بذلك منهجاً أصبح مثلاً أعلى في وعي المتطلعين إلى التغيير، بصرف النظر عن ميولهم ومواقفهم السياسية والاجتماعية.

مثل الإمام الحسين عليه السلام في ثورته فكر وعقيدة الجهاد النضالي؛ بأسلوب واقعي مؤثر، وكانت بمثابة رسالة وفريضة عند الأجيال؛ للتصدي للانحراف والفساد والظلم، وكان من أهم أدوات ثورة الإمام عليه السلام هو معالجة وعي المجتمع نحو ما نسميه وحدة الجهاد الوطني، والوقوف ضد السكون الظاهري الذي يسود بعض المجتمعات؛ لنصرة الحق من التشتت والتمزق والاستجابة لثورة جهادية نضالية، للوقوف بوجه الرعب والفرع الذي يهدد الإسلام والمسلمين؛ فكانت في ثورته الجهادية وخروجه بالجيش للمواجهة في كربلاء مشخصاً الواقع؛ الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية في عهد (معاوية ويزيد) عهد الظلم والاستبداد، مشدداً لمبدأ

نجاحاً في إبراز مفاهيم فكرية وعقائدية في المجتمع الإسلامي من الممكن تحديدها تحت عنوان الهوية العقيدية للثورة، استهدفت تحقيق متطلبات الوعي الإسلامي المعاصر. إذ إن من السمات الأصيلة للثورة تداخلها العضوي بالهوية الإسلامية، فهي تجسد الإسلام فكراً حياً، وهي شعار المسلم الذي يلتبس منها دروساً لحياته التي يرنو بناءها على أسس التوحيد. فكل مبادئ الإسلام وجوانب العقيدة تجسدت عملياً في هذه الثورة، إذ نجد الإسلام في السياق الفكري، وفي العمل، وفي مرحلة التحقيق والتطبيق لها^(١).

لقد طرح الإمام الحسين عليه السلام شعار (هيهات منا الذلة) من خلال ثورته؛ لينبه الأمة الإسلامية إلى أصلاتها الرسالية، وعقيدتها القرآنية التي جعلت المؤمنين أعزّة في دستور الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: ٨١.

أراد إمامهم الحسين عليه السلام في ثورته من أجل الشهادة والتضحية لتكريس مبدأ الشهادة في المجتمع الإسلامي وفي نفوس الشرفاء من أبناء الوطن؛ فقد تعلم أبناء الحشد الشعبي من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثقافة الجهاد والشهادة لتحرير إرادة الأمة الإسلامية، وإن يقدموا أبناء الحشد الشعبي هذه الثقافة الأخلاقية الجهادية ليس بألسنتهم؛ وإنما كتبوه بدمائهم وحياتهم، وليطرزوا تاريخهم بهذا الانتصار الحقيقي ضد الشر والارهاب.. وليكونوا مشروع شهادة كما قدّم الإمام الحسين عليه السلام نفسه وأهله من أجل الإسلام والدفاع لنصرة الدين وتسجيل عنوان الشهادة مثلما يكتب الآن أبناء الحشد الشعبي.

الثورة الحسينية وأثرها الفكري والعقائدي في جهاد الحشد الشعبي

سجلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام

للكرامة وتحقيق الذات، الذين لا يعود للحياة بدونها أي معني^(٢).

ومن الواضح أن الإسلام حرم كل ما يبعث على استهانة الإنسان وخذش كرامته، وحرص على اعزاز الإنسان وحماية شرفه وكرامته وصون حرّيته، وحرم كل ما يثلب كرامته، وجهد في حماية الإنسان فرداً ومجتمعاً، مادياً وروحياً، لذلك شرع الحدود والأحكام صيانة لأرواحهم واموالهم وحرماهم ردعا لكل العابثين بأمن وكرامة الإنسان في أي مجتمع وليس فقط المجتمع الإسلامي^(٣).

إذ هدَفَ الإمام عليه السّلم بثورته اجمالاً، شق الطريق الصحيح للأمة المهزومة وإرادتها والمسحوقة كرامتها؛ لتجاهد وتكافح من أجل إنسانيتها، ونلمح هذا النمط من السلوك الداعي إلى رفض الذل والرفع من معنوية الإنسان تجاه الظلم، بقوله لَمَّا خَيْرَ بَيْنَ البيعة والقتل دون رخصة: (لا والله اعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا اقر

من هذا الشعار الذي تجسد في الفكر الإسلامي ومبادئ العقيدة الإسلامية يلتبس أبناء الحشد الشعبي شعارهم للوقوف والدفاع عن الدين والعقيدة؛ لقد وجدوا من ثورة الإمام الحسين عليه السلام أثراً فكرياً وعقائدياً يمثل في ضمائرهم درساً يوضح السمات الأصيلة التي تجسد الإسلام والدفاع والجهاد عنه حتى التضحية بالنفس والمال.

ومن هذا المنطق الإسلامي ركز الإمام الحسين عليه السلام في ثورته على الإنسان وصون كرامته واتجاهاته العقائدية والدينية، مرتكزاً بذلك على مفهوم الحرية الإنسانية وانتشالها من القيود غير الشرعية التي وضعتها الخلافة الأموية على الإنسان، عن طريق تقويض إرادة الأمة وربطها عملياً بالنظام السياسي الاموي؛ فالحرية تعبير أصيل عن الكرامة الإنسانية، وهي تقدر بمعيار ذاتي وتضفي عليها قيمة معنوية وخلقية أصيلة، بوصفها المظهر الجوهرية

اقرار العبيد، إلا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهرت، وانوف حمية، ونفوس ابية، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام^(٤).

ركز الإمام الحسين عليه السلام في ثورته على الحفاظ على كرامة الإنسان وصون حرите واحترام حقوقه، وحماية شرفه، من هذا التركيز كان المنطلق الأساس للحشد الشعبي لاستلهام همة الجهاد البطولي لديهم للحفاظ على كرامة الانسان حماية شرف الوطن من أيدي قوى الشر التكفيرية، مثلما تجسد في ثورة الإمام عليه السلام في دفاعه للحفاظ كرامة وحقوق الإنسان من أيدي الأمويين.

فكان تحرك الإمام الحسين عليه السلام، من أجل مشروع الدولة الإسلامية التي لا تقوم على الفتوية أو المذهبية أو الطبقية، ولا على الغلبة والاستقواء.

هذا المنظور الإسلامي هو حلم الإنسانية الدائم، فالإنسان بنظرته يبحث دائماً عن المساواة والعدالة والكرامة والحرية، وهذه المفاهيم نهض من أجلها الإمام عليه السلام بوجه حكم معاوية ويزيد، وبهذا المعنى فان الخطاب العام لحركة الإمام عليه السلام هو خطاب الوحدة خارج الحزبية والمذهبية، فمن الخطأ ومن المغالطات ربط ثورة الإمام الحسين عليه السلام بالشيعة، فهو ركز الأسس الفكرية التي يجب على المسلم الالتزام بها طبقاً لمنهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهنا تطور مفهوم التشيع والمشايعه لهذه الأسس والمبادئ التي أرادت ثورة الإمام عليه السلام تركيزها في المجتمع الاسلامي^(٥).

نعم فكان تحرك الإمام الحسين عليه السلام من أجل مشروع الدولة الإسلامية، لا يقوم على فئة أو مذهب، أو طبقة معينة، فأن المفاهيم التي نهض بها الإمام الحسين عليه السلام تشمل الإنسان المسلم، الذي يجب عليه تجسيد الوحدة

يرى أن العزة: هي أن يكون للإنسان عشيرة كبيرة مرهوبة الجانب تدفع عنه كل ضيم واعتداء، وبذلك يكون اعتماده على العصية القبلية التي كانت محوراً لتحركاته وتصرفاته. وهناك من يرى، وكما في الجاهلية القديمة أن تملك المال والثروة والجاه والسلطان، وهي العزة، فلذا كانوا فيها يحترمون الغني، ويقدرون الثري^(٦).

ولا ريب إن هذا المفهوم، هو مفهوم خاطئ يرفضه الإسلام، ومثّل ﷺ هذا الرفض الإسلامي في ثورته، إذ رفض الواقع المعاش مع يزيد، ورفض الخضوع وتمتع بحريته وأنكر الذل، فهو القائل للأمويين بشكل قاطع وعملي: (موت في عز، خير من حياة في ذل)^(٧).

لقد ركز الإمام ﷺ في كربلاء قبل استشهاده على مفهوم الحرية الإنسانية، مصرحاً للجيش الأموي في أحد خطباته بتجريدهم عن كل ما

الإسلامية، فكان لهذا التحرك الأثر الكبير في ضمير أبناء الحشد الشعبي، وإن لا تتوقف همّتهم في الجهاد والدفاع عن أرض الوطن عند فئة أو طبقة معينة، فالجهاد في صفوف الحشد الشعبي يشمل الإنسان المؤمن الشريف الذي تدفعه روح الجهاد والشهادة من أجل أرض الوطن، وتحقيق مبادئ ومفاهيم ثورة الإمام الحسين ﷺ، التي جاهد وضحي من أجلها.

أراد الإمام ﷺ أن يوضح للإنسانية عموماً والمسلمين خصوصاً، إن المحاولات الأموية التي سعت إلى تشويه الإسلام، وإفراغ الأمة الإسلامية من محتواها العقائدي، هي محاولات خارجة عن السياق والنظام الإسلامي؛ إذ أراد ﷺ أن يصحح مفهوم الذل ومفهوم العزة الذي تحول في أذهان كثير من الناس إلى مفهوم قلق مضطرب عن طريق ممارسات معاوية ويزيد وأتباعهم؛ فكان من

ينتمون إليه قائلاً لهم: (ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وأرجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون)^(٨).

لقد وضع الإمام الحسين عليه السلام في ثورته كيفة الحفاظ على صورة الإسلام، ومحتواه العقائدي، وصون كرامة الإنسان من العيش في ذل وهوان، والوقوف بوجه واقع الخضوع مهما بلغ الأمر في السلطة، لهذا نجد أبناء الحشد الشعبي يجاهدون من أجل العيش في كرامة، وليس بذل أو خنوع مثلما تسعى من أجله قوى الشر التكفيرية من ذل الإسلام والمسلمين فقد تعلم أبناء الحشد الشعبي من ثورة الإمام الحسين عليه السلام المبادئ الفكرية والعقائدية لصورة الإسلام، في الموت بعز على الحياة بذل؛ لهذا يشيدوا بالجهاد والتضحية بالنفس لحفظ الكرامة الإنسانية والدفاع من أجل الحرية، وصون

الكرامة الإسلام والوقوف بوجه كل من يحاول المساس بالفكر والعقيدة الإسلامية؛ مضحين بالغالي والنفيس من النفس والارواح دون الدين والعقيدة التي وجدوا إمامهم الحسين عليه السلام ضحى بنفسه وأهله وعياله من أجل الدين والعقيدة الإسلامية.

لذلك شدد الإمام الحسين عليه السلام على أهمية المعاد في أساس ثورته: (وإن الجنة حق. والنار حق. وإن الساعة آتية لا ريب منها. وإن الله يبعث من في القبور). ذلك لأن الأمة في عهد معاوية أصبحت منهارة دينياً؛ لأن الحكم غايته السلطة لا إقامة العدل في بلاد الله، ولما كان الحكم والسلطة غاية معاوية، فهو لم يتورع عن اتخاذ أي وسيلة في سبيل الوصول إليه وبقائه تحت يديه، فأصبحت الأمور الاعتقادية للحاكم ومن هم في بلاط السلطة لا قيمة لا ولا قدسية لها؛ لذلك عاش الحكم والرعية حال الانفصال بين دعواهم وإيمانهم

بالإسلام، وعدم صدقية الايمان ببدأ المعاد، وبين واقعهم العملي، فقد وصفهم الإمام الحسين عليه السلام: (الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على سنتهم يحوطونه ما درئت معاشهم، فإذا مُحْصوا بالبلاء قل الديانون)^(٩).

هكذا نجد أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام أسقطت الحكم الأموي بفعل مؤثراتها النضالية والثورية وحررت إرادة الأمة وفَعَلت رقابتها على السلطة، فكانت بحق خطاباً جهادياً لم يفقد روحيته عبر الأزمنة في وجوب الخروج على النظام الظالم، ومنهجاً أعلى في وعي المتطلعين إلى الإصلاح والتغيير، بصرف النظر عن ميولهم ومواقفهم السياسية والاجتماعية. فهي ثورة وأن أخفقت عسكرياً في معركة غير متكافئة، لكنها حققت انتصاراً مهماً في الاتجاه السياسي الثورة، وكذلك خلفت نوعاً من المقاومة السلبية غير الرسمية العاملة باستمرار داخل النظام الأموي، بحيث صارت عادةً وسلوكاً

اجتماعياً، أو ظاهرة اجتماعية داخل الحكم الأموي، تمثلت بمعارضة العلماء والفقهاء المسلمين، فولدت معارضة سياسية دينية منهم، امثال أبو حنيفة النعمان واحمد بن حنبل..، كانت متأثرة بإشعاعات ثورة الإمام الحسين عليه السلام السياسية والإصلاحية، حتى وصل الحال إلى أن أبا حنيفة النعمان وهو احد ائمة مذاهب أهل السنة الرئيسة في الإسلام، رفض أن يشغل أي منصب في دولة بني أمية، فحُزب من والى الكوفة ابن هبيرة؛ لرفضه تولي منصب قضائها وسجن أبا حنيفة على أثر ذلك بتهمة عدم الولاء للخلافة الأموية، حتى تمكن أبو حنيفة من الهرب بمساعدة حارس السجن ويلجأ إلى مكة حتى سقوط دولة بني أمية^(١٠).

إذ مثلت هذه الثورة منظومة واقعية مؤثرة على الصعيد النضالي، فتحوّلت من تراث إلى خطاب وفكر لم يفقد نبرته خلال الأزمنة، ورسالة

الواقع؛ الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية في عهد معاوية ويزيد عهد الظلم والاستبداد، مشدداً لمبدأ الرسالة الإسلامية ومبدأ المعاد، وخطابه الجهادي مع اصحابه يؤكد الشهادة بصورة واقعية^(١٢).

إذ عدَّ الإمام الحسين عليه السلام الشهادة قيمة حضارية لبقاء الدين الإسلامي وحمايته من الانقراض والانحراف على ايدي الشر التكفيرية مشدداً بتكرار الشهادة علناً؛ إنما أراد أن يجسد هذه الحتمية؛ لأنها غابت منذ استشهاد الإمام علي عليه السلام. فقد ركز الإمام الحسين عليه السلام في تصريحاته وبياناته على عنصر الشهادة في سبيل الحق والدين، وأثر الإمام الحسين عليه السلام اليقين بالآخرة واشتياقه لربه؛ فهو يعرف أن مصيره الشهادة؛ فهو فضل الموت على الحياة مع الظلم وسجل موقفاً إنسانياً ما زال خالداً في ضمائر الناس جميعاً على مرّ الأيام والعصور؛ فقد عرض نفسه وأهله للقتل من أجل حماية الإسلام:

إلى فريضة لدى الأجيال في وجوب التصدي للانحراف والفساد والظلم، خاصة إذا كان نابعاً من السلطة، مُشكلة بذلك منهجاً أصبح مثلاً أعلى في وعي المتطلعين إلى التغيير، بصرف النظر عن ميولهم ومواقفهم السياسية والاجتماعية^(١١).

مثل الإمام الحسين عليه السلام في ثورته فكر وعقيدة الجهاد النضالي؛ بأسلوب واقعي مؤثر، وكانت بمثابة رسالة وفريضة عند الأجيال؛ للتصدي للانحراف والفساد والظلم، فكانت ثورة الإمام الجهادية أهم أدواتها هو معالجة وعي المجتمع نحو ما نسميه وحدة الجهاد الوطني، والوقوف ضد السكون الظاهري الذي يسود بعض المجتمعات؛ لنصرة الحق من التشتت والتمزق والاستجابة لثورة جهادية نضالية، للوقوف بوجه الرعب والفرع الذي يهدد الإسلام والمسلمين؛ فكانت في ثورته الجهادية وخروجه بالجيش للمواجهة في كربلاء مشخصاً

بدمائهم وحياتهم، وليطرزوا تاريخهم بهذا الانتصار الحقيقي ضد الشر والارهاب.. وليكونوا مشروع شهادة كما قدم الإمام الحسين عليه السلام نفسه وأهله من أجل الإسلام والدفاع لنصرة الدين وتسجيل عنوان الشهادة مثلما الآن يكتبوا أبناء الحشد الشعبي.

إذ يقول بعض الكتاب: إن هذه الواقعة في كربلاء بمعطياتها، أذكت التشيع إلى أقصى حد، وكانت عاملاً على وحدة بؤرة التشيع وحماسهم لنصرة الإسلام، وسبباً جارفاً ليثاروا من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ومن ثم جعلتهم يشعرون بوجوب توحيد صفوفهم، والالتفاف لمشايحه المبادئ التي خرج الإمام الحسين عليه السلام للدفاع عنها وإصلاح ما انتكس وأنحرف منها^(١٣).

لقد ركزت ثورة الإمام عليه السلام التشيع في إطاره العقائدي وأصبح عقيدة راسخة في نفوس جزء من المسلمين. إذ

(فأني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً).. وقيمة الجهاد والشهادة عند الله. فقد خلق الإمام الحسين عليه السلام روح التضامن والجهاد بفعل ثورته الجهادية في ميدان كربلاء؛ إذ كان الاستشهاد هدفه ومشروعه النهائي وبث إرادة الشهادة والتضحية السليمة من أجل إرجاع الدين والحق، ومن أجل تأصيل خط الشهادة الحسينية في حياة المسلمين، هذه الروح التي لها أعلى مستوى من الضمير والإرادة النضالية الحقيقية التي باتت تحرك الضمائر في نفوس الأجيال وأبناء الحشد الشعبي، مثلما أراد إمامهم الحسين عليه السلام في ثورته من أجل الشهادة والتضحية لتكريس مبدأ الشهادة في المجتمع الإسلامي وفي نفوس الشرفاء من أبناء الوطن؛ فقد تعلم أبناء الحشد الشعبي من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثقافة الجهاد والشهادة لتحريير إرادة الأمة الإسلامية، وإن يقدم أبناء الحشد الشعبي هذه الثقافة الأخلاقية الجهادية ليس بألسنتهم؛ وإنما كتبوه

أبرزت ثورته روح الولاء والإخلاص لأهل بيت الرسول ﷺ عند المسلمين، وقد أنضم تحت مقتضيات هذه الثورة الكثيرون ممن كانوا يقفون موقف الحياد بين طرفي النزاع أو الصراع، خاصة بعد نجاح الإمام ﷺ من تجريد الحكم الأموي من الغطاء الديني الذي كانوا يتسترون تحت رداءه. إذ إن الثورة الحسينية كانت أحد أهم أدواتها وأهدافها لمحاولة معالجة وعي المجتمع نحو ما نسميه الآن الوحدة الوطنية، أو تضامن وطني أو وحدة إسلامية بالمعنى العام. فقد كشف الإمام ﷺ عن خلل عميق في هذه الوحدة وعلى السكون الظاهري الذي كان موجوداً في المجتمع آنذاك؛ فالسكون يمثل حالة الازدواجية في التعامل مع المواقف، فالناس ظاهرياً راضون بما هم عليه، وحقيقة نوازع الناس تختلف كثيراً، فهم يعرفون الحق ولا يتبعوه، وناصروا السلطة ولو بسكوتهم؛ لوصول المجتمع إلى حالة من التشتت والتمزق في اتجاهاتها حول طرفي النزاع، حتى قال الفرزدق للإمام

الحسين ﷺ عن حال أهل الكوفة: قلوبهم معك^(١٤).

دلت ثورة الإمام الحسين ﷺ على الواقع الإسلامي لأهل بيت الرسول ﷺ، وكشفت للعالم الإسلامي المواقف والإمكانات والسمات الصالحة التي يملكونها، من الثبات على الحق والصمود امام الاحداث، وتبني القضايا المصرية للامة، مما جعلت الامة الاسلامية تكن لهم الود والتقدير والولاء والاعتبار؛ إذ وجد الفكر الإنساني في ثورة الإمام الحسين ﷺ شيئاً يتناغم مع ضمائر الأمم وعقولها وعواطفها، كما وجد فيها ذاتية الانسان فرداً ومجتمعاً، ضامنة لحقوقه وكرامته بعيداً عن مضايقة النظام السياسي ايأ كان نوعه، وهذا اضفى الى ان يستوحي هذا الفكر الانساني كل الافكار والمفاهيم والسنن والقيم التي اطرتها النهضة ووظفتها في فهم التاريخ والافادة من حركة التاريخ^(١٥).

لقد تحولت إرادة الأمة الإسلامية في

الإمام عليه السلام في تصريحاته وبياناته بشكل متواصل على عنصر الشهادة في سبيل الحق والدين، فقبل أن يخرج من مكة، قام خطيباً فقال: (الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله.. خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما اولهني إلا أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخطري مصرع انا لاقيه، كأني وبأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء.. لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت..)^(١٧).

كما صرح عليه السلام بالشهادة في مواضع اخرى، منها قوله عليه السلام: (ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً فأني لا أرى الموت إلا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً)^(١٨).

لهذا فإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام ركزت على إحياء عنصر الشهادة في الأمة وواقعها، ولم تكن حركة في هدفها النهائي (مشروع سلطة) كما يصورها بعضهم، لذلك فإن الشهادة

عهد معاوية ويزيد إلى إرادة مهزومة ضعيفة، لذلك فإن بعث الروح النضالية فيها، يجب أن يرتبط بقيمة الشهادة في سبيل أعلاء كلمة الله تعالى والانتصار لدينه؛ لهذا كانت حتمية الشهادة من ثوابت ثورة الإمام الحسين عليه السلام فهو منذ خروجه على الحكم الأموي بقيادة يزيد لم يكن يتوقع غير الشهادة له ولمن معه، وحديثه مع الناس بصورة عامة، ومع انصاره بصورة خاصة كان يؤكد الشهادة له ولأصحابه بصورة قطعية وعلى الذين يخرجون معه، إن يوطنوا أنفسهم عليها، ولذلك كان يكرر التصريح بها دائماً، إذ عدَّ الإمام عليه السلام الشهادة قيمة حضارية لبقاء الدين الإسلامي وحمايته من الانحراف والانتقاص^(١٦).

فإلحاق الإمام عليه السلام بتكرار شهادته علناً أثناء خروجه على يزيد، إنما أراد أن يجسد هذه الحتمية؛ لأنها غابت منذ استشهاد الإمام علي عليه السلام باستثناءات محددة، كما هو الحال عند شهادة حجر بن عدي وأصحابه، وبهذا ركز

الدفاع عن الرسالة الإسلامية، إلا ولشهادة الإمام الحسين عليه السلام وثورته أثر عليها، سواء وعت الأمة لذلك أم لا^(٢٠).

إن ربط الإمام الحسين عليه السلام الشهادة بالفتح، إنما يعني أن الفتح هو ليس التغلب والانتصار على العدو عسكرياً، إنما الفتح له مفهوم حضاري، فالصراع في كربلاء لم يكن بين رجلين ولا بين جيشين، وإنما بين عقيدتين وفكرتين ومبدأين؛ فالأمويون يريدون أن يعيدوا الجاهلية بكل ابعادها، والإمام عليه السلام يريد أن يكرس الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فكانت الشهادة من مفاتيح الفتح التي اعادت إلى الأمة وعيها وضميرها، ولو لم يسقط الإمام عليه السلام الشرعية ويجرد الأمويين من الغطاء الديني بشهادته وتضحيته وجهاده وصلابة موقفه لتغيرت جميع الموازين الفكرية والعقائدية والشرعية والاخلاقية، ولطرح الإسلام طرحاً مشوهاً محرفاً عن سياقاته

كانت ثمن النجاح اللاحق لثورته، وأما طلب الحكم فهو وإن صح فهو هدف لا يخل بمكانة الإمام الحسين عليه السلام وقداسته. فلذلك تبدو حتمية الشهادة لادراك الفتح الحضاري هي المقوم أو المفسر الأساسي لحركته ضد يزيد. فالهدف الذي يتناسب مع تصريحات الإمام الحسين عليه السلام هو الشهادة، إذ يتناسب مع الظروف الموضوعية بمواجهته بقله اتباعه وامكاناته العسكرية، مع قوة الحكم الأموي وصرامته^(١٩).

فالإمام عليه السلام أراد الشهادة من أجل أرجاع روح الجهاد والتضحية السليمة من أجل الدين وقواعده، التي فقدتها الأمة تدريجياً، من أجل تأصيل خط الشهادة في حياة المسلمين، هذه الروح التي كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله في أعلى المستويات، لكنها انتكست في عهد معاوية ويزيد، لذلك رأينا كيف تحركت روح الجهاد في الأمة بعد شهادة الإمام عليه السلام، فلا نجد أن أي موقف في مواجهة السلطة من أجل

الأصيلة^(٢١).

لتجديد هوية المسلمين وإحياء قيمها ومفاهيمها في وعي الناس وعقولهم، واستطاعت هذه الثورة أن تبين الموقف النظري والعملي والشرعي للأمة تجاه الانحراف الذي يصيبها، وعندما يتجاوز الحكام على دينهم، إلّا وهو الخروج عليهم ومواجهتهم لتصحيح الانحراف والتجاوز؛ فثورته حافظت على جميع جهود الرسول محمد ﷺ من دين وعدل وحقوق، التي أراد بنو أمية هدمه.

وقد أحييت هذه الثورة الإسلام، بعد إن تعرض لردة حضارية وقد المح الإمام علي بن الحسين ﷺ إلى انتصار القضية الإسلامية على أثر ثورة أبيه ﷺ، حينما سأله إبراهيم بن طلحة بن عبدالله قائلاً: من الغالب؟

قال ﷺ: (إذا أردت أن تعرف من غلب، فأذن واقم تعرف الغالب..)^(٢٣).

لقد أكدت الثورة الحسينية أهمية الدين، وإنه يستحق هذا المقدار

فالشهادة عند الإمام الحسين ﷺ تعني الفتح بمعناه العام وهي تثبيت وتحقيق الغايات الحضارية، فدم الشهيد هو الأداة الأقوى لتحقيق تلك الغايات، هذا الدم هو مفتاح الفتح فلا شيء يحرك ضمائر الناس ويزيل حجب الظلمة والجهل من عقول الناس وقلوبهم؛ لأن مفهوم الفتح في سياقه الإسلامي، هو تمكين الحق من القلوب، وانشرها على رسالة الله تعالى.

وبذلك حقق الإمام الحسين ﷺ هدفه في تكريس الشهادة في المجتمع الإسلامي وفي نفوس الأمة، منذ ثورته وكيف ثقافة الاستشهاد تزامنت مع تحرير إرادة الأمة وتعزيز رقابتها العملية على السلطة، أدت بالنهاية إلى سقوط الحكم الأموي؛ لأن الشهادة لها بعد ومفهوم قرآني أكدته السنة النبوية الشريفة^(٢٢).

لذلك جاءت ثورة الإمام ﷺ

على الحكم الأموي، قيمة الصبر وقوة التحمل والصلابة في الحق. فعند خروجه بأنصاره وأهل بيته إلى الكوفة، أوصاهم بالصبر والتوكل والصلابة في سبيل المبدأ، إذ قال لهم: (أيها الناس فمن كان منكم يصبر على حد السيف وطعن الاسنة فليقم معنا، وإلا فلينصرف عنا)^(٢٦). (وكل يوم ربنا في شان، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على إداء الشكر..)^(٢٧). ولقد قدم الإمام الحسين عليه السلام وآله وأصحابه في ثورتهم على الحكم الأموي الأخلاق الإسلامية العالية بكل صفاتها ونقائنها، ولم يُقدّموا إلى المجتمع الإسلامي هذا اللون من الأخلاق بألسنتهم، وإنما كتبوه بدمائهم وحياتهم^(٢٨).

ولهذا فان شهادة الإمام الحسين عليه السلام، كانت تمثل انتصاراً حقيقياً للإسلام وللأمة من حيث تحرير إرادتها آنياً ومستقبلاً؛ اما ظواهر النصوص التي كانت

العظيم من التضحية والفداء في سبيل الله وفي سبيل اقامة الاحكام الإسلامية والشعائر الدينية؛ لأن الدين على عظمتها إنما اكتسب الأهمية؛ لأنه امر الله ونهيه، والرسول صلى الله عليه وآله إنما اكتسب الأهمية؛ لأنه رسول الله تعالى^(٢٤).

وجسد الإمام عليه السلام مبدأ المعاد بنهضته تجسيدا حيا إذ عرض نفسه وأهله للقتل من أجل حماية الإسلام، وإيماناً منه إنه ملاقي ربه وهو سعيد لوقوفه بوجه حكم يزيد ومن قبله معاوية، فقد عبر عن هذه الحقيقة في قوله عليه السلام: (.. وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء وخسيس عيش كالمرعى الويل، إلا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فأني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً)^(٢٥).

جسد الإمام الحسين عليه السلام في ثورته

عندما خرج معلناً ثورته ومعارضته ليزيد أعلن عن هدفه ومبررات خروجه والغاية التي ينشدها، واتضح من مجموع خطابه واقواله وبياناته، إنه كان يريد تصحيح الأوضاع المنحرفة، وتشديد نظام حكم صالح تقام فيه الشريعة وتضان فيه الحقوق ويحكمه الاخير من الأمة الإسلامية^(٢٩).

لذلك فإن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يقوم بثورته ويضحى بنفسه وأهله وماله من أجل أرجاع الروح والإرادة والجهاد في الأمة، التي فقدتها تدريجياً في ظل مثل هكذا خلافة وحكم. ومن أجل تأصيل خط الشهادة ومعارضة الانحراف السياسي، اما بياناته السياسية فلا تعدو كونها بيانات للرؤية والتصور السياسي لماهية الخلافة والإمامة في الإسلام، التي يعتمدها ويؤمن بها الإمام الحسين عليه السلام إذ لا بد أن يوضحها؛ لأنها القاعدة لانطلاقة

تصدر من الإمام عليه السلام التي تشير إلى إن الهدف من ثورته هو إقامة الحكم الإسلامي لكي يحقق الإصلاح السياسي العام في الدولة الإسلامية، فقد فسر الشهيد محمد باقر الصدر ذلك بقوله: إن الإمام الحسين عليه السلام حينما كان هدفه من الشهادة هو هز ضمير الأمة وشحذ إرادتها، فلا فائدة عندئذ من عنونة عمله بالشهادة فقط؛ لأن عنوان الشهادة لا يكفي بمفرده تحقيق ذلك الهدف وكان ممكناً أن يقال عنه بانه ذهب لكي يتحرر، اما لورأت الأمة إنساناً مخلصاً كالإمام عليه السلام وقد تحرك نحو هدف إقامة النظام الإسلامي الأصلح، ومن أجل كلمة الله، وقد ضحى بنفسه من أجل هذا الهدف عندئذ تدرك الأمة أن السعي للهدف الذي ضحى من أجله الإمام عليه السلام يعد من اقدس الواجبات ويستحق التضحية كما ضحى له عليه السلام؛ ولهذا فالإمام عليه السلام

ثورته، مقابل الرؤية السياسية المسيطرة على الذهنية عند المسلمين، كما أراد ﷺ أن يشخص للأمة أساس المشكلة والمعاناة التي تعانيها في حياتها، سواء في جانبها العقائدي الديني ام السياسي ام الاقتصادي والاجتماعي والاخلاقي، فان علة ذلك وأساسه هو الانحراف السياسي العام للقيادة السياسية التي تحكم باسم الخلافة الإسلامية، إذ كانت شؤون الأمة بأيدي عناصر لا تحمل هموم الإسلام والأمة، بل تخطط للقضاء على روح الإسلام وإبعاده عن حياة الأمة^(٣٠).

لقد استحقت الثورة الحسينية هذا البعد الجماهيري، فمع مطلع كل شهر محرم من كل سنة هجرية، يُستحضر موقف وثورة الإمام الحسين ﷺ، في وجدان الفكر الإنساني برمته، وهذا يدل على أن فكر الثورة يمثل عقيدة راسخة في نفوس المفكرين والقادة والقواعد

الجماهيرية في كل البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، لذا فهي لم تخص طائفة معينة، وإنما تخص الإنسانية عموماً^(٣١).

من ثورة الإمام الحسين ﷺ، ومن واقعة طف كربلاء نجد قيمة الشهادة الحضارية، وأصبحت عقيدة راسخة في نفوس المسلمين عامةً، وأبناء الحشد الشعبي خاصةً؛ إذ برزت في ثورة الإمام الحسين ﷺ روح الولاء والإخلاص لأهل بيت رسول الله ﷺ، ومن هذه القيمة الحضارية التي أنصبت في الفكر العقائدي والإنساني الروحي في ضمائر ونفوس أبناء الحشد الشعبي؛ لتقدير ذلك الولاء والود والتقدير للإمام الحسين ﷺ؛ الذي ضحى بنفسه وأهله وماله للشهادة وأعلى كلمة الله تعالى، وتكرار عنصر الشهادة لقوله: (ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً، فأني لا أرى الموت إلا شهادة.. ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً).

لذا فإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ركزت في نفوس أبناء الحشد الشعبي عنصر الشهادة؛ ولهذا نجد مشروع الشهادة يتناغم مع ضمائرهم وروحهم وولائهم لوطنهم؛ من أجل الدين والعقيدة والدفاع من أجل الوطن ضد قوى الشر والارهاب التكفيرية، ويخطوا طريق الشهادة بدمائهم

الهوامش:

- ١٥٢ .
- [٧] ابن شهر آشوب، مشير الدين ابن عبد الله. مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من اساتذة النجف الأشرف، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٥٦، ص ٢٢٤.
- [٨] الامين، محسن: لواعج الاشجان في مقتل الحسين عليه السلام، قم، بصيرتي للنشر والطباعة، ١٣٧٣ هـ، ص ١٨٥.
- [٩] الحراني، مصدر سابق، ص ٢٤٥.
- [١٠] بيضون، إبراهيم: ثورة الحسين حدثا وإشكاليات، ط ١، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠١، ص ٣١١.
- [١١] الحراني، المصدر السابق، ص ٣١١.
- [١٢] ابن خلكان: وفيات الاعيان وانباء الزمان، تحقيق: احسان عباس، لبنان، دار مطهري، مرتضى: الملحة الحسينية، ط ٣، قم، طليعة النور للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٠ هـ، ص ٢٢٠.
- [٢] الصدر، محمد باقر: اقتصادنا، ط ٢، قم، مؤسسة بوستان للنشر، ١٤٢٥ هـ، ص ٢٢٦.
- [٣] الصدر، محمد مهدي: أخلاق أهل البيت عليهم السلام، د. م. د. ن. د. ت، ص ٤٦٥.
- [٤] الحراني، ابن شعبة: تحف العقول فيما جاء من المواعظ والحكم من آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤ هـ، ص ٥٨.
- [٥] الحراني، المصدر السابق، ص ٣٠٠.
- [٦] حسن، حسين الحاج: الرسالية في الثورة الحسينية، ط ١، بيروت، دار الكرام للنشر والتوزيع والتحقيق، ١٩٩٣، ص ١٥١ -

- [٢٣] الهدبي، حبيب إبراهيم: قراءات في بيانات الثورة الحسينية وأبعادها الرئيسية، ط ١، د. م، المؤسسة الإسلامية للبحوث والدراسات والمعلومات، ٢٠٠٢، ص ١٠٧-١٠٩.
- [٢٤] النصيري، كاظم: أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدس، ط ١، بيروت، دار صادر للنشر، ١٩٩٧، ص ١١٣-١١٤.
- [٢٥] الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد. تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧، ص ١٢.
- [٢٦] الطبري، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٩٠.
- [٢٧] الطبري، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٩٠-٢٩٢.
- [٢٨] شمس الدين، محمد مهدي. ثورة الإمام الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، تحقيق: سامي الغريزي، ط ١، د. م، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٦، ص ١٩٤-١٩٥.
- [٢٩] بارا، انطوان، الحسين في الفكر المسيحي، ط ١، قم، فاروس للنشر، ٢٠٠٤، ص ٧١.
- [٣٠] بارا، المصدر السابق، ص ٣٥٧-٣٥٨.
- [٣١] القزويني، شاکر: لحمه عاشوراء منهج للحياة والموت والعبادة، مجلة الكوثر، النجف الأشرف، السنة السابعة، العدد ١١٤، ٢٠٠٧، ص ١٦.
- الثقافة للنشر، ج ٥، د. ت، ص ٤٠٦-٤٠٧.
- [١٣] القرشي، باقر شريف. حياة الإمام الحسين عليه السلام، ط ١، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٩٧٥، ص ٤٤٣-٤٤٤.
- [١٤] الحرائي، المصدر السابق، ص ١٧٨.
- [١٥] الأصفي، محمد مهدي. في ظلال الطف، ط ١، بيروت، دار الكرام، ١٤١٦ هـ، ص ١٧٣-١٧٤.
- [١٦] لجنة الحديث في معهد باقر العلوم. موسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام، ط ١، قم، دار المعروف للنشر، ١٤١٣ هـ، ص ٣٩٧.
- [١٧] الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الطبري (تاريخ الامم والملوك)، بيروت، مؤسسة العلمي للمطبوعات، د. ت، ص ٣٠٥.
- [١٨] الأصفي، المصدر السابق، ص ١٧٧-١٧٨.
- [١٩] الأصفي، المصدر نفسه، ص ١٧٨.
- [٢٠] المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الأطهار، تحقيق: يحيى العابدي، ط ٢، ج ٤٥، بيروت، مؤسسة الوفاء للنشر، ١٩٨٣، ص ١٧٧.
- [٢١] ابن حنبل، احمد: مسند الإمام احمد، بيروت، دار صادر، د. ت، ص ١٩٠.
- [٢٢] الصدر، محمد محمد صادق. أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، ط ٢، النجف الأشرف، د. ن، ١٤١٧ هـ، ص ١٠١.

الشيخ الشهيد مشتاق الساعدي

نشر هذا البحث في دراسات سابقة لسماحة الشيخ رحمته الله،

وقد ارتأينا إعادة نشره لأهميته، ووفاءً لفكر هذا المجاهد الفذ.

دور الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية

مقدمة:

من أهم الأرصدة المعنوية الماضية التي يمتلكها أتباع مذهب آل البيت عليهم السلام هو وجود إمام ثائر عندهم، كانت وما زالت ثورته نبراس الثورات، وتضحيته أمّ التضحيات، وحرارة مقتله من أشدّ المهيجات، فتولّد لديهم بركة ثورته ما لم يتولّد عند غيرهم، وهو عنصر الإصلاح لا لمصلحة دنيوية ولو كلف ذلك الحياة، وإنّ الذلّة لا وجود لها في صفحة الحياة... إيماناً

منهم بتضحياته وبكلماته...، والتي منها:

« ما خرجت أشراً ولا بطراً وإنّما لطلب الإصلاح... »^(١).

«... هيهات منّا الذلّة... »^(٢).

«... لا أعطي بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد... »^(٣).

«... مثلي لا يبيع مثله... »^(٤).

ومن الأرصدة المعنوية المستقبلية التي يمتلكها أتباع مذهب آل البيت عليهم السلام الإيمان بالإمام الغائب

بها من كلِّ النواحي.

ومنها: الاستقلالية في إدارة المذهب فكرياً واقتصادياً، وعدم الارتباط بأيِّ أجندة.

وغيرها العشرات.

ومن هذه الفعاليات العبادية المهمة فعالية الزيارة الأربعينية المقدّسة، فهذه الفعالية تميّزت بربط الماضي الحسيني بالمستقبل المهدوي لتوليد حاضر يفرض علينا واقعاً يجعلنا نُنظّم أنفسنا من كلِّ النواحي استعداداً وتمهيداً لدولة الحقِّ.

فالذي يطلّع على وقائع زيارة الأربعين وما يراه من تجمهر عشرات الملايين زماناً ومكاناً وبلغات وقوميات وتوجّهات شتى - يجمعهم رجل واحد اسمه الحسين عليه السلام، وينادون بنداء واحد هو: (اللَّهُمَّ عَجِّلْ لوليِّك الفرج، وسهِّلْ له المخرج) - يرى بوضوح أنّ تلك الزيارة من أهمِّ مهمّات الظهور.

المنقذ الذي يملؤها قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً، وأنّه إمامهم الثاني عشر. وهذا الإيمان هو ممّا يُحفّزهم على العمل الجادِّ في التمهيد لظهوره، والاستعداد للانخراط تحت قيادته، والانتظار لفرجه.

فإنّ الانتظار للإمام المنقذ عليه السلام من أهم المحفّزات على العمل الديني والاجتماعي والإعداد لذلك من أهمّ الطاعات.

فبين تراث الماضي وأمل المستقبل تكوّن الحاضر الإسلامي والتعبوي لدى أتباع الحقِّ، وتولّدت حالة معنوية عالية تمخّض منها عدّة فعاليات وعبادات وتحركات.

منها: الروح الجهادية والقتالية التي يمتلكها الأتباع دون غيرهم، ونموذج الحشد الشعبي شاهد على ذلك، وهذا يحتاج إلى أفراد أبحاث مستقلة للوقوف على هذه الظاهرة.

ومنها: عدم الانصياع للحكومات الظالمة، وعدم الارتباط

وفي هذا البحث المختصر نقف على أهمّ تلك المعطيات التي لها دور في الظهور، وسنغضُّ النظر عن ما للزيارة من أهمّية واضحة ومعطيات جمّة في شتّى المجالات، لأنّ هدفنا هو التركيز على هذه المفردة العظيمة، وهو دور الأربعين في التمهيد للظهور وصناعة الشخصية المهدوية.

فالتمهيد وانتظار الفرج أهمّ المفردات التي تُشغِلُ ذهن البشرية المؤمنة، فالعمل عليه ومعرفة ما يقرب الظهور ويرفع الموانع من أهمّ العبادات في الغيبة كما ورد في الروايات: «أفضل الأعمال انتظار الفرج»، ففي (الإمامة والتبصرة من الحيرة): «إِنَّ النَّبِيَّ قَالَ: أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي أَنْتَظَرُ الْفَرَجَ، وَلَا يَزَالُ شَيْعَتُنَا فِي حُزْنٍ حَتَّى يَظْهَرَ وَكَدِّي الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ أَنَّهُ يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا، كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»^(٥).

ولكن ليس كلّ انتظار هو ممدوح، وإنّما الانتظار مع الإيمان والعمل الجادّ في التمهيد للإمام عليه السلام، والعمل طبقاً لمراد الشريعة، لا الانتظار مع الخمول واليأس وارتكاب المحرّمات والتسليم للظلم والظالمين.

وهناك جملة من الأعمال تُمهّد للظهور وترفع بعض موانعه وهي تقع على عاتق المؤمنين، منها: إكمال عدّة (٣١٣)^(٦) الذين يُشكّلون النواة القيادية الأولى حول الإمام عليه السلام، ومنها: الدعاء له بالفرج، وغيرها، ففي الرواية: «فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرَهُ»^(٧)، فظاهر الرواية أنّ اجتماع العدّة (٣١٣) شرط لإظهار أمره.

ومن جملة المهّمّات والمريّات لمجتمع الظهور هي زيارة الأربعين لما لها من أبعاد مختلفة وعديدة، نحاول التركيز عليها وبيانها وتطويرها والدفع بالمؤمنين نحو جعلها من

للظهور هو بناء شخصية معنوية وروحية لدى المؤمن تُؤهله لنصرة القيام المهدوي، وهناك آليات عديدة لبناء الشخصية الإسلامية عموماً، ولعلَّ أهمّ تلك الآليات هو اتِّخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها والتزوّد بالعلم والمعرفة وغيرها. وبناء هكذا شخصية يجعل الإنسان قوياً عند الشدائد، صبوراً عند النوائب، عزيزاً يأبى الذلَّ، شجاعاً لا يعرف الجبن، صادقاً لا يكذب، أميناً لا يخون... الخ.

ومن الآليات المهمّة أيضاً هو انتهاج السلوك العبادي واتِّخاذه وسيلةً للتقرّب لله وبناء ملكات وفضائل وكسر الشهوات ومحو الرذائل، فالصلاة - مثلاً - لها آثارها المعنوية الكبيرة كما نطقت الآيات والروايات، فهي تُعطي حصانةً للإنسان عن الوقوع في الفحشاء والمنكر ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت):

الطرق العبادية التي يُتمسك بها لبناء شخصية الظهور.

ونطرح دور الأربعين في البناء للظهور في محاور هذا مجملها:

الأوّل: البناء المعنوي والروحي.

الثاني: البناء الاقتصادي.

الثالث: البناء التعبوي.

الرابع: البناء الاجتماعي.

الخامس: البناء الفكري والعلمي.

السادس: البناء الأمني.

السابع: البناء الأخلاقي.

الثامن: المحور العسكري.

التاسع: المحور الإعلامي.

العاشر: المحور التمريني

والتدريبي.

الحادي عشر: المحور التكافلي.

الثاني عشر: البناء السياسي.

تفصيل المحاور:

المحور الأوّل: البناء المعنوي والروحي:

من أهمّ ما يساهم في التمهيد

(٤٥)، وهي وسيلة للتقرب للساحة الإلهية والابتعاد عن الخطط الشيطانية « الصلاة قربان كلّ تقي »^(٨)، وهي سبيل للعروج إلى الربّ « الصلاة ميزان أمّتي »^(٩)، إلى غير ذلك من الآثار.

وهكذا الصوم والحجّ والجهاد وأداء الحقوق الشرعية وغيرها كلُّ له آثاره وبناءه لشخصية الإنسان المؤمن وتربيتها تربية إسلامية.

وزيارة الأربعين - وبالخصوص مشياً - تمثل ممارسة عبادية متنوّعة وطويلة الأمد زماناً ومسافةً - تشابه إلى حدّ ما موسم الحجّ من حيث التنوّع العبادي والجهد المعنوي والتعبوي، فيمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة والصلاة - وخصوصاً صلاة الجماعة - والتسبيح والوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء والمشي - بناءً على عباديته - وغيرها.

وهذه الممارسات العبادية المتنوّعة

تخلق - خصوصاً مع طول أمدها واستمراريتها - جوّاً روحياً عالياً من خلال ما يحصده المؤمن من حسنات ومحو للسيئات ورفع للدرجات وتوطين النفس على الصعوبات، وخصوصاً المشي مع تحمّل المتاعب والحرّ والبرد وتورّم الأقدام وتغيّر اللون وذبول الشفاه والجوع والخوف - كما في زمن الطغاة - وغيرها من الصعوبات.

وهذا يخلق شخصية دينية صلبة الإيمان كي تكون مؤهلة ومستعدّة لنصرة الإمام الحجّة عليه السلام، ممّا يوفرّ أحد مقتضيات تعجيل الظهور، وهو وجود الموارد البشرية الناضجة والمستعدّة استعداداً حقّاً لنصرة المنقذ سواء من عدّة (٣١٣) أو من عدّة (١٠,٠٠٠) كما نطقّت الروايات، منها: «... فَإِذَا أُكْمِلَ لَهُ الْعَقْدُ وَهِيَ عَشْرَةُ أَلْفٍ [أَلْف] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ

وَتَعَالَى»^(١٠)، فإكمال العِدَّة يُمثل أحد المتقضيات المهمّة للظهور، فلا يبقى إلا بعض المتقضيات الأخرى وزوال المانع.

بعض روايات المشي وأجرها:

لذا وردت روايات في المشي وأهميته العبادية، نذكر منها وهي مستفيضة، بل متواترة، وفيها الصحاح، فلا حاجة لبحث سندها، منها:

١ - عن أبي الصامت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ مَا شِئاً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ دَرَجَةٍ...»^(١١).

٢ - عن عليّ بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يَا عَلِيُّ، زُرِ الْحُسَيْنَ وَلَا تَدَعَهُ»، قَالَ: قُلْتُ: مَا لِمَنْ أَتَاهُ مِنَ الثَّوَابِ؟ قَالَ: «مَنْ أَتَاهُ مَا شِئاً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً، وَمَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ دَرَجَةً، فَإِذَا أَتَاهُ وَكَلَّ اللَّهُ

بِهِ مَلَكَئِن يَكْتُبَانِ مَا خَرَجَ مِنْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ، وَلَا يَكْتُبَانِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ مِنْ شَرٍّ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْصَرَفَ وَدَعُوهُ، وَقَالُوا: يَا وَيْلَى اللَّهِ، مَغْفُوراً لَكَ، أَنْتَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ وَحِزْبِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ، وَاللَّهِ لَا تَرَى النَّارَ بِعَيْنِكَ أَبَدًا، وَلَا تَرَكَ، وَلَا تَطْعَمُكَ أَبَدًا»^(١٢).

٣ - عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَخْرُجَ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ فَلَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَوَّلِ خُطْوَةٍ مَغْفِرَةٌ ذُنُوبِهِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُقَدِّسُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَتَّى يَأْتِيَهُ، فَإِذَا أَتَاهُ نَاجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: عَبْدِي سَلْنِي أُعْطِكَ، أَدْعُنِي أُجِيبْكَ، أُطَلِّبْ مِنِّي أُعْطِكَ، سَلْنِي حَاجَةً أَقْضِيهَا»^(١٣).
وغيرها.

فالروايات واضحة في دور المشي لزيارة الحسين عليه السلام في البناء المعنوي وتحصيل الأجر الرافع للدرجات، وهو ممّا تحتاجه الشخصية المهددة للإمام الحجّة عليه السلام خصوصاً مع اقتران الزيارة بالدعاء بالفرج من قبل هذا الزائر الذي

يقول له الله تعالى - كما في الرواية الماضية :- « أدعني أجبك ... ».

المحور الثاني: البناء الاقتصادي:

إنَّ القوَّة الاقتصادية وتأمين الوضع المالي من أهمِّ مقوِّمات نجاح الأمم والحركات بعد الموارد البشرية، وكذلك معرفة كيفية إدارة المال وعدم الإسراف به والتبذير وحسن الاقتصاد بالصرف يُشكِّل قوامه اقتصادية أُخرى.

فالمال والاقتصاد له أهمّية في البناء الاجتماعي والفردي، ودوره مهمٌّ في خلق حياة سعيدة وأُسرة صالحة وحياة آمنة - كونه أحد مقوِّماتها -، ولا يعني ذلك أنَّه علَّة تامَّة لتلك الأمور، بل قد يكون وبالاً على الإنسان إذا لم يُحسِّن التصرف، فهو سلاح ذو حدّين.

والقرآن في اللحظة التي يُبيِّن أنَّ المال زينة ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦)، يُبيِّن أنَّ المال فتنة ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

(التغابن: ١٥)، فهو زينة ومفاد إيجابي إذا صانه ووضع في موضعه وأتخذه وسيلةً للأخرة وكفى به نفسه وعياله ومجتمعه وأُمَّته الإسلاميَّة وقضى حوائجهم، وهو فتنة وعذاب إذا ما ضيَّعه وبذره وجعله وسيلةً للعالم والشهوة والحرام وانتهاك الأعراض وقتل النفوس. وكذلك الروايات بيَّنت هذه الحقيقة ومدحت المال مع الدين وذمَّت المال إذا كان وسيلةً للعصيان، ووازنت بين النظرتين^(١٤).

ومن الممارسات الإيجابية للمال والاقتصاد هو ما تقوم به الجموع المؤمنة من ممارسات عبادية في الأربعين، وتوظيف القوَّة المالية في إحياء هذه المناسبة - من خلال الصرف المالي على المواكب وإطعام الطعام الذي تمارسه المواكب لملايين الزائرين -، وهذا ما يُمثِّل قوَّة اقتصادية كامنة في الأُمَّة الحسينية التي هي أُمَّة الإمام المهدي عليه السلام وناصرته، فلا ميزانية مالية ولا دعم دولة ولا حزب وإنَّما هي تمويل من شعب

شعب حسيني يُؤهلهم لتكوين مجتمع مهدوي يقود الأمة إلى برّ الأمان، ويبنى اقتصاداً رصيناً يكفُّ حاجة الأمة.

المحور الثالث: البناء التعبوي:

من المفاهيم المهمة في عالم الدعوة وتجميع الجماهير والأنصار هو مفهوم التعبئة، وهي قوّة شعبية كامنة أو ظاهرة لها حضورها في كلّ نواحي الحياة لخدمة قضية ما تهتمُّ الوطن أو المواطن، وهي على أنواع، فقد تكون تعبئة عسكرية أو إعلامية أو اجتماعية أو غيرها.

ومن أهمّ أنواعها هو التعبئة الاجتماعية، وهي تحريك واستنفار المجتمع بكلّ قطاعاته للمشاركة الإيجابية لتحقيق الأهداف المطلوبة. ولا بدّ أن تشمل التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع من المسؤولين الرسميين والسياسيين، قادة الرأي، القادة المحليين وجموع المواطنين (نساء، رجال، بل الأطفال من

الحسين لزوّار الحسين ﷺ، وهذا التمويل الهائل ما هو إلّا ممارسة وتدريب اقتصادي على الصرف المالي المنضبط الذي يمارسه المهّدون للظهور، وثقافة متقنة على الصرف والبذل في سبيل الدين وإنجاح الثورة المهدوية.

وهذه الممارسة والاستعداد للصرف، بل والصرف الفعلي لم يكن لولا هذه الزيارة المباركة، فإذا كان عصر الظهور فلا يجد المؤمن حرجاً في الصرف المالي بعد أن مارس الصرف لعشرات السنين على جمهور الحسين ﷺ.

خصوصاً وأنّ بعض المؤمنين يقاسم زوّار الحسين ﷺ قوت عياله ومؤنته السنوية، لكي يُنفقها في موسم الزيارة، بل بعضهم - كما سمعت ورأيت بأّم عيني - يبيع بيته أو سيّارته ويشترى ما هو أقلّ منها إذا لم يكف ما جمعه للموسم.

فهكذا عمل يصدر من هكذا

مدارسهم).

وهذا ما يحصل فعلاً في زيارة الأربعين، فإنَّ هناك تعبئة جماهيرية عامّة لتحقيق هدف ديني هامّ في حياة الفرد والمجتمع.

فمن أهمّ ما تحتاجه كلُّ دعوة سماوية كانت أم أرضية هو وجود قوّة معنوية أو ماديّة أو شخصية قيادية تمتلك (كاريزما) عالية تستطيع أن تخلق جمهوراً وأتباعاً من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تُقدّم الولاء والخدمة مجّاناً وبلا مقابل.

والذي يلاحظ زيارة الأربعين لا يجد أيّ مجهود في التعبئة الجماهيرية، بل الجمهور مقبل على الزيارة وعلى الخدمات بلا نظير، بل كثير من الجماهير يُنفق أموالاً وجهداً مضاعفاً في تلك الأيام ويتهج بذلك الصرف وبهذا الجهد.

وهذا العمل التطوّعي العظيم لا تجد له نظيراً في كلّ العالم، وهو مفخرة يتميّز بها أتباع آل البيت عليهم السلام، وهو من

ثمرات الثورة الحسينية الخالدة.

وهذه التعبئة الجماهيرية في الزيارة إنّها هي صورة من صور التعبئة للإمام المهدي عليه السلام حال قيامه بالثورة العالمية المباركة.

فالجمهور الحسيني معبياً للحركة المهدوية ومستعدّ لها على أحسن ما يكون، فلا نحتاج أن نعدّ برامجاً تعبوية كثيرة لأجل الحركة المهدوية - من هذه الجهة - لأنّنا معدّة إعداداً واضحاً وبخبرة تمتدُّ مئات السنين، نعم نحتاج إلى برامج مهدوية أخرى من جهات أخرى.

فدور زيارة الأربعين في تعبئة المؤمنين تعبئة مهدوية واضحة وفعّالة من خلال الحرارة التي تكوّنت في قلبهم بمقتل الحسين عليه السلام.

المحور الرابع: البناء الاجتماعي:

من أهمّ ما يميّز المجتمع الناجح والصالح هو قوّة الترابط الاجتماعي بين أفرادهِ وعملهم كخلية النحل

الواحدة لإنجاز مهامهم المناطة بهم،
نمّا يساعد على البناء السليم لكلّ
مفاصل الحياة سواء كانت فردية أو
اجتماعية ويساعد على أن ينال كلُّ فرد
فرصته في الحياة.

لذا نجد الروايات اهتمّت كثيراً
بالترباط الاجتماعي بين كلِّ أفراد
المجتمع سواء كانوا من الأرحام أم لا،
ومن هذه الروايات:

عن مرزوم، قال: قال أبو عبد
الله عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد،
وحسن الجوار للناس، وإقامة
الشهادة، وحضور الجنائز، إنّه لا بدّ
لكم من الناس، إنّ أحداً لا يستغني
عن الناس حياته، والناس لا بدّ
لبعضهم من بعض» ^(١٥).

وعن حبيب الخثعمي، قال:
سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:
«عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا
الجنائز، وعودوا المرضى، واحضروا
مع قومكم مساجدكم، وأحبّوا للناس
ما تُحِبُّون لأنفسكم، أمّا يستحيي

الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا
يعرف حقّ جاره» ^(١٦).

وعن زيد الشحام، عن أبي عبد
الله عليه السلام: «... صدّ لموا عشائركم،
واشهدوا جنائزهم، وعودوا
مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل
منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث
وأدّى الأمانة وحسن خلقه مع الناس
قيل: هذا جعفري، فيسرّني ذلك،
ويدخل عليّ منه السرور...» ^(١٧).

إلى غيرها من الروايات وآداب
التعاشر والترابط الاجتماعي ^(١٨).

وبالمقابل من أهمّ ما يُدمّر المجتمع هو
كثرة النزاعات والخلافات والتحزّبات
وتحوّله إلى شيع يتلاعب به الظلمة ﴿إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا
شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٤)، وهذه سُنّة
قائمة يتّخذها الظالمون لإضعاف
المجتمع.

كما أنّ النزاع سبب واضح لهدر

في مجتمع ملائكي، وهذا البناء إنما هو بناء نابع من هذه الزيارة المباركة.

وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين مدينة ومدينة، بل بين دولة ودولة، بل بين دول ودول وشعوب وشعوب، فإنَّ هناك جماهير من عشرات الدول تلتقي فيما بينها فتكوّن أواصر ووشائج قويّة.

وهذا فضلاً عن أنّ هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان والبلدان الأخرى بسبب حروب أو غيرها، ولكننا نراها قد ذابت بسبب هذا الملتقى العامّ الحاصل في زيارة الأربعين.

فزيارة الأربعين تجعل الترابط الاجتماعي ليس بين أبناء بلد ما فحسب، بل بين الشعوب والبلدان الأخرى ممّا يُعزّز خلق نسيج اجتماعي كبير يربط دولاً وشعوباً فيما بينها بالرغم من اختلافها باللغة أو اللون أو الثقافة أو غيرها، لخلق مجتمع مهدي منسجم فيما بينه ممّا يسهم في

الطاقات وضياع المُصرّص والتراجع الفردي والاجتماعي على كلّ المستويات.

لذا يحرص علماء الاجتماع في البلدان على خلق جوّ اجتماعي بين أفراد مجتمعاتهم بعيداً عن الخلافات والصراعات والشتمات، والحرص على خلق روح التعاون والمحبة وتقوية الروابط الاجتماعية والأسرية.

والذي يلاحظ الزيارة الأربعينية يرى قوّة الترابط بين أفراد الزائرين كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً أثرياء وفقراء رؤساء ومرؤوسين، فلا تميّز بين غني أو فقير ولا بين مشهور أو مغمور... الخ.

فالكُلُّ سواسية، بل في بعض الأحيان ينقلب الميزان وترى الكبير يخدم الصغير، أو المشهور يخدم المغمور، أو الرئيس يخدم المرؤوس، وهكذا.

فترى الترابط الاجتماعي بأعلى صورة وبأجمل ما يكون، وكأنّك تسير

الظهور.

المحور الخامس: البناء الفكري

والعلمي:

إنَّ تصنيف الأُمَّة فكرياً وعلمياً من أهمِّ الواجبات التي تقع على عاتق المؤسَّسات الدينية، ولعلَّ تسويق المعلومة إلى الجمهور يُعَدُّ من أهمِّ المشكلات التي تواجه المبلِّغ.

لذا يجب علينا استثمار المواسم التي يسهل فيها تسويق المعلومات إلى الجمهور، والمتابع لسيرة النبيِّ وآل البيت عليهم السلام يرى أنَّهم يدأبون على استثمار المواسم العبادية لإيصال صوتهم للجماهير كما في مواسم الحجِّ والعمرة وصلاة العيد والجمعة والجماعة والمجالس والمآتم الحسينية.

لذا كانت لهم خطب وكتبات ومواقف في تلك المواسم سجَّلتها التاريخ ونقلتها الأحاديث.

ولعلَّ شعائر الحسين عليه السلام عموماً وزيارة الأربعاء خصوصاً من أهمِّ ما يُسَوِّق المعلومات الدينية للجمهور في هذه الأيام.

إنَّ زيارة الأربعاء تلغي الطبقية، وتلغي القطرية، وتلغي العرقية، وتلغي القومية، وتلغي العنصرية، وتخلق مجتمعاً مترابطاً يرتبط بمنقذ عالمي اسمه المهدي عليه السلام.

فزيارة الأربعاء تُعمِّق الوجود التعارفي الذي خُلِقَ له الإنسان كما عبَّرت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

إنَّ زيارة الأربعاء فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين أُمَّة الإيمان، ومجال حوار الحضارات على أُسس دينية تدعونا إلى الانتظار للإمام والإعداد له كلُّ من دولته ولغته وعرقه وقوميته، فيكون ذلك تمهيداً ودعوة إلى عالمية دولة الإمام الحجة عليه السلام.

الجماهير بها، والتركيز على عنصر الانتظار، والاستعداد للظهور، وبناء الدولة العالمية الإلهية المنقذة لكل الشعوب المظلومة.

ومن نماذج ذلك:

أولاً: العمل على إزالة الشبهات التي تثار حول قضية الإمام المهدي عليه السلام كولادته، وطول عمره، وفائدته في زمن الغيبة، وإرهاصات ظهوره، وغيرها.

ثانياً: ردُّ الشبهات المعاصرة كشبهة ابن كويطع وغيره بطرق علمية مبسطة.

ثالثاً: تشخيص القضايا المهدوية المهمة وبيانها للمجتمع بطرق سهلة ومناسبة.

ويتمُّ ذلك من خلال:

١- عقد الندوات والبرامج المهدوية في وسائل الإعلام وخصوصاً المرئية.

٢- إجراء المسابقات العامّة للاستكتاب في قضايا معاصرة تخصُّ

إنَّ خلق مجتمع متعلّم على سبيل النجاة يُعدُّ من أهمّ ركائز البناء الديني للفرد والمجتمع، بل هو قوام للدين والدنيا، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: « قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلّم ... » (١٩).

ومن جملة البناء الديني المهمّ في عقيدة المؤمن هو بنائه مهدياً، وذلك من خلال استثمار ذلك الموسم لتبليغ القضية المهدوية للناس وتعريفهم بتفاصيلها وتحسينهم فكرياً ضدّ الدجالين والمدّعين والمشوّهين.

فيكون موسم الزيارة موسم تبليغ وترويج لقضية الإمام المهدي عليه السلام، ويقع هذا التبليغ على عاتق الجميع - خصوصاً أهل التخصص بالقضية المهدوية - من خلال المحاضرات والإرشادات والنشرات والكتب وغيرها.

فالزيارة فرصة كبيرة لتسويق القضية المهدوية للعالم ككلّ، وتوعية

القضية المهدوية. وغيرها من الوسائل^(٢٠).

المحور السادس: البناء الأمني:

تُشكّل الحصانة الأمنية للشعوب والدول ركيزة أساسية في البناء السليم لها ودفع المخاطر عنها، لذلك تقاس قوّة الدول وقدرتها على مقاومة المخاطر بقوّة نظامها الأمني العام.

إنّ التحصين الأمني يُعدُّ اليوم من أهمّ مقومات النجاح لأيّ حركة تريد الإصلاح والتغيير، وهذا التحصين الأمني لا ينفع كثيراً إذا لم يخرج من النظرية إلى التطبيق، فلا يُكتفى بمعرفة البناء الأمني والمباني الأمنية من دون أن تُحوّل تلك المعرفة إلى تطبيق عملي على أرض الواقع.

وآل البيت عليهم السلام جعلوا نظاماً أمنياً كبيراً. يستحقُّ دراسات مستقلة. في كيفية التعامل مع الصديق والعدو، ولعلّ أهمّ مفاصله روايات التقيّة^(٢١) وروايات كشف الأسرار والإذاعة^(٢٢)، فهي تُؤسّس لنظام أمني

٣- إجراء المسابقات العامّة بين المؤمنين من خلال طرح أسئلة والإجابة عنها.

٤- الكتابة بالصحف والمجالات العامّة وخصوصاً المجالات العالمية وبلغات مختلفة لإيصال القضية المهدوية للعالم.

٥- إرسال المبلّغين المتخصّصين إلى المجتمع لتبليغ القضية المهدوية واستثمار المواسم العامّة لذلك.

٦- حثُّ الخطباء عموماً وخطباء المنبر الحسيني خصوصاً على طرح القضية المهدوية وكتابة محاضرات تخصّصية لهم في ذلك.

٧- إنشاء مراكز تخصّصية علمية وبحثية في الإمام المهدي عليه السلام وأبعاد حركته.

٨- إنشاء مؤسّسات تهتمُّ بإقامة فعاليات ميدانية وكثافة ومخيمات ودورات للجامعيين وطلاب المدارس تُعرّفهم بالإمام المهدي عليه السلام وحركته.

تري أنّ المرأة تعيش أيام الزيارة حالة من الأمن من كلّ النواحي، فلا تخاف على عرضها ولا على مالها ولا على حياتها ما دامت سائرة في هذا الطريق المبارك، وحتىّ الزائرات الأجنبيات عن العراق يسرن لوحدهنّ، بل أحياناً امرأة منفردة لوحدها تسير بلا خوف.

وهذا كلّهُ بسبب النظام الأمني العالي الذي يكتنف الزيارة، وهو يفوق أيّ نظام أمني في العالم وفي أعظم الدول الأمنية، فلا تجد مشاكل ولا تعدياً ولا غير ذلك، وهذا لا يحصل في أعظم المجتمعات بسبب الاحتكاك والاختلاط.

وفي هذا الصدد نقل لي أحد أساتذتي عن أحد السياسيين العراقيين أنّ أحد القادة الأمنيين الأمريكيين رأى زيارة الأربعين - إتيان الاحتلال الأمريكي للعراق -، وأنّ هذا الأمريكي كان يقول: (إنّي أتعجّب من الشعور بالأمن طوال زيارة الأربعين، وعدم وجود المشاكل بين الزائرين،

مرکز في التعامل العامّ وكيفية تحصين الأُمَّة المؤمنة.

وزيارة الأربعين هي بناء وتدريب أمني معمّق وعموم المكلفين وبالأخصّ لأصحاب المسؤولية في الموكب والزيارة.

فهم يعملون على عدم السماح بالاختراق لأيّ شخص غريب أو غير معرّف سواء داخل الموكب أو أثناء المسير أو ممن يُوزّع الطعام أو غيرها من الخدمات، وحتىّ من يُشتبه به يبقى تحت المراقبة والاختبار حتىّ يرفع اللبس عنه ويتبيّن أمره.

وهذا ملاحظ بشكل كثير خصوصاً من له تجربة عملية مع أصحاب الموكب والخدمات والزائرين، فهم يلاحظون حركات وتصرفات وسكنات الزائر وتوجّهاته وحتىّ كلامه ومواقفه، ويسهرون إلى الصباح للحفاظ على أمن الزائر وممتلكاته وحرمته. خصوصاً أمن الزائرات المؤمنات، لذا

وعدم التعدي على حرمة الزائرات طوال وقت الزيارة، والحال أننا في أمريكا لو أصبح خلل في الطاقة الكهربائية في واشنطن أو نيويورك لكانت مئات حالات الاغتصاب والتعدي والسرقة والنخ)، ثم قال لي: (أي شخص ربّي هكذا مجتمع؟)، فقلت: (إنّ الذي ربّاه شخص اسمه الحسين ﷺ).

فهذا البناء العملي الأمني يعطينا دروساً عملية تنفعنا كثيراً في التمهيد للحركة المهدوية المباركة، والحفاظ عليها، ومراقبة من يسير فيها.

المحور السابع: البناء الأخلاقي:

من أهمّ المبادئ التي ركّز عليها التشريع هو خلق ملكات أخلاقية وصفات نفسانية في الفرد والمجتمع، وقد دأب المشرّع على التنظير لذلك بعشرات الآيات ومئات الروايات من جهة، وأرسل أئمة وأنبياء بمكارم الأخلاق العظيمة عملياً من جهة

أخرى.

وزيارة الأربعين تُعتبر من الدروس الأخلاقية العملية التي تكون ملكات أخلاقية من جهة، وتكشف عملياً عن مستوانا الأخلاقي ودرجته من جهة أخرى.

ففي زيارة الحسين ﷺ مشياً عدّة معطيات أخلاقية نذكرها إجمالاً:

١ - الصبر: فإنّ الصبر قيمة أخلاقية عالية أكّدت عليها الآيات والروايات، وإليك جملة منها:

أمّا الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَلَبَلُّوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧).

أمّا الروايات فمنها ما عن أبي بصير، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «...»

لهو من المصاديق الواضحة للصبر،
وخصوصاً المشي من أماكن بعيدة مع
كثرة الزحام والابتلاءات.

فزيارة الأربعين تعطينا دروساً
عملية في الصبر على ما نكره من تحمل
الأذى أو الجوع أو الألم أو غيرها،
والصبر على ما نُحِبُّ من طاعات.

٢ - التواضع: إنَّ سمة التواضع من
أهمِّ سمات وفضائل المؤمن، وهي تقع
في قبال رذيلة التكبر، وقد وقع
التواضع موضوعاً للمدح في العديد
من الآيات والروايات.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ
الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾
(الفرقان: ٦٣)، وقوله تعالى:
﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
(الحجر: ٨٨).

ومن الروايات نذكر رواية واحدة،
في مستدرک الوسائل عن مصباح
الشريعة، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «التَّوَّاضُّعُ
أَصْلُ كُلِّ شَرَفٍ وَخَيْرٌ وَنَفِيسٍ، وَمَرْتَبَةٌ

الصَّبْرِ يُعَقِّبُ خَيْرًا، فَاصْبِرُوا وَوَطَّنُوا
أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ تُوجِرُوا» (٢٣).

وعن حمزة بن حمران، عَنْ أَبِي
جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ
وَالصَّبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا
دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَجَهَنَّمَ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَاتِ
وَالشَّهَوَاتِ، فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا
وَشَهَوَاتَهَا دَخَلَ النَّارَ» (٢٤).

وعن أَبِي سَيَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام،
قَالَ: «إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ كَانَتْ
الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ،
وَالْبِرُّ مُطْلَقٌ عَلَيْهِ، وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةَ،
فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلِيَانِ
مُسَاءَلَتُهُ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
وَالْبِرِّ: دُونَكُمْ صَاحِبِكُمْ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ
عَنْهُ فَأَنَا دُونَهُ» (٢٥).

فتبيّن أنّ الصبر له قيمة معنوية
عالية، وله أجر عظيم، وأثر بالغ في
الدنيا والبرزخ والآخرة.

والمشي في الأربعين وتحمل عناء
السفر ووعثائه وما يحدث من صعاب

رَفِيعَةٍ، وَلَوْ كَانَ لِلتَّوَاضُعِ لُغَةٌ يَفْهَمُهَا
الْخَلْقُ لَنَطَقَ عَنْ حَقَائِقِ مَا فِي مُحْفِيَّاتِ
الْعَوَاقِبِ، وَالتَّوَاضُعُ مَا يَكُونُ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ،
وَمَا سِوَاهُ مَكْرًا، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ شَرَّفَهُ اللَّهُ
عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ، وَلِأَهْلِ التَّوَاضُعِ
سِمَاءٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ مِنْ
الْمَلَائِكَةِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْعَارِفِينَ،
قَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ
رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيْمَاهُمْ﴾
[الأعراف: ٤٦]، وَقَالَ أَيضًا: ﴿مَنْ
يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ﴾ [الآية: المائدة: ٥٤]. وَأَصْلُ
التَّوَاضُعِ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ وَهَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ،
وَلَيْسَ لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) عِبَادَةٌ يَقْبَلُهَا
وَيَرْضَاهَا إِلَّا وَبَابَهَا التَّوَاضُعُ، وَلَا يَعْرِفُ
مَا فِي مَعْنَى حَقِيقَةِ التَّوَاضُعِ إِلَّا الْمُتَقَرَّبُونَ
مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّصِلُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ
(عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]،
وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) أَعَزَّ خَلْقِهِ وَسَيِّدَ
بَرِيَّتِهِ مُحَمَّدًا بِالتَّوَاضُعِ فَقَالَ (عَزَّ وَجَلَّ):
﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ

المؤمنين﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وَالتَّوَاضُعُ
مَزْرَعَةُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْحُشْيَةِ
وَالْحَيَاءِ، وَإِنَّهُمْ لَا يَنْبَتْنَ إِلَّا مِنْهَا وَفِيهَا،
وَلَا يَسْلَمُ الشَّوْقُ التَّامُ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا
لِلْمُتَوَاضِعِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى « (٢٦) ».

وفي المشي إلى كربلاء يمرُّ المشي
بتهارين واضحة في التواضع والبساطة،
فقد بييت على فراش غير لائق، أو
يمشي في الطرق الوعرة، أو يخدم غيره
من الزوّار، أو يتبدأ بالسلام على من
يلاقيه، وهذه كلّها من علامات التواضع
كما في الرواية، ففي مشكاة الأنوار، قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مِنْ رَأْسِ التَّوَاضُعِ أَنْ
تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَقِيتَ، وَتَرُدَّ عَلَى
مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ، وَأَنْ تَرْضَى بِالذُّونِ مِنْ
الْمَجْلِسِ، وَلَا تُحِبَّ الْمُدْحَاةَ
وَالتَّرْكِيَةَ » (٢٧) .

كما أن ما يُقدِّمه أصحاب الموكب
هو من أعظم صور التواضع،
فيقومون بفرش الفراش للزوّار،

وإطعامهم، والسهر على خدمتهم، وتوفير كل الأمور لهم تواضعاً لله وخدمةً لعنوان قد تعنونوا به وهو عنوان: (زائر الحسين).

٣- الإيثار: من الكمالات التي تكشف عن رقيّ نفس الإنسان اتّصافه بالإيثار، وهو (تقديم الطرف الآخر لمصلحته وتفضيله على النفس مراعاةً له وتقديمه بهادّة. مال مثلاً. أو منفعة أو حقّ من الحقوق) (٢٨).

وقد جاءت الآيات والروايات مادحة لهذه الصفة.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا لِنَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٧).

ومن الروايات ما عن عليّ بن سويد السائي، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: قُلْتُ لَهُ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: «أَمْرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ»، ثُمَّ سَكَتَ، فَسَكَتُ إِلَيْهِ قَلَّةَ ذَاتِ

يَدِي، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَيْتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ عُرْبِي أَنَّ أَبَا فَلَانٍ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ فَكَسَانِيهِمَا، فَقَالَ: «صُمْ وَتَصَدَّقْ»، فَقُلْتُ: أَتَصَدَّقُ بِمَا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا؟ قَالَ: «تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ وَلَوْ أَثَرَتْ عَلَى نَفْسِكَ» (٢٩).

عن أبان بن تغلب، قال: كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا كَانَ سَيِّئًا لِي الذَّهَابَ مَعَهُ فِي حَاحِيَةٍ، فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَذْهَبَ إِلَيْهِ، فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَتَانِي إِلَيَّ أَيْضًا، فَرَأَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «يَا أَبَانَ، إِيَّاكَ يُرِيدُ هَذَا؟»، قُلْتُ: نَعِمَ، قَالَ: «فَمِنْ هُوَ؟»، قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، قَالَ: «هُوَ عَلِيٌّ مِثْلَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟»، قُلْتُ: نَعِمَ، قَالَ: «فَأَذْهَبَ إِلَيْهِ»، قُلْتُ: فَمَا قَطَعَ الطَّوْفَ؟ قَالَ: «نَعِمَ»، قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ طَوْفَ الْفَرِيضَةِ؟ قَالَ: «نَعِمَ»، قَالَ: فَذَهَبْتُ مَعَهُ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَقَالَ: «يَا أَبَانَ،

دَعَهُ لَا تَرُدُّهُ»، قُلْتُ: بَيْلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَلَمْ أَرَلْ أَرَدُّدُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: « يَا أَبَانُ تُقَاسِمُهُ شَطْرَ مَالِكَ»، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَرَأَى مَا دَخَلَنِي، فَقَالَ: « يَا أَبَانُ، أَمِيَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ ذَكَرَ الْمُؤَثِّرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟»، قُلْتُ: بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَقَالَ: « أَمِيَا إِذَا أَنْتَ قَاسَمْتَهُ فَلَمْ تُؤَثِّرْهُ بَعْدُ إِنَّمَا أَنْتَ وَهَوَ سِوَاءٍ إِنَّمَا تُؤَثِّرُهُ إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَهُ مِمَّنَّ النَّصْفِ الْآخَرَ» (٣٠).

وفي الأربعين نجد مصاديق الإيثار واضحة، فإن تقديم الآخرين على النفس من أعظم ما يقوم به السائر إلى الحسين والخادم في موكب الحسين، فيقدم مصلحة الزائر على مصلحة نفسه، وراحة الزائر على راحة نفسه، ويُنْفِقُ من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله، وهكذا، فيتعلم من الزيارة درساً عظيماً وهو الإيثار.

٤- التضحية: فإنَّ الماشي إلى زيارة الحسين يُقدِّم الجهد الجهيد والتضحية بماله أو بوقته أو بنفسه

تضحية منه لأجل هذه الشعيرة وهذا الدين، وفي ذلك تمرين على التضحية لأجل المبادئ والقيم السامية، وقد أشار الإمام الصادق إلى ذلك في دعائه لهم: «... اغْفِرْ لِي وَإِخْوَانِي وَزُورِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرِّنا وَرَجَاءٍ لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَعَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا...، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَمَا أَثْرُونَا بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ...» (٣١).

٥- العفة: من الصفات التي ركزت عليها الشريعة صفة العفة في البطن والفرج، بل وصفت العفة بأنَّها من أفضل العبادات، وجاءت النصوص مبيِّنة لذلك:

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: ٥)، وقوله تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ

فُرُوجُهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴿﴾ (الأحزاب: ٣٥).

ومن الروايات ما عن الْمُفَضَّلِ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالسَّفِيفَةَ فَإِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرَّجُهُ، وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ، وَعَمِلَ لِحَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ، فَإِذَا رَأَيْتَ أَوْلِيَّكَ فَأَوْلِيَّكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ» (٣٢).

فإن الزيارة فيها نحو من أنحاء الاختلاط، وهو وجود الزائرات والزائرين في مكان واحد، وهنا تبرز العفة في التعامل مع الجنس الآخر من خلال غصُّ البصر وحفظ اللسان وحفظ اليد والفرج عن التعدي، ومنع النظرات المحرمة والتزام الحجاب الشرعي والتعامل مع الآخر بآته من المحارم كما ورد في الروايات: صحيح صفوان الجمال، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَدْ عَرَفْتَنِي بِعَمَلِي تَأْتِينِي الْمَرْأَةَ أَعْرِفُهَا بِإِسْلَامِهَا وَحُبِّهَا إِيَّاكُمْ وَوَلَايَتِهَا لَكُمْ

لَيْسَ لَهَا مُحْرَمٌ قَالَ: «إِذَا جَاءَتِ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةَ فَاحْمِلْهَا فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مُحْرَمٌ الْمُؤْمِنَةَ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ آيَةَ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] «(٣٣).

لذا ذهب الفقهاء إلى عدم اشتراط المحرم في الحج والزيارة ما دامت المرأة مأمونة على نفسها كما بينت ذلك في بحثٍ مستقلٍ بعنوان (مشي النساء إلى كربلاء) (٣٤).

٦ - الشجاعة: فإن الزيارة تُعلم الإنسان الشجاعة في اتِّخَاذِ الموقِفِ، والصبر على الخوف، وقوة الإقدام خصوصاً مع المنع للزيارة كما كان يحصل أيام الطاغية.

ففيها توطين للنفس على المواجهة والتعدي للموت والقتل والسجن والتعذيب، وما هذا إلا صور رائعة من صور الشجاعة والإقدام في سبيل المبادئ والقيم الدينية.

لذا وردت الروايات في الحث على الزيارة حتى في مثل هكذا محن

وشدائد.

لَهُ، فَإِذَا حُشِرَ قَبِيلَ لَهُ: لَكَ بِكُلِّ دِرْهَمٍ
عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
نَظَرَ لَكَ وَذَخَرَهَا لَكَ عِنْدَهُ» (٣٧).

منها:

أ- أجر من حُسِّسَ في طريق

الحسين عليه السلام: في الوسائل عن هشام بن
سالم، قال: قُلْتُ لِلْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام:
فَمَا لِمَنْ حُسِّسَ فِي إِتْيَانِهِ؟ قَالَ: «لَهُ
بِكُلِّ يَوْمٍ يُحْبِسُ وَيَعْتَمُّ فَرَحَهُ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ» (٣٥).

ب- أجر من ضُربَ بطريق

الحسين عليه السلام: في مستدرک الوسائل في
حديث طويل لهشام عن الصادق، قُلْتُ:
فَإِنْ ضُرِبَ بَعْدَ الْحُسِّسِ فِي إِتْيَانِهِ؟ قَالَ:
«لَهُ بِكُلِّ ضَرْبَةٍ حَوْرَاءٍ، وَبِكُلِّ وَجَعٍ
يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَلْفُ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَيُمْحَى
بِهَا عَنْهُ أَلْفُ أَلْفِ سَيِّئَةٍ» (٣٦).

ج- أجر من مات في طريق

الحسين عليه السلام: في بحار الأنوار: «... فَإِنْ
هَلَكَ فِي سَفَرِهِ نَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ فَعَسَلَتْهُ،
وَفُتِحَ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ
رَوْحُهَا حَتَّى يُشْرَرَ، وَإِنْ سَلِمَ فُتِحَ الْبَابُ
الَّذِي يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ فَجَعَلَ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ
أَنْفَقَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَذَخَرَ ذَلِكَ

د- أجر من قُتِلَ في طريق

الحسين عليه السلام: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ،
عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ لَهُ
طَوِيلٍ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ
رَسُولِ اللَّهِ، هَلْ يُزَارُ وَالِدُكَ؟ قَالَ:
فَقَالَ: «نَعَمْ...»، إِلَى أَنْ قَالَ: قُلْتُ:
فَمَا لِمَنْ قُتِلَ عِنْدَهُ جَارَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ
فَقَتَلَهُ؟ قَالَ: «أَوَّلَ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ
يُغْفَرُ لَهُ بِهَا كُلُّ خَطِيئَةٍ، وَتُغَسَّلُ طَبِئَتُهُ
الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَخْلُصَ
كَمَا خَلَصَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ الْمُخْلِصِينَ،
وَيَذْهَبُ عَنْهَا مَا كَانَ خَالَطَهَا مِنْ
أَجْنَاسِ طِينِ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَيُغَسَّلُ
قَلْبُهُ، وَيُشْرَحُ صَدْرُهُ، وَيُمْلَأُ إِيمَانًا،
فَيَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ مُخْلِصٌ مِنْ كُلِّ مَا
كُتِبَتْهُ الْأَبْدَانُ وَالْقُلُوبُ» (٣٨).

فإن هذه مراكز تدريب ميدانية
على الشجاعة والإقدام وعدم

التهيّب من الأعداء والطغاة، فتكون من أهمّ وسائل الإعداد الجهادي لأنصار الإمام الحجّة عليه السلام.

٧- الموالاة والبراءة: من المفاهيم العقائدية التي ركّزها آل البيت عليهم السلام في نفوس أتباعهم مفهوم الولاء لأولياء الله تعالى والبراءة من أعداء الله تعالى، وهو أن تجعل حبّك ومودّتك وطاعتك لأولياء الله تعالى وبغضك وعصيانك لأعداء الله تعالى، وهذان المفهومان لهما تأثير على المستوى العقدي فلا إيمان حقيقي إلاّ بهما، وعلى المستوى العملي فلا قبول، بل لا صحّة للعمل - على خلاف - إلاّ بهما، وهذا ما أشارت له الكثير من الآيات والروايات.

فمن الآيات وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ

الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً...﴾ (آل عمران: ٢٨).

ومن الروايات: عَنْ سَعِيدِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «مَنْ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَتُعْطِيَ فِي اللَّهِ، وَتَمْتَنَعَ فِي اللَّهِ» (٣٩).

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَلَى الدِّينِ وَلَمْ يُبْغِضْ عَلَى الدِّينِ فَلَا دِينَ لَهُ» (٤٠).

وعن أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَحِبِّبْ فِي اللَّهِ، وَأَبْغِضْ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللَّهِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعَمَ الْإِيمَانَ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ مَوَاحَاةَ النَّاسِ يَوْمَكُمْ

هَذَا أَكْثَرَهَا فِي الدُّنْيَا، عَلَيْهَا يَتَوَادُّونَ، وَعَلَيْهَا يَتَبَاغَضُونَ، وَذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ أَنِّي قَدْ وَايَيْتُ وَعَادَيْتُ فِي اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)؟ وَمَنْ وَايَى اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) حَتَّى أُوَالِيَهُ؟ وَمَنْ عَدُوَّهُ حَتَّى أُعَادِيَهُ؟ فَأَشَارَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا؟ فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: وَيَى هَذَا وَيَى اللَّهُ فَوَالِيهِ، وَعَدُوُّ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ فَعَادِهِ، وَالِ وَيَى هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيكَ وَوَلَدِكَ، وَعَادِ عَدُوَّ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ أَبُوكَ وَوَلَدُكَ» (٤١).

والروايات تشير لذلك، منها: عن معاوية بن وهب، عن الصادق عليه السلام: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُورِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرِّنَا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا...» (٤٢).

وفي هذه الصور الولائية البرائية عدة أمور:

أ- إيصال رسالة إلى العالم أجمع بأننا سائرون على هذا النهج الذي رسمه آل البيت عليهم السلام وخصوصاً الإمام الحسين عليه السلام في رفض الظلم والدفاع عن عقيدة الأمة وإصلاحها ولو كلف ذلك الحياة.

ب- إيصال رسالة بأننا رافضون للنهج التكفيري والأموي المستبح للنفوس والأعراض والأموال لأغراض سلطوية وذنوبية، وأن هذا النهج لا بد أن يجارب كي لا يتكرَّر

وزيارة الأربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لآل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، وخصوصاً إذا اكتنفها الشعارات الدالة على ذلك مما يعزز العنصرين المهمين في عقيدة الإنسان الحقَّة وعمله المقبول، وهذا التوليُّ والتبرُّي يفعله زورَّ الحسين عليه السلام من خلال إحياء الشعائر التي يمارسونها في شعيرة الأربعين استجابةً لأمر آل البيت عليهم السلام وغازطةً لأعدائهم،

في التاريخ.

ج- إيصال رسالة للعالم بأنَّ مذهب آل البيت عليهم السلام هو مذهب الاعتدال والإنسانية والإصلاح، وأنَّ معيار موالاة أهل طاعة الله تعالى وبغض أهل معصية الله تعالى وسيلة لإصلاح العباد والبلاد وردع للظالمين وتقوية للمؤمنين، وأنَّ الناس لا تقاس على أساس العرق أو اللون أو القرابة وإنما على أساس الإيمان والتقوى والولاء لله تعالى وأوليائه والبراءة من الشيطان وأتباعه من الجنِّ والإنس، وغيرها.

٨- التدرّب على التعايش السلمي مع الآخر: من أهمّ الإشكاليات التي تواجه الأمم والديانات هو التدرّب على التعايش السلمي مع الآخرين، وكيفية التعامل معهم وعدم إلغائهم فكرياً أو معنوياً أو حتى مادياً، وهذا ما تسعى لتحقيقه المنظّمات الدولية وخصوصاً الأمم المتّحدة، وتجعل برامجاً لذلك، وتعمل على نفي

الصراعات ونشوء حركات وتوجّهات تدعو للقتل والتقاتل كالحركات النازية أو الشعوبية أو الوهابية أو ما تمخّض عن ذلك كداعش والقاعدة والنصرة وأخواتهنّ.

وهذا ما جاء به الدين الحنيف من رسم علاقتك مع الآخر وإن اختلف معك في المذهب أو العرق أو الدين على أسس لا قتل فيها إلا إذا بادرك للحرب والخرابة أو تعدّى على مقدّساتك ومعتقداتك، بل الإسلام رسم لنا نمطاً في التعاطي مع الأعداء فضلاً عن غيرهم ^(٤٣).

فأمير المؤمنين عليه السلام حدّد مجمل علاقتك بالناس من خلال العهد المبارك- عهد مالك الأشر-، والذي هو برنامج أساسي للعلاقات الداخلية والخارجية، والذي منه: « وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا

تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِبًا تَعْتَنِمُ
أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخْ لَكَ فِي
الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ،
يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ، وَتَعْرِضُ لَهُمْ
الْعَلَلُ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ
وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ
وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى
أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ،
فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ
فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ
وَلَاكَ...» (٤٤).

والزيارة بهذه السعة المليونية
تعتبر موسماً للانفتاح على حضارات
ولغات وثقافات من كل العالم،
وذلك يجعلنا نكتسب خبرة عالية من
التعامل مع الآخر حتى مع اختلافنا
معه في اللون أو القومية أو الثقافة أو
البلد أو المذهب أو حتى الدين.

٩ - إلغاء الطبقة والتعالى
والتكبر: فإن من أخطر الأمراض
التي تنسف بالمجتمعات هو بروز

الطبقة بين أفرادها مما ينتج التعالى
والتكبر واستعباد الآخرين بسبب
السلطة أو المال أو الجاه، فيحتاج
الإنسان ما يكسر جموح النفس
ويضعف هذه الصفات، ولعل أهم
ما يعمل على ذلك هو التعاطي
العملي والسيرة العملية مع أفراد
المجتمع، وموسم الأربعين إنما هو
درس عملي لإلغاء التكبر والتعالى،
خصوصاً ما يمارسه أصحاب
المواكب من إلغاء الذات والتواضع
وتقديم الخدمات بتفاني لكل الناس،
فترى الكبير يخدم الصغير والغني
يخدم الفقير، بل ورب العمل يخدم
عماله كما أشرنا في ما مر من نقطتي
التواضع والإيثار.

١٠ - الشعور بالمسؤولية: إن
تحمل المسؤوليات من أهم المقومات
لصناعة الإنسان، وكلما كانت
المسؤوليات أكبر كانت الصناعة
أقوى، لأنها سوف تدخل في كبرى
أن الابتلاء مدرسة لصناعة العظماء.

ثُمَّ يَسْأَلُكُمْ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ
بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ « (٤٦) .

فإنَّ هذه الزيارة تدعوننا إلى تحمُّل
المسؤولية الدينية في إيصال رسالة
عامَّة لكلِّ العالم بأننا مجتمع يملك
من الصفات والمقومات الحضارية
والاجتماعية والتربوية والإدارية
العالية.

فهي فرصة لبيان الإسلام
المحمّدي العلوي الناصع من خلال
عكس الصورة الحقيقية للمذهب،
لا كما ينقل بعض عن تحلّف الإسلام
والمسلمين من خلال عكس صورة
لأناس يدعون انتحالهم للإسلام
والإسلام براء منهم كبعض
الحركات السلفية والوهابية، وبعض
الدول المتخلفة دينياً وقيماً والمتحللة
أخلاقياً وتربوياً، وأن تلك الفئات لا
تمثّل الإسلام.

والخلاصة:

إنَّ هذه الصفات والمميّزات هي

فتبرز أماننا مسؤولية عظمى
نُسَلَّ عنها يوم القيامة، وهي نعيم آل
البيت ﷺ الذي يجب علينا أداء
حقّه، وإبراز الصورة الحقيقية لما هم
عليه من أخلاق وقيم ومعارف.

ففي رواية المحاسن: ... ذَكَرْتُ
الْآيَةَ الَّتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿لَتَسْئَلُنَّ
يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]،
فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ﷺ: « لَا إِنَّمَا
تُسْأَلُونَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ
الْحَقِّ » (٤٥) .

وفي المحاسن أيضاً عن أَبِي حَمَزَةَ،
قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةً،
فَدَعَا بِطَعَامٍ مَا لَنَا عَهْدٌ بِمِثْلِهِ لَدَاذَةً
وَطِيباً حَتَّى تَمَلَّيْنَا، وَأَتَيْنَا بِتَمْرٍ يَنْظُرُ فِيهِ
إِلَى وُجُوهِنَا مِنْ صَفَائِهِ وَحُسْنِهِ، فَقَالَ
رَجُلٌ: ﴿لَتَسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾
[التكاثر: ٨] عَنِ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي
نُعْمِتُمْ عِنْدَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: « اللَّهُ أَكْرَمُ وَأَجَلُّ
مَنْ أَنْ يُطْعِمَكُمْ طَعَاماً فَيَسْوِعَكُمْوهُ

الشابّة والمضحّة التي تتحدّى الصعاب وتواجه أشرس الأعداء مع قلّة العدّة والعدد هو حضور شخصية الحسين عليه السلام بين ظهرائنا، والتي تبرز في مواسم منها موسم الزيارة، فتكون الشخصية الحسينية صانعة لشخصية مهدوية.

فما سطره الأبطال في ساحات القتال من تضحيات لم يكن وليد اللحظة، بل هو صناعة حسينية بمستقبل مهدوي، لذا كانت شعاراتهم في المعركة هي شعارات الحسين والعبّاس والأكبر و...، وتحركاتهم وتطلّعاتهم تطلّعات مهدوية نائرة تعدُّ لعصر الظهور.

فالتضحية - بالنفس بالمال بالراحة - لأجل الغير ولأجل المبدأ ولأجل الدين ولأجل الإسلام ولأجل المقدّسات ولأجل العزّة إنّما هي دروس تعلّمناها من مدرسة الحسين ومن شعائر الحسين، ربطت بالموجود ومستقبل العالم الذي يقوده الإمام المهدي عليه السلام.

تدريب عملي وتمهيد حقيقي لخلق إنسان الظهور وما بعد الظهور، فالزيارة مدرسة أخلاقية كبيرة لشخصية الظهور المهدوي المبارك. خصوصاً وأنّ هذا البناء ليس بناءً نظرياً فحسب، بل هو بناء عملي كبير يخلق روحاً سامية مؤهّلة لمرحلة الظهور وما بعده.

المحور الثامن: المحور العسكري:

إنّ المؤسّسة العسكرية لا تُقاس بقوّة تسليحها فقط، وإنّما الأهمّ فيها هو وجود الموارد البشرية فيها، خصوصاً الموارد البشرية الشابّة والتي لها استعداد عالي للتضحية والفداء والإباء.

وزيارة الأربعين لهي من أهمّ موارد بناء الشباب المهدوي العسكري المقاوم والمضحّي، ولعلّ تجربة مقاومة الاحتلال الأمريكي للعراق وتجربة الحشد الشعبي في العراق من أكبر الشواهد على ذلك، فإنّ من أهمّ ما بنى هذه الشخصيات

فهناك جيش عالمي قد تمَّ إعداده سابقاً، وخاض التجارب في عدَّة دول، ونجح نجاحات باهرة قد يكون هونوة من جيش المهدي المنتظر عليه السلام، وزيارة الأربعين هي الرافد الأساسي لهذا الجيش القادم الذي يقوده صاحب الأمر عليه السلام نحو تحقيق العدل والقسط والسلام.

المحور التاسع: المحور الإعلامي:

من العادات الجارية لدى القوى السياسية أو غيرها استعراض جماهيرها من خلال مظاهرات أو تجمّعات أو احتفالات أو مناورات أو غيرها، وذلك لإيصال رسالة إلى الآخر بأن لنا جماهير ونحن أقوياء من باب: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠)، كلُّ بحسب موقعه وعمله وقدرته.

والمؤمنون بالقضية المهدوية لا بدَّ لهم من ذلك أيضاً، وما يحصل من تجمع مليوني ليس له نظير وبشكل عفوي وبتنظيم ذاتي وتمويل

شخصي لهو أعظم صور الاستعراض الإعلامي للجمهور المؤمن، فالشعيرة الأربعينية ليست عبادة فردية فحسب، بل أصبحت ذات طابع يحوي عبادة جماعية كشعائر الحجِّ وصلاة الجمعة، وهذا يُعطي أهمية كبرى وثراءً معنوياً وانفجاراً إعلامياً يوصل رسالة واضحة للجميع (بأننا حسينيون، بأننا ممهدون، بأننا مؤمنون، بأننا أقوياء، بأننا منظمون، بأننا متكاملون، بأننا مصلحون، وهكذا).

خصوصاً إذا عكسنا الصورة التي أراد لنا آل البيت عليهم السلام عكسها للإنسانية، وأنَّ الدين الإسلامي هو الخاتم، وأنَّ المهدي عليه السلام هو المخلص، وأنَّه لا نجاة إلاَّ به.

فيرز لنا أمور:

١ - تحقيق منجز عددي وأنَّ جماهيرنا مليونية وبتزايد كلِّ عام بحيث لا يسع المكان للجمهور.

٢ - تحقيق منجز نوعي بأنَّ جماهيرنا مؤمنة وقويّة ومخلصة

ومطية لله ورسوله وآله.

٣- تحقيق منجز دولي بأن زيارتنا دولية وليست إقليمية أو قطرية، إذ يأتيها الناس من كل فج عميق.

٤- تحقيق منجز حضاري بأننا منظمون ولا يتعدى بعضنا على بعض طوال أيام الزيارة.

٥- تحقيق منجز تعارفي بين لغات مختلفة وثقافات متعددة وقوميات متنوعة لتبادل الخبرات والهموم والمشكلات ومعالجة الأوضاع والشعور بالآخر.

المحور العاشر: المحور التمريني والتدريبي:

إنَّ الإنسان بطبعه يميل إلى الدعة والراحة وعدم الدخول بالصعاب، فإذا مرَّ بصعوبات قد يؤدي به إلى الضعف أو الانهيار أو ترك المبادئ أو التخلي عن بعضها، لذا يحتاج إلى دورة تدريبية لرفع ذلك.

وموسم الزيارة مع طول

المسافات وكثرة الصعوبات وشدة الابتلاءات- خصوصاً مع البرد القارص أو الحرّ الشديد أو الخوف من الظالم كما في عهد النظام المقبور بل وغيره- فهو مركز تدريبي عام وشامل لتحمل أنواع الصعاب والمحن والثبات على المبدأ الذي رسمه آل البيت عليهم السلام.

فالزيارة تُمثّل مركزاً لتدريب المؤمن للاستعداد والإعداد لعصر الظهور، فيدخل ذلك في الإعداد للمهدي عليه السلام والنهوض معه في ثورته العالمية وتحمل الصعاب، فلا يتفاجئ إذا ما بُلي بصعوبة أو شدة، بل يواجهها بعزم حسيني ومستقبل مهدوي.

فهذه الصعوبات والزلازل والمحن التي يمرُّ بها المؤمن ما هي إلا تقويةً لصلبه وتمرنًا له لمواجهة العدو.

فالزيارة الأربعينية ورشة عمل معمّقة لصناعة الشخصية المهدوية

للظهور وما بعده.

والتكافل والإيثار له صور، منها:

- التكافل والإيثار بالطعام ولو على حساب نفسك.

- التكافل والإيثار بالمبيت ولو بقيت سهراناً.

- التكافل والإيثار بالفراش والغطاء.

- التكافل والإيثار حال الرجوع من خلال إعطاء مقعدك لغيرك والبقاء واقفاً.

- التكافل والإيثار بتفضيل راحة الآخرين على راحة النفس.

وهكذا غيرها من الصور.

المحور الثاني عشر: البناء السياسي:

إنَّ زيارة الحسين عليه السلام موسم مهم لا ستذكار مبادئ ثورته، ومنها المبدأ السياسي، وهو البراءة من الظالمين والثورة عليهم، وخلق إرادة سياسية صادقة لدى المؤمن للتغيير والخروج على الظالمين، والاستعداد لذلك تحت

المحور الحادي عشر: المحور التكافلي:

من العناصر المهمّة في الشخصية الممهّدة للظهور وجود روح التكافل والإيثار في تلك الشخصية، ومن أهمّ سُبُل تحقيق هذا البناء هو التدرّب على التكافل ومساعدة الآخرين وإيثار راحة الآخرين على راحة النفس حتّى مع التعب والخصاصة، والمشى في زيارة الأربعين هو موسم تكافلي عظيم حيث إنّ الخدمات تُقدّم مجاناً بلا منّة ولا ضجر، بل بفرحة وبهجة، ولعلّ التكافل الذي يُقدّمه أصحاب المواكب من أعظم صور التكافل والخدمة، وهذا واضح بالوجدان لكلّ من مشى للزيارة، وكذلك روح الإيثار والمساعدة بين الزائرين وعطف الكبير على الصغير وتوقير الصغير للكبير ومساعدة الرجل للمرأة والعكس، وهكذا.

قيادة الإمام الحجّة عليه السلام كي يعزّز الأولياء ويذلّ الأعداء ويملئها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، كما أنّها رفض للائجه السياسي المستبدّ وإن تلبّس بلبوس الدين وأدعى النيابة عن المسلمين، وكذلك رفض للسياسة الداعية إلى الخضوع والتذلل للقوى العالمية المستبدة تحت ذريعة سياسة الأمر الواقع ومداهنة الأعداء ممّا يضيّع معالم الدين والعباد والبلاد.

فاستذكار شعارات الحسين عليه السلام في الثورة كخطابه: « أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُعَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ » ^(٤٧) يكون حافزاً كبيراً للاستعداد السياسي والتمهيد السياسي للإمام الحجّة عليه السلام من خلال نشر الأفكار الدالّة على أنّ الإمام هو المخلّص السياسي من ظلم الدول الجائرة.

وبذلك تنخلق إرادة سياسية لدى الأمة المؤمنة تُحفّز المؤمن للالتحاق بالشخصية المنقذة والبراءة من الأمة الظالمة والقاتلة والراضية بذلك كما ورد في الزيارة: « لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً خَدَلَّتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً خَدَعَتْكَ » ^(٤٨).

خصوصاً إذا كانت الزيارة مقترنة ببعض النصوص التي تشير إلى نصره آل البيت وخاتمهم الإمام الحجّة عليه السلام كما في الزيارة: « اللَّهُمَّ أَنْتَ مَنَّتَ عَلَيَّ بِزِيَارَةِ مَوْلَايَ وَوَلَايَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَنْصُرُهُ وَتَنْصُرُ بِهِ [يُنْتَصِرُ بِهِ وَيَنْصُرُهُ]، وَمَنْ عَلَيَّ بِنَصْرِكَ لِدِينِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » ^(٤٩).

وبالأخصّ الاستعداد للنصرة الوارد في زيارة عاشوراء: « فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ وَيَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مُنْصُورٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ » ^(٥٠).

فزيارة الأربعين كفيلاً بهكذا بناء سياسي للمجتمع المهدي الذي يأبى الظلم والظيم ويثور على الظالمين والمعتدين ولا يدهن المنحرفين والمستبدين وإن علوا وتغطرسوا.

هذا ما أردنا ذكره من محاور، وهناك محاور أخرى قد تظهر للمتتبع لم نذكرها دفعا للإطالة.

النتيجة:

إن زيارة الأربعين فيها عظيم البركات في كل المستويات المادية والمعنوية، ومن أعظم البركات دور وأهمية هذه الزيارة المليونية في الإعداد العملي للظهور وصناعة شخصيات

الهوامش:

[١] مشير الأحزان: ٤.

[٢] الاحتجاج ٢: ٣٠٠.

[٣] بحار الأنوار ٤٥: ٧.

[٤] مشير الأحزان: ٢٤.

[٥] الإمامة والتبصرة لابن بابويه: ٢١.

[٦] كفاية الأثر: ٢٨١: منها ما روي: «...»

يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدَدُ أَهْلِ بَدْرِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ):

الظهور ومجتمعه، فحريٌّ بنا أن نجعل تلك الزيارة منارةً لنا للتمهيد وانطلاقةً للانتظار الحقيقي الخالص للإمام عليه السلام، فنكون ممن أسهم في تعجيل الظهور المهدي المقدس ببركة الزيارة الحسينية المقدسة، فنحظى بالنصر الإلهي التام على أعداء الله تعالى ورسوله وآله (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين)، ويأخذ المهدي عليه السلام بثأر جدّه الحسين عليه السلام ممن قتلوه وسلبوه وسبوا عياله، ويعزُّ الأولياء ويذلُّ الأعداء ويظهر الدين ولو كره الكافرون، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرَهُ، فَإِذَا أُكْتَلِمَ لَهُ الْعَقْدُ وَهِيَ عَشْرَةُ أَلْفٍ [الآف] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ...».

[٧] المصدر السابق. وقد بحثت ذلك في بحث مستقل قد يُطبع لاحقاً.

- [٨] الكافي ٣: ٢٦٥.
 [٩] الجعفریات: ٣٣.
 [١٠] كفاية الأثر: ٢٨١.
 [١١] كامل الزيارات: ١٣٢.
 [١٢] المصدر السابق.
 [١٣] المصدر السابق.
 [١٤] راجع: بحار الأنوار ٦٩: ٥٧ وما بعدها حيث وازن بين إشكالية كون المال فتنة وكونه زينة.
 [١٥] الكافي ٢: ٦٣٥.
 [١٦] المصدر السابق.
 [١٧] المصدر السابق ٢: ٦٣٦.
 [١٨] راجع: آداب العشرة في الوسائل، أو غيرها من الموسوعات الحديثية.
 [١٩] جامع أحاديث الشيعة ١٣: ٥٤٠.
 [٢٠] للمزيد يراجع العدد (٢) من مجلّة الموعود (ص ٢٩٥).
 [٢١] وسائل الشيعة ١٦: ٢٠٣.
 [٢٢] المصدر السابق ١٦: ٢٤٧.
 [٢٣] الكافي ٢: ٨٩.
 [٢٤] المصدر السابق.
 [٢٥] المصدر السابق ٢: ٩٠.
 [٢٦] مستدرك الوسائل ١١: ٢٩٨.
 [٢٧] مشكاة الأنوار: ٢٠٠.
 [٢٨] الإيثار في المنظومة الخلقية (العبّاس نموذجاً).
 [٢٩] الكافي ٤: ١٨.
 [٣٠] المصدر السابق ٢: ١٧١.
 [٣١] المصدر السابق ٤: ٥٨٢.
 [٣٢] الكافي ٢: ٢٣٣.
 [٣٣] من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٣٩.
 [٣٤] مثنى النساء إلى كربلاء/ مجلّة الإصلاح الحسيني/ العدد ٥.
 [٣٥] وسائل الشيعة ١٤: ٤٤٢.
 [٣٦] مستدرك الوسائل ١٠: ٢٧٩.
 [٣٧] بحار الأنوار ٤٥: ١٧٢.
 [٣٨] كامل الزيارات: ١٢٣.
 [٣٩] الكافي ٢: ١٢٥.
 [٤٠] المصدر السابق ٢: ١٢٧.
 [٤١] بحار الأنوار ٦٦: ٢٣٦.
 [٤٢] المصدر السابق ٤: ٥٨٢.
 [٤٣] راجع بحث (نمط التعاطي مع الأعداء) بحث نشرته مجلّة المنهج العدد ٢.
 [٤٤] نهج البلاغة/ عهد مالك الأشر. [٤٥] المحاسن ٢: ٤٠٠.
 [٤٦] المصدر السابق.
 [٤٧] بحار الأنوار ٧٨: ١٢٨.
 [٤٨] كامل الزيارات: ٤٣.
 [٤٩] المصدر السابق: ٤٥.
 [٥٠] المصدر السابق.

الشيخ محمد رضا الساعدي
باحث وأستاذ في حوزة النجف الأشرف

دور الزيارة الأربعينية في الإصلاح

مقدمة

كانت وما زالت الثورة الحسينية ثورة الإصلاح الأكبر، ليس عند أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فحسب، بل عند أحرار العالم أجمع، فمع مرور ما يقارب أربعة عشر قرناً ما زالت شعلتها الوقّادة تلتهب في قلوب المؤمنين خاصّة والأحرار عامّة، وما زالت التضحية التي رسمها الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه في عاشوراء، تُنير درب الثوّار وتشحذ الهمم في كلّ بقاع الأرض، فكان الجود

بالنفس سمة النصر الحسيني، وأصبح هذا الدم الطاهر مادّة السّقاء لشجرة التحرّر والفداء والتضحية من أجل العدل والإصلاح والنهوض والإباء. ومن عظمة هذه الثورة، أثمرت أوجدت مظاهر وشعائر أضافت إصلاحاً وتوعيةً إلى الإصلاح الذي أوجدته أصل الثورة، وهذا ما لا نجده في غيرها.

وكان عنصر الخلود والتجدّد والمعاصرة ممّا امتازت به ثورة الحسين عليه السلام، كما ورد في الرواية عن

جده العظيم محمد ﷺ: « إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً »^(١).

وبعد أن انحرفت الأمة عن مسارها الصحيح أراد الحسين ﷺ بدمه ومهجته أن يوقظها مما هي عليه، فصَدَعَ بمقولته المشهورة: « وأتي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ﷺ، فَمَن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومَن ردَّ عليَّ هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين »^(٢).

وهذا الإصلاح الذي استهدفه الإمام الحسين ﷺ هو الإصلاح العام الشامل لكل النواحي، سواء كانت دينية، أو فكرية، أو أيديولوجية، أو تربوية، أو سياسية. فهو لم يستهدف الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الممارسات الفردية

فحسب، بل استهدف الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الجماعي أيضاً، فكما أن هناك منكراً فردياً ومعرفواً فردياً، كذلك هناك منكر جماعي ومعروف جماعي، قد تمارسه جماعة سياسية فيكون منكراً سياسياً، أو جماعة اقتصادية فيكون منكراً اقتصادياً، أو جماعة تربوية، أو فكرية، أو إعلامية... وغير ذلك.

ونستطيع القول: إن العملية الإصلاحية التي كان الحسين ﷺ يستهدفها ليست إصلاح الأوضاع في زمانه فحسب، بل الإصلاح في كل الأزمنة، ولعل الإصلاح في كل الأزمنة كان هدفه الأساسي؛ لمعرفة ﷺ أن أهل زمانه غير قابلين للإصلاح، وقد أشار إلى هذا المعنى في خطبته: « ويلكم، ما عليكم أن تنصتوا إلي فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فَمَن أطاعني كان من المرشدين، ومَن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاصٍ لأمري غير مستمع قولي، فقد

مُلئت بطونكم من الحرام، وطُبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟! ألا تسمعون؟!» (٣).

إنَّ هناك مظاهر عديدة وصوراً متنوّعة للإصلاح في شعائر الحسين عليه السلام، منها: مظهر الخطابة الحسينية، والشعر الحسيني، والزيارة الحسينية وغيرها، ونموذجنا في هذا المقال هو زيارة الأربعين المليونية العالمية المباركة، حيث أصبحت تلك الزيارة مظهراً عالمياً، ورسالة كبرى في الإصلاح بكلِّ نواحيه، وهنا نقف بصورة مختصرة على مفردة الإصلاح فحسب، تاركين فوائد الزيارة الأخرى؛ دفعاً للإطالة والخروج عن هدف البحث، مستعرضين ذلك في عدّة محاور:

المحور الأول: الإصلاح المعنوي والروحي

من أهم ما يُسهم في الإصلاح الفردي والاجتماعي هو بناء شخصية

المؤمن بناءً روحياً ومعنوياً؛ ليكون مؤهلاً للقيام بوظيفته الشرعية تجاه ربّه ونفسه ومجتمعه، وهناك آليات عديدة لبناء الشخصية الإسلامية عموماً، ولعلَّ أهمّ تلك الآليات هو اتخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها، والتزوّد بالعلم والمعرفة وغيرها، وبناء هكذا شخصية يجعل الإنسان قوياً وصبوراً أمام المصاعب والشدائد، ويوجد عنده نفساً عزيزة تأبى الذلَّ والمسكنة، فيصبح شجاعاً وصادقاً وأميناً، وغير ذلك من الصفات الحميدة.

ومن الآليات المهمّة أيضاً هو انتهاج السلوك العبادي، واتخاذ وسيلة للتقرب إلى الله، وبناء الملكات والفضائل النفسانية، وكسر الشهوات ومحو الرذائل، فالصلاة - مثلاً - لها آثار معنوية كبيرة كما صرّحت الآيات والروايات، فهي حصانة للإنسان من الوقوع في الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٤)، وهي وسيلة يتقرب بها

وهذه الممارسات العبادية المتنوعة، خصوصاً عند تكرارها، تخلق جواً روحياً عالياً من خلال ما يحصده المؤمن من الأجر والثواب، لا سيّما وأنه يتحمّل متاعب المشي، والحرّ والبرد، وتورّم الأقدام، وغير ذلك من المصاعب، كما كان يتحمّل الجوع والخوف في زمن الطغاة. وهذا يخلق شخصية دينية صلبة الإيمان تكون مؤهلة لممارسة دورها الشرعي.

بعض روايات المشي وثوابه

وردت روايات مستفيضة، بل متواترة وصحيحة، في المشي وأهميته العبادية، منها:

١- عن أبي الصامت، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «مَن أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة ألف حسنة، ومحاه عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة...» (٧).

٢- عن علي بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «يا عليّ، زُر

العبد إلى الساحة الإلهية، وابتعد بها عن الخطط الشيطانية، كما جاء في الحديث: «الصلاة قربان كلّ تقي» (٥)، وهي سبيل للعروج إلى الربّ، فقد ورد: «الصلاة ميزان أمّتي» (٦)، إلى غير ذلك من الآثار.

وهكذا الصوم، والحج، والجهاد، وأداء الحقوق الشرعية، وغيرها، كلّ له آثاره في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتربيتها تربية إسلامية.

وزيارة الأربعين - وبالخصوص مشياً - تمثل ممارسة عبادية متنوعة وطويلة الأمد - زماناً ومسافة - وتشابه إلى حدّ ما موسم الحج، من حيث التنوّع العبادي، والجهد المعنوي، والتعبوي، فتُمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة، والصلاة - خصوصاً صلاة الجماعة - والتسبيح، والوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء، والمشى - بناء على كونه عبادة كما هو الصحيح - وغيرها.

الحسين عليه السلام في البناء المعنوي وتحصيل الأجر الرافع للدرجات، وهو ممّا يحتاج إليه كلّ مؤمن لتحقيق سعادة الدارين.

المحور الثاني: الإصلاح الاقتصادي

إنّ القوّة الاقتصادية وتأمين الوضع المالي واحدة من أهمّ مقومات نجاح الأمم والحركات بعد الموارد البشرية، وكذلك معرفة كيفية إدارة المال، وعدم الإسراف والتبذير، وحسن الاقتصاد بالصرف يُشكّل دعامة اقتصادية أخرى.

فالمال له أهمية كبيرة في بناء الفرد والمجتمع، ودور مهم في خلق حياة سعيدة وأسرة صالحة وحياة آمنة، فيها إذا أحسن الإنسان التصرف به، وإلاّ فيمكن أن يكون وبالاً على صاحبه، فهو سلاح ذو حدّين.

والقرآن في اللحظة التي يُبيّن فيها أنّ المال زينة في قوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ

الحسين ولا تدعه. قال: قلت: ما لمن أتاه من الثواب؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ومحاً عنه سيئة، ورفع له درجة، فإذا أتاه وكلّ الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير، ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شرٍّ ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودّعوه وقالوا: يا وليّ الله، مغفوراً لك أنت من حزب الله، وحزب رسوله، وحزب أهل بيت رسوله، والله، لا ترى النار بعينك أبداً ولا تراك، ولا تطعمك أبداً»^(٨).

٣- عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام، فله إذا خرج من أهله بأوّل خطوة مغفرة ذنوبه، ثمّ لم يزل يُقدّس بكلّ خطوة حتّى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله تعالى، فقال: عبدي، سلني أعطك، أدعني أجبك، أطلب منّي أعطك، سلني حاجة أقضها»^(٩).

وغير ذلك من الروايات، وهي واضحة في دور المشي لزيارة

ممارسة وتدريب اقتصادي على الصرف المالي المنضبط الذي يمارسه الحسينيون؛ لتحقيق الإصلاح الاقتصادي في الحياة الفردية والاجتماعية، ولم تكن هذه الممارسة والاستعداد للصرف، بل الصرف الفعلي، لولا هذه الزيارة المباركة، خصوصاً وأنّ بعض المؤمنين يقاسم زوّار الحسين عليه السلام قوت عياله ومؤنّته السنوية، بل بعضهم يبيع بيته أو سيارته ويشتري ما هو أقلّ من قيمتها إذا لم يكف ما جمعه للموسم.

فهكذا عمل يصدر من هكذا جمهور حسيني يمكن أن يؤهّله لتكوين مجتمع ملتزم وواع، ويقوده إلى برّ الأمان، ويبيّن له اقتصاداً رصيناً يتكفّل بسدّ حاجة الأمة.

المحور الثالث: الإصلاح التعبوي

من المفاهيم المهمّة في عالم الدعوة واستقطاب الجماهير والأنصار هو مفهوم التعبئة، وهو عبارة عن قوّة شعبية كامنة

زينة الحياة الدنياء^(١٠)، يُبيّن كذلك أنّه فتنة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ وَالْكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(١١)، فهو زينة فيما لو صانه الإنسان ووضعه في موضعه، واتخذ وسيلة للأخرة، وكفى به نفسه وعياله ومجتمعه وأُمَّته الإسلامية، وقضى حوائجهم، وهو فتنة وعذاب إذا ما ضيّع وبدّره، وجعله وسيلة للدنيا، والشهوة والحرام، وانتهاك الأعراس، وقتل النفوس. وقد بيّنت الروايات هذه الحقيقة، ومدحت المال مع الدين، وذمّت المال إذا كان وسيلة للعصيان، ووازنت بين النظرتين^(١٢).

ومن الممارسات الإيجابية في مجال المال والاقتصاد هو ما تقوم به جموع المؤمنين من توظيف القدرة المالية في إحياء هذه المناسبة، من خلال الصرف المالي على المواكب وإطعام ملايين الزائرين، وهو عمل يكشف عن قدرة اقتصادية كامنة في الأمة الحسينية، فلا ميزانية مالية، ولا دعم دولة ولا حزب، وإنّما هو تمويل من جمهور الحسين عليه السلام لزوّاره، وهذا التمويل الهائل ما هو إلّا

أو ظاهرة، لها حضورها في كل نواحي الحياة؛ لخدمة الوطن أو المواطن، وهي على أنواع: فقد تكون تعبئة عسكرية، أو إعلامية، أو اجتماعية، وغير ذلك، ومن أهم أنواعها هي التعبئة الاجتماعية، وهي: «تحريك واستنفار المجتمع بكل قطاعاته للمشاركة الإيجابية؛ لتحقيق الأهداف المطلوبة. لا بد أن تشمل التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع، من المسؤولين الرسميين والسياسيين، قادة الرأي، القادة المحليين، وجموع المواطنين»^(١٣).

وهذا ما يحصل فعلاً في زيارة الأربعين، فإن هناك تعبئة جماهيرية عامية؛ لتحقيق هدف ديني مهم في حياة الفرد والمجتمع.

إن من أهم ما تحتاج إليه كل دعوة، سماوية كانت أم أرضية، هو وجود قوة معنوية أو مادية، أو شخصية قيادية تمتلك (كاريزما) عالية، تستطيع أن تخلق جمهوراً وأتباعاً من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تُقدم الولاء

والخدمة مجّاناً وبلا مقابل.

والملاحظ أن أيّ جهد في زيارة الأربعين لا يُبدل في التعبئة الجماهيرية، بل إن الجمهور مُقبل على الزيارة بلا نظير، وكثير منهم يُنفق أموالاً وجهداً مضاعفاً في تلك الأيام، ويتهيج بهذا الصرف والجهد.

وهذا العمل التطوعي العظيم لا تجد له نظيراً في كل العالم، وهو مفخرة يتميز بها أتباع آل البيت عليهم السلام، وثمرات من ثمرات النهضة الحسينية الخالدة، فدور زيارة الأربعين في تعبئة المؤمنين لأيّ طارئ واضحة وفعّالة، من خلال الحرارة التي أوجدها مقتل الحسين عليه السلام في قلوبهم.

المحور الرابع: الإصلاح الاجتماعي

من أبرز ما يُميّز المجتمع الناجح والصالح هو قوة الترابط الاجتماعي بين أفرادهِ وعملهم مجتمعين؛ لإنجاز مهامهم المناطة بهم، ممّا يُساعد على البناء

السليم لجميع مفاصل الحياة الفردية والاجتماعية، ويساعد على أن ينال كلّ فرد فرصته فيها؛ لذا نجد الروايات قد اهتمت كثيراً بالترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ومن هذه الروايات:

عن مرزوم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنه لا بدّ لكم من الناس، إن أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض» ^(١٤).

وعن حبيب الخثعمي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، واحضروا مع قومكم مساجدكم، وأحبوا للناس ما تحبّون لأنفسكم، أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره» ^(١٥).

وعن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «... صلوا عشائركم،

واشهدوا جنازتهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدّى الأمانة، وحسّن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، فيسرّني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور...» ^(١٦).

إلى غيرها من الروايات وآداب التعاشر والتواصل الاجتماعي ^(١٧).

وبالمقابل فإنّ من أبرز ما يدمّر المجتمع هو كثرة النزاعات والخلافات والتحزّبات، وتحوّله إلى شيع يتلاعب بها الظلمة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ^(١٨)، وهذه سنّة قائمة يتّخذها الظالمون لإضعاف المجتمع.

كما أنّ النزاع سبباً واضحاً لهدر الطاقات وضياع الفرص، والتراجع الفردي والاجتماعي على كلّ المستويات؛ لذا يحرص علماء الاجتماع

فتكون زيارة الأربعين سبباً في خلق أواصر ووشائج قوية بين الشعوب.

إضافة إلى ذلك، هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان بسبب حروب أو غيرها، نراها تضمحلّ وتذوب بسبب هذا الملتقى العام في زيارة الأربعين، فزيارة الأربعين تجعل الترابط الاجتماعي ليس بين أبناء بلد ما فحسب، بل بين الشعوب والبلدان الأخرى؛ ممّا يُعزّز خلق نسيج اجتماعي كبير، يربط دولاً وشعوباً فيما بينها، على الرغم من اختلافها باللغة، أو اللون، أو الثقافة، أو غيرها؛ لخلق مجتمع صالح ومصلح.

وتمتاز زيارة الأربعين بكونها عاملاً مساعداً على إلغاء الطبقية، والقطرية، والعرقية، والقومية والعنصرية، وأنها تعمق الوجود التعارفي الذي عبّر عنه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

في البلدان على خلق جوّ اجتماعي بين أفراد مجتمعاتهم، بعيداً عن الخلافات والصراعات والشتات، والحرص على خلق روح التعاون والمحبة، وتقوية الروابط الاجتماعية والأسرية.

والذي يلاحظ الزيارة الأربعينية يرى قوّة الترابط بين أفراد الزائرين، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء، أغنياء وفقراء، رؤساء ومرؤوسين، فلا تميّز بين غنيّ أو فقير، ولا بين مشهور أو مغمور، وغيرهم، فالكلّ سواسية، بل في بعض الأحيان تنقلب الموازين، فترى الكبير يخدم الصغير، أو المشهور يخدم المغمور، أو الرئيس يخدم المرؤوس، وهكذا، فيتجلّى الترابط الاجتماعي بأروع الصور، وبأجمل ما يكون؛ وكلّ ذلك نابع من الزيارة الأربعينية المباركة.

وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين أفراد المدن والدول فحسب، بل بين الشعوب أيضاً، فهناك جماهير من عشرات الدول تلتقي فيما بينها،

في تلك المواسم سجلها التاريخ، ونقلتها الأحاديث، فشعائر الحسين عليه السلام عموماً وزيارة الأربعين خصوصاً من أهم الوسائل لتسويق المعلومات الدينية إلى الجمهور في هذه الأيام.

إنّ خلق مجتمع مُتعلّم على سبيل النجاة يُعدّ من أبرز ركائز البناء الديني للفرد والمجتمع، بل هو قوام للدين والدنيا، كما ورد عن أمير المؤمنين: « قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلّم... »^(٢٠). ومن جملة البناء الديني المهم للمؤمن هو بناؤه على كافة الصُّعد، عقيدةً وفقهاً وأخلاقاً؛ وذلك من خلال استثمار ذلك الموسم لتبليغ تلك العلوم للناس، وتعريفهم بتفاصيلها، وتحسينهم فكرياً ضدّ الدجالين والمدّعين والمشوّهين؛ فيكون موسم الزيارة موسم تبليغ وترويج وتطبيق للدين والتدين، ويقع هذا التبليغ على عاتق الجميع، خصوصاً أهل التخصص الديني، من خلال

عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(١٩)، وكذلك هي فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين أُمّة الإيمان، ومجال للحوار على أسس دينية تمهّد لظهور الإمام الحجة عليه السلام وعالمية دعوته.

المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي

إنّ تحصين الأمة فكرياً وعلمياً يُعدّ من الواجبات التي تقع على عاتق المؤسسات الدينية، ولعلّ تسويق المعلومة إلى الجمهور يُعدّ من أهم المشاكل التي تواجه المُبلِّغ؛ لذا يجب علينا استثمار المواسم التي يسهل فيها تسويق المعلومات إلى الجمهور، والمتابع لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام يرى أنّهم يدأبون على استثمار المواسم العبادية لإيصال صوتهم إلى الجماهير، كما في مواسم الحج والعمرة، وصلاة العيد، والجمعة والجماعة، والمجالس والمآتم الحسينية، فكانت لهم خطب وكلمات ومواقف

إلقاء المحاضرات والإرشادات والنشرات والكتب وغيرها.

المحور السادس: الإصلاح

الأمني

تشكّل الحصانة الأمنية للشعوب والدول ركيزة أساسية في البناء السليم لها ودفع المخاطر عنها؛ لذلك تقاس قوّة الدول وقدرتها على مقاومة المخاطر بقوّة نظامها الأمني العام.

إنّ التحصين الأمني يُعدّ اليوم من أهم مقومات النجاح لأيّ حركة تُريد الإصلاح والتغيير، وهذا التحصين الأمني لا ينفع كثيراً إذا لم يخرج من النظرية إلى التطبيق، فلا يُكتفى بمعرفة البناء الأمني والمباني الأمنية من دون أن تحوّل تلك المعرفة إلى تطبيق عملي على أرض الواقع.

وقد أسّس آل البيت عليهم السلام نظاماً أمنياً كبيراً - يستحقّ دراسات مستقلة - في كيفية التعامل مع الصديق والعدو، ولعلّ من أهم مصادره

روايات التقيّة^(٢١)، وروايات كشف الأسرار والإذاعة^(٢٢)، فهي تؤسّس لنظام أمني محكم في التعامل العام وكيفية تحصين الأُمّة المؤمنة.

وزيارة الأربعين هي بناء وتدريب أمني معمّق لعموم المكلفين، وبالأخص لأصحاب المسؤولية في الموكب والزيارة، فهم يعملون على عدم السماح بالاختراق لأيّ شخصٍ غريبٍ أو غير معروفٍ، سواء داخل الموكب أم أثناء المسير، أم ممّن يوزّع الطعام أو غير ذلك من الخدمات، حتّى من يُشتبه به، فإنّه يبقى تحت المراقبة والاختبار، حتّى يُرفع اللبس عنه، ويتبيّن أمره، ويُلاحظ ذلك بشكل كبير، خصوصاً ممّن لهم تجربة كأصحاب الموكب والخدمات والزائرين، فإنّهم يلاحظون حركات وتصرفات وسكنات الزائر وتوجّهاته، وحتى كلامه ومواقفه، ويسهرون إلى الصباح للحفاظ على أمنه وممتلكاته

وحرمته، ويحرصون على أمن الزائرات المؤمنات؛ لذا تجد أنّ المرأة تعيش أيام الزيارة حالة من الأمن والطمأنينة، فلا تخاف على نفسها، ولا على مالها، ولا على حياتها، ما دامت سائرة في هذا الطريق المبارك. وهذا كلّه بفضل النظام الأمني المتقن الذي توجده زيارة الأربعين، وهو يفوق كلّ الأنظمة الأمنية في العالم حتى في الدول العظمى.

ويزارة الأربعين تُعتبر من الدروس الأخلاقية العملية، التي تُكوّن في أنفسنا الملكات الأخلاقية من جهة، وتكشف عن تجسيد تلك الملكات وانعكاسها على أفعالنا وتعاملنا مع الآخرين من جهة أخرى، ففي زيارة الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام عدّة معطيات أخلاقية نذكرها إجمالاً:

١- الصبر: فإنّه قيمة أخلاقية عالية أكّدها الآيات والروايات، وإليك جملة منها:

أمّا الآيات فكما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٢٣).

أمّا الروايات، فمنها:

إذن؛ هذا البناء العملي الأمني يُعطينا دروساً عمليةً تنفعنا كثيراً في مجالات الحياة والإصلاح.

المحور السابع: الإصلاح الأخلاقي

من أهم المبادئ التي ركّز عليها التشريع، هو خلق ملكات أخلاقية وصفات نفسانية في الفرد والمجتمع، وقد دأب المشرّع على التنظير لذلك بعشرات الآيات ومئات الروايات من جهة، ومن جهة أخرى أرسل الأنبياء

ما عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «... الصبر يُعقب خيراً، فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر تُوجروا» (٢٤).

وعن حمزة بن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار» (٢٥).

وعن أبي سيّار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إذا دخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبرُّ مُطلِّ عليه، ويتنحى الصبر ناحيةً، فإذا دخل عليه الملكان يليان مساءلته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبرِّ: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه» (٢٦).

فتبين أن الصبر له قيمة معنوية عالية، وأثرٌ بالغ في الدنيا، وأجرٌ عظيم في الآخرة، والمشى لزيارة

الأربعين وتحمل الصعاب وعناء السفر لهو من المصاديق الواضحة للصبر، خصوصاً المشى من أماكن بعيدة، مع كثرة الزحام والابتلاءات.

إذن؛ زيارة الأربعين تعطينا دروساً عملية في الصبر وتحمل الأذى والجوع والألم وغير ذلك؛ ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى.

٢- التواضع: وهو سمة من سمات وفضائل المؤمن، إذ يقع في قبال رذيلة التكبر، وقد وقع التواضع موضوعاً للمدح في العديد من الآيات والروايات.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٢٧)، وقوله تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨).

ومن الروايات نذكر ما جاء في مستدرک الوسائل عن مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام:

« التواضع أصل كل شرفٍ، وخيرٍ، ونفيسٍ، ومرتبة رفيعةٍ، ولو كان للتواضع لغة يفهما الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب، والتواضع ما يكون لله، وفي الله، وما سواه مكر، ومن تواضع لله شرفه الله على كثيرٍ من عبادته، ولأهل التواضع سيء يعرفها أهل السماوات من الملائكة، وأهل الأرض من العارفين، قال الله: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، وقال أيضاً: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ الآية. وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته، وليس للعبادة يقبلها ويرضاها إلا وبابها التواضع، ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده، المتصلون بوحده، قال الله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، وقد أمر الله أعز خلقه وسيّد برّيته محمداً ﷺ

بالتواضع، فقال: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء، وإئتمن لا يبتن إلا منها وفيها، ولا يسلم الشوق التام الحقيقي إلا للمتواضع في ذات الله تبارك وتعالى « (٢٩).

ويطبّق الإنسان - أثناء المشي إلى كربلاء - تمارين في التواضع والبساطة، فيبيت على فراش غير لائق، أو يأكل الشيء القليل، أو يمشي في الطرق الوعرة، أو يخدم غيره من الزوار، أو يبتدأ بالسلام على من يلاقيه، وهذه كلّها من علامات التواضع، ففي (مشكاة الأنوار) روي عن رسول الله ﷺ قوله: « من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت، وتردّ على من سلّم عليك، وأن ترضى بالدون من المجلس، ولا تُحبّ المدحة والتزكية » (٣٠).

فشكوت إليه قلة ذات يدي، وقلت: والله، لقد عريت حتى بلغ من عريتي أن أبا فلان نزع ثوبين كانا عليه وكسانيهما. فقال: صم وتصدق. قلت: أتصدق مما وصلني به إخواني وإن كان قليلاً؟ قال: تصدق بما رزقك الله ولو آثرت على نفسك» (٣٣).

وعن أبان بن تغلب، قال: «كنت أطوف مع أبي عبد الله عليه السلام، فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجة، فأشار إليّ، فكرهت أن أدع أبا عبد الله عليه السلام وأذهب إليه، فبينما أنا أطوف إذ أشار إليّ أيضاً، فرآه أبو عبد الله عليه السلام، فقال: يا أبان، إيّاك يُريد هذا؟ قلت: نعم. قال: فمَن هو؟ قلت: رجل من أصحابنا. قال: هو على مثل ما أنت عليه. قلت: نعم. قال: فإذهب إليه. قلت: فأقطع الطواف. قال: نعم. قلت: وإن كان طواف الفريضة. قال: نعم. قال: فذهبت معه، ثم دخلت

كما أن ما يقدمه أصحاب المواكب هو من أعظم صور التواضع، فيقومون بفرش الفراش للزوّار، وإطعامهم، والسهر على خدمتهم، وتوفير كلّ ما يحتاجون إليه تواضعاً لله وخدمة لعنوان: (زائر الحسين).

٣- الإيثار: فإنّ من الكمالات التي تكشف عن رقي الإنسان اتّصافه بالإيثار، وقد جاءت الآيات والروايات مادحة لهذه الصفة.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقْ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣١)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٢).

ومن الروايات، ما عن علي بن سويد السائي، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: قلت له: «أوصني». فقال: أمرك بتقوى الله. ثمّ سكت،

والتضحية بهاله ووقته وراحته؛ لأجل إحياء هذه الشعيرة، وفي ذلك تطبيع للنفس على التضحية من أجل المبادئ والقيم السامية، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك في دعائه لهم: «... اغفري لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم؛ رغبةً في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا... وأعطهم أفضل ما أمثلوا منك في عُربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم...» (٣٥).

٥ - العفة: وهي من الصفات التي ركّزت عليها الشريعة في البطن والفرج، بل وصفت العفة بأنّها من أفضل العبادات، وجاءت النصوص مبيّنة لذلك:

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنفُسِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٣٦)،

عليه بعدُ، فسألته، فقلت: أخبرني عن حقّ المؤمن على المؤمن. فقال: يا أبان، دعه لا ترده. قلت: بلى جعلت فداك! فلم أزل أرددّ عليه فقال: يا أبان، تقاسمه شطر مالك. ثمّ نظر إليّ فرأى ما دخلني، فقال: يا أبان، أما تعلم أنّ الله ﷻ قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟ قلت بلى جعلت فداك. فقال أمّياً إذا أنت قاسمته فلم تُؤثره بعدُ، إنّما أنت وهو سواء، إنّما تُؤثره إذا أنت أعطيته من النّصف الآخر» (٣٤).

وفي زيارة الأربعين نجد مصاديق الإيثار واضحة، فإنّ تقديم الآخرين على النفس من أعظم ما يقوم به السائر إلى الحسين عليه السلام، والخادم في موكبه، فيقدّم مصلحة الزائر على مصلحة نفسه، وراحة الزائر على راحة نفسه، ويُنفق من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله، وهكذا يتعلّم من الزيارة درساً عظيماً في الإيثار.

٤- التضحية: إنّ السائر إلى زيارة الحسين عليه السلام يقدم الجهد الجهميد

وقوله تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ﴾ (٣٧).

ومن الروايات ما عن الْمُفْضَل،
قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِيَّاكَ
وَالسَّفَلَةَ، فَإِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيِّ مَن عَفَّ
بَطْنَهُ وَفَرَجَهُ، وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ، وَعَمِلَ
لِخَالِقِهِ، وَرَجَا ثَوَابَهُ، وَخَافَ عِقَابَهُ،
فَإِذَا رَأَيْتَ أَوْلَيْكَ فَأَوْلَيْكَ شِيعَةَ
جَعْفَرٍ» (٣٨).

إذا كانت الزيارة تشمل الرجال
والنساء، فهنا تبرز العفة في التعامل
مع الجنس الآخر من خلال غض
البصر، وحفظ اللسان واليد عن
التعدي، والالتزام بالحجاب
الشرعي، والتعامل مع الآخر بأنه
من المحارم كما ورد في صحيح
صفوان الجمال، قال: «قلت لأبي
عبد الله عليه السلام: قد عرفتني بعملي تأتيني
المرأة أعرفها بإسلامها، وحبها إياكم،
وولايتها لكم، ليس لها محرم. قال:
إذا جاءت المرأة المسلمة فاحملها، فإنَّ
المؤمن محرم المؤمنة، ثم تلا هذه

الآية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (٣٩)؛ لذا
ذهب الفقهاء إلى عدم اشتراط
المحرم في الحج والزيارة ما دامت
المرأة مأمونة على نفسها (٤٠).

٦- الشجاعة: إنَّ الزيارة تُعلِّم
الإنسان الشجاعة في اتخاذ الموقف،
والصبر على الخوف، وقوَّة الإقدام،
خصوصاً مع المنع منها كما كان
يحصل أيام النظام السابق، فإنَّ فيها
توطيئاً للنفس على المواجهة
والتحدِّي للموت والقتل، والسجن
والتعذيب، وما هذه إلا صور رائجة
من صور الشجاعة والإقدام في
سبيل المبادئ والقيم الدينية؛ لذا
وردت الروايات في الحثِّ على
الزيارة حتَّى في مثل هكذا محن
وشدائد، منها:

١- أجز من حُبس في طريق
الحسين عليه السلام في الوسائل عن هشام
بن سالم، قال: قلت للإمام
الصادق عليه السلام: «فما لمن حُبس في

إتيانه؟ قال: له بكل يوم يُحبس ويغتم فرحة يوم القيامة» (٤١).

٢- أجز من ضرب بطريق الحسين عليه السلام: في مستدرک الوسائل في حديث طويل لهشام عن الصادق عليه السلام: «قلت: فإن ضرب بعد الحبس في إتيانه. قال: له بكل ضربة حوراء، وبكل وجع يدخل عليه ألف ألف حسنة، ويمحى بها عنه ألف سيئة» (٤٢).

٣- أجز من مات في طريق الحسين عليه السلام: في بحار الأنوار: «... فإن هلك في سفره نزلت الملائكة فغسلته، وفتح له باب إلى الجنة يدخل عليه روحها حتى يُنشر، وإن سلم فتح الباب الذي ينزل منه رزقه، فجعل له بكل درهم أنفقه عشرة آلاف درهم، وذخر ذلك له، فإذا حشر قيل له: لك بكل درهم عشرة آلاف درهم، وإن الله تبارك وتعالى نظر لك، وذخرها لك عنده» (٤٣).

٤- أجز من قتل في طريق

الحسين عليه السلام: «حدثنا هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث له طويل، قال: أتاه رجل، فقال له: يا بن رسول الله، هل يُزار والدك؟ قال: فقال: نعم. إلى أن قال: قلت: فما لمن قتل عنده جار عليه سلطان فقتله. قال: أول قطرة من دمه يُغفر له بها كل خطيئة، وتُغسل طيبته التي منها خلق الملائكة، حتى تخلص كما خلصت للأنبياء المخلصين، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر، وتُغسل قلبه، ويُشرح صدره، ويُملأ إيماناً، فيلقى الله وهو مُخلص من كل ما تُخالطه الأبدان والقلوب» (٤٤).

وهذه بمثابة مراكز تدريب ميدانية على الشجاعة والإقدام، وعدم التهيّب من الأعداء والطغاة، فتكون من أهم وسائل الإعداد الجهادي لأنصار الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٧- الموالاتة والبراءة: من المفاهيم

الله، وتُعطي في الله، وتمنع في الله « (٤٧).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « كل من لم يحب على الدين، ولم يبغض على الدين، فلا دين له » (٤٨).

وعن أبي محمد العسكري، عن آبائه عليهم السلام، قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبد

الله، أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصيامه حتى يكون كذلك، وقد صارت مواخاة الناس يومكم هذا أكثرها على الدنيا، عليها يتوادون وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً. فقال الرجل: يا

رسول الله، كيف لي أن أعلم أنني قد واليت وعاديت في الله، ومن ولي الله حتى أواليه، ومن عدوه حتى أعاديه؟ فأشار له رسول الله صلى الله عليه وآله إلى

العقائدية التي أكدها آل البيت عليهم السلام في نفوس أتباعهم، هو مفهوم الولاء لأولياء الله، والبراءة من أعدائهم، وهذان المفهومان لهما تأثير على المستوى العقدي، فلا إيمان حقيقي إلا بهما، وعلى المستوى العملي لا قبول - بل لا صحة للعمل - إلا بهما، وهذا ما أشار له الكثير من الآيات والروايات.

فمن الآيات، قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾ (٤٥)، وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً...﴾ (٤٦).

ومن الروايات:

عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: « من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في

علي عليه السلام، فقال: ألا ترى هذا؟ قال: بلى. قال: وليّ هذا وليّ الله، فواله، وعدوّ هذا عدوّ الله فعادته، وال وليّ هذا، ولو أنّه قاتل أباك وولدك، وعاد عدوّه، ولو أنّه أبوك أو ولدك» (٤٩).

وزيارة الأربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لآل البيت عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم، خصوصاً إذا اكتفتها الشعارات الدالة على ذلك، ممّا يعزّز العنصرين المهمّين في عقيدة الإنسان الحقّة، وعمله المقبول، وهذا التوّليّ والتبرّي يفعلّه زوّار الحسين عليه السلام من خلال إحياء الشعائر التي يمارسونها في شعيرة الأربعين؛ استجابة لأمر آل البيت عليهم السلام، وغيظاً لأعدائهم، وقد أشارت الروايات لذلك، منها: ما تقدّم قبل قليل، من قول الإمام الصادق عليه السلام: «... اغفر لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي الحسين الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم؛ رغبة في برّنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه

على نبيك، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا...» (٥٠).

وفي هذه الصور الولاية البرائية عدّة أمور:

أ- إيصال رسالة إلى العالم أجمع بأننا سائرون على هذا النهج الذي رسمه آل البيت عليهم السلام، خصوصاً الإمام الحسين عليه السلام، في رفض الظلم، والدفاع عن عقيدة الأمّة وإصلاحها، ولو كلف ذلك حياتنا.

ب - إيصال رسالة بأننا رافضون للنهج التكفيري والأُموي، المستبّيح للنفوس والأعراض والأموال؛ لأغراض سلطوية وذنوبية، وأنّ هذا النهج لا بدّ أن يُحارب؛ كي لا يتكرّر في التاريخ.

ج - إيصال رسالة للعالم بأنّ مذهب آل البيت عليهم السلام هو مذهب الاعتدال والإنسانية والإصلاح، وأنّ معيار موالاته أهل طاعة الله وبغض أهل معصية الله وسبيله لإصلاح العباد والبلاد، وردّع

وأخواتهن).

وهذا ما جاء به الدين الخفيف من رسم علاقتك مع الآخر، وإن اختلف معك في المذهب، أو العرق، أو الدين، وذلك على أسس لا تكفير فيها، ولا قتل، إلا إذا ابتداءً هو الحرب، أو تعدى على مقدّساتك ومعتقداتك، بل إن الإسلام رسم لنا نمطاً في التعاطي مع الأعداء^(٥١).

وأبرز نموذج لذلك هو عهد مالك الأشتر، فقد حدّد أمير المؤمنين مجمل علاقتك بالناس من خلال العهد المبارك، الذي هو برنامج أساسي للعلاقات الداخلية والخارجية، والذي جاء فيه: « وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبّة لهم، والल्पف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبغاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد

لظالمين، وتقويّة للمؤمنين، وأنّ الناس لا تقاس على أساس العرق، أو اللون، أو القرابة، وإتّما على أساس الإيمان والتقوى والولاء لله وأوليائه، والبراءة من الشيطان وأتباعه من الجنّ والإنس.

٨ — التدرّب على التعايش السلمي مع الآخر: من أهم الإشكاليات التي تواجه الأمم والديانات هو التدرّب على التعايش السلمي مع الآخرين، وكيفية التعامل معهم وعدم إلغائهم فكرياً، أو معنوياً، أو حتّى مادياً، وهذا ما تسعى لتحقيقه المنظّمات الدولية المعنيّة بذلك، وكذلك منظّمات المجتمع المدني، وتجعل برامج لذلك، وتعمل على الحدّ من وقوع الصراعات ونشوء حركات وتوجّهات تدعوا للقتل والتقاتل، كالحركات النازية، أو الشعوبية، أو الوهابية، أو ما تمخّض عنها كـ (داعش، والقاعدة، والنصرة،

والخطأ، فأعطيهم من عفوك
وصفحك مثل الذي تحبّ وترضى
أن يعطيك الله من عفوه وصفحه،
فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك
فوقك، والله فوق مَنْ
وَلَاك...» (٥٢).

والزيارة بهذه السعة المليونية
تُعتبر موسماً للانفتاح على حضارات
ولغات وثقافات العالم؛ وذلك يجعلنا
نكتسب خبرة عالية في التعامل مع
الأخر حتّى مع اختلافنا معه في
اللون، أو القومية، أو الثقافة، أو
البلد، أو المذهب، أو الدين.

٩— إلغاء الطبقة والتعالي
والتكبر: تُعدّ الطبقة بين أفراد
المجتمع مرضاً ينسف المجتمعات؛
مما يُنتج التعالي والتكبر واستعباد
الأخر بسبب السلطة أو المال أو
الجاه، فيحتاج الإنسان إلى ما يكسر
جموح النفس، ويضعف هذه
الصفات، ولعلّ أهمّ عامل لذلك هو
التعاطي العملي والتعايش الميداني مع

أفراد المجتمع، وموسم الأربعين إنّما
هو درس عملي لإلغاء التكبر
والتعالي، خصوصاً ما يمارسه
أصحاب المراكز من إلغاء الذات
والتواضع، وتقديم الخدمات بتفانٍ
لكلّ الناس، فترى الكبير يخدم
الصغير، والغني يخدم الفقير، كما
أشرنا إلى ذلك في نقطتي التواضع
والإيثار.

١٠— الشعور بالمسؤولية: إنّ من
أبرز مقوّمات صناعة الإنسان هو
تحمّل المسؤوليات، وكلّما كانت
المسؤوليات أكبر كانت الصناعة
أقوى؛ لأنّ الابتلاء مدرسة لصناعة
العطاء.

إنّ أماننا مسؤوليّة عظمى تُسأل
عنها يوم القيامة، وهي نعيم آل
البيت ﷺ الذي يجب علينا أداء
حقّه، وإبراز الصورة الحقيقية لما هم
عليه من أخلاق وقيم ومعارف، ففي
رواية المحاسن عن أبي خالد الكابلي
قال: « دخلتُ على أبي جعفر ﷺ،

فهذه الزيارة تدعوننا إلى تحمّل المسؤولية الدينية في إيصال رسالة عامّة لكلّ العالم، بأنّنا مجتمع يمتلك صفات ومقومات حضارية، واجتماعية، وتربوية، وإدارية عالية.

إذن؛ فهي فرصة لبيان الإسلام المحمّدي العلوي الناصع، من خلال عكس الصورة الحقيقية للمذهب، لا كما ينقل البعض عن تخلف الإسلام والمسلمين من خلال عكس صور لأناس يدعون انتحالهم للإسلام، مع أنّه بريء منهم، كبعض الحركات السلفية والوهابية، وبعض الدول المتخلفة دينياً وقيماً، والمتحللة أخلاقياً وتربوياً.

المحور الثامن: الإصلاح العسكري

إنّ المؤسسة العسكرية لا تقاس بقوة تسليحها فقط، وإنّما الأهم فيها هو وجود الموارد البشرية، خصوصاً الموارد البشرية من الشباب الذين لهم

فدعاً بالغداء، فأكلتُ معه طعاماً ما أكلتُ قط طعاماً أنظف منه، ولا أطيب منه، فلمّا فرغنا من الطعام قال: يا أبا خالد، كيف رأيت طعامنا؟ قلت: جعلتُ فداك! ما رأيتُ أنظف منه قط، ولا أطيب، ولكني ذكرتُ الآية التي في كتاب الله ﴿لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، فقال أبو جعفر عليه السلام: لا، إنّما تُسألون عمّا أنتم عليه من الحقّ (٥٣).

وفي المحاسن أيضاً، عن أبي حمزة قال: «كُنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة، فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذةً وطيباً، حتّى تملّينا، وأتينا بتمرٍ يُنظر فيه إلى وجوهنا من صفائه وحسنه، فقال رجلٌ: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، عن هذا النعيم الذي نُعمتم عند ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال أبو عبد الله عليه السلام: الله أكرم وأجلّ من أن يُطعمكم طعاماً فيسوّغكموه، ثمّ يسألكم عنه، ولكنّه أنعم عليكم بمحمد وآل محمد عليهم السلام (٥٤).

مهذوية ثائرة تمهّد لعصر الظهور،
فالتضحية بالنفس والمال والراحة
لأجل الغير ولأجل المبدأ والدين
والمقدّسات، إنّما هي دروس
تعلمناها من مدرسة الحسين عليه السلام
وشعائره، وارتبطت بالموعد،
ومستقبل العالم الذي يقوده الإمام
المهدي عليه السلام.

فهناك جيش عالمي قد تمّ إعداده
سابقاً، وخاض التجارب في عدّة
دول، ونجح نجاحات باهرة، قد
يكون هو نواة لجيش المهدي
المنتظر عليه السلام، وزيارة الأربعين تُعدّ
رافداً مهماً لهذا الجيش القادم الذي
يقوده صاحب الأمر نحو تحقيق
العدل والقسط والسلام.

المحور التاسع: الإصلاح الإعلامي

من المعروف لدى القوى
السياسية أو غيرها استعراض
جماهيرها من خلال مظاهرات، أو

استعداد عالٍ للتضحية والفداء
والإباء.

وزيارة الأربعين عامل مهم في
بناء الشاب المهدي العسكري
المقاوم والمضحّي، ولعلّ تجربة الحشد
الشعبي من أكبر الشواهد على ذلك،
فإنّ عامل بناء هذه الشخصيات
الشابة والمضحّية التي تتحدّى
الصعاب، وتواجه أشرس الأعداء
مع قلة العدّة والعدد، هو حضور
شخصية الحسين عليه السلام بين ظهرانيها،
وتبرز هذه الشخصية في مواسم،
منها: موسم الزيارة، فتكون
الشخصية الحسينية صانعة لشخصية
مقاومة ومجاهدة.

فما سطره الأبطال في ساحات
القتال من تضحيات لم يكن وليد
اللحظة، بل هو صناعة حسينية
لمستقبل مهدي؛ لذا كانت
شعاراتهم في المعركة هي شعارات
الحسين، والعباس، والأكبر، و...
وتحرّكاتهم وتطلّعاتهم تطلّعات

هو الخاتم، وأن المهدي هو
المُخَلَّص، وأنه لا نجاة إلا به؛
وبذلك يمكن أن نحقق جملة من
المنجزات، وهي كالآتي:

١- تحقيق منجز عددي، أي: أن
جماهيرنا مليونية، تزداد كل عام،
بحيث لا يسع المكان الجمهور.

٢- تحقيق منجز نوعي، أي: أن
جماهيرنا مؤمنة وقوية ومخلصة
ومطبعة لله تعالى ولرسوله وآله عليهم السلام.

٣- تحقيق منجز دولي، أي: أن
زيارتنا دولية، وليست إقليمية أو
قطرية؛ إذ يأتيها الناس من كل فجٍّ
عميق.

٤- تحقيق منجز حضاري، أي:
أننا مُنظَّمون، مُسجَمون، لا يتعدى
بعضنا على بعض.

٥- تحقيق منجز تعارفي، بين لغات
مختلفة، وثقافات متعددة، وقوميات
متنوعة؛ لتبادل الخبرات، والاطلاع
على الهموم والمشاكل، ومعالجة
الأوضاع، والشعور بالآخر.

تجمّعات، أو احتفالات، أو
مناورات، أو غيرها؛ وذلك لإيصال
رسالة إلى الآخر بأن لنا جماهير، وأننا
أقوياء، وذلك من باب ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ
مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (٥٥).

والمؤمنون لا بدّ لهم من ذلك
التجمّع أيضاً، وأن ما يحصل من
تجمّع مليوني ليس له نظير، بشكل
عفوي، وبتنظيم ذاتي، وتمويل
شخصي، هو من أعظم صور
الاستعراض الإعلامي للجمهور
المؤمن، فالشعيرة الأربعينية ليست
عبادة فردية فحسب، بل أصبحت
عبادة ذات طابع جماعي كشعائر
الحجّ، وصلاة الجمعة، وهذا يمنحها
أهمية كبرى، وثراءً معنوياً، وصدىً
إعلامياً، يُوصل رسالة واضحة
للجميع بأننا حسينيون، وممهدون،
ومؤمنون، وأقوياء، ومُنظَّمون،
ومُتكافلون، ومُصلحون... وذلك
إذا عكسنا بالخصوص الصورة التي
أراد لنا آل البيت عليهم السلام أن نعكسها
للإنسانية، وبيّنا أن الدين الإسلامي

المحور العاشر: المحور التكافلي

من العناصر المهمّة في الشخصية الممهّدة للظهور وجود روح التكافل والإيثار في تلك الشخصية، ومن أهم سبل تحقيق هذا البناء هو التدرّب على التكافل، ومساعدة الآخرين، وإيثار راحة الآخرين على راحة النفس، حتّى مع التعب والخصاصة، والمشى في زيارة الأربعين هو موسم تكافلي عظيم؛ حيث إنّ الخدمات تُقدّم مجاناً بلا منّة ولا ضجر، بل بفرحة وبهجة، ولعلّ التكافل الذي يقدّمه أصحاب المواكب من أعظم صور التكافل والخدمة، وهذا واضح بالوجدان لكلّ مَنْ مشى للزيارة، فإنّه يلاحظ روح الإيثار والمساعدة بين الزائرين، وعطف الكبير على الصغير، وتوقير الصغير للكبير، ومساعدة الرجل للمرأة والعكس، وهكذا.

وللتكافل والإيثار صور، منها: التكافل والإيثار بالطعام، ولو بقيت

جائعاً، التكافل والإيثار بالمبيت، ولو بقيت سهراناً، التكافل والإيثار بالفراش والغطاء، التكافل والإيثار من خلال إعطاء مكانك لغيرك والبقاء واقفاً، التكافل والإيثار بتقديم راحة الآخرين على راحة النفس.

وغيرها من الصور والمشاهد الرائعة التي تتجلّى في زيارة الأربعين.

المحور الحادي عشر: البناء السياسي

زيارة الحسين عليه السلام موسم مهم لاستذكار مبادئ ثورته، ومنها: المبدأ السياسي، وهو البراءة من الظالمين، والثورة عليهم، وخلق إرادة سياسية صادقة لدى المؤمن للتغيير، والخروج على الظالمين، والاستعداد لذلك تحت قيادة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ كي يُعزّر الأُولياء ويذلّ الأعداء، ويملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً،

الأُمَّة المؤمنة، تحفّز المؤمن على الالتحاق بالشخصية المنقّذة، والبراءة من الأُمَّة الظالمة والقاتلة، والراضية بذلك، كما ورد في الزيارة: « لعن الله أُمَّة قتلتك، ولعن الله أُمَّة ظلمتك، ولعن الله أُمَّة خذلتك، ولعن الله أُمَّة خدعتك » (٥٧).

خصوصاً إذا كانت الزيارة مقترنة ببعض النصوص التي تُشير إلى نصرة آل البيت عليهم السلام، وخاتمهم الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، كما ورد في الزيارة القائلة: « اللهم، أنت مننت عليّ بزيارة مولاي وولايته ومعرفته، فاجعلني ممّن تنصره وتنتصر به، وممّن عليّ بنصري لدينك في الدنيا والآخرة » (٥٨)، وبالأخص الاستعداد للنصرة الوارد في زيارة عاشوراء: « فأسأل الله الذي أكرم مقامك أن يكرمني بك، ويرزقني طلب شارك مع إمام منصورٍ من آل محمد » (٥٩).

كما أنّها رفضٌ للاتجاه السياسي المستبد، والملبّس بلبوس الدين، ودعوى النيابة عن المسلمين، وكذلك رفضٌ للسياسة الداعية إلى الخضوع والتذلل للقوى العالمية المستبدة، تحت ذريعة سياسة الأمر الواقع ومداهنة الأعداء، مما يُضَيِّع معالم الدين والعباد والبلاد.

فاستذكّر شعارات الحسين في الثورة يُعتبر حافزاً كبيراً للاستعداد والتمهيد السياسي للإمام الحجة، من خلال نشر الأفكار الدالة على أنّ الإمام هو المُخلّص السياسي من ظلم الدول الجائرة، كما في خطابه عليه السلام: « أيها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً، مُستحلاًّ لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مُخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يُدخله مدخله » (٥٦).

وبذلك توجد إرادة سياسية لدى

أنواع الصعاب والمحن، والثبات على المبدأ الذي رسمه آل البيت عليهم السلام، فالزيارة تمثل مركزاً لتدريب المؤمن؛ استعداداً وإعداداً للإصلاح، والتوجه لعصر الظهور، فيدخل ذلك في الإعداد للمهدي، والنهوض معه في ثورته العالمية، فلا يتفاجأ إذا ما ابتلي بصعوبة أو شدة، بل يواجهها بعزم حسيني، فهذه الصعوبات والزلازل والمحن التي يمرّ بها المؤمن، ما هي إلا تقوية لنفسه، وتمرين له على مواجهة العدو، فالزيارة الأربعينية ورشة عمل مكثفة لصناعة شخصية قوية ومدربة.

النتيجة

إنّ زيارة الأربعين فيها عظيم البركات على كلّ المستويات المادية والمعنوية، ومن أعظم البركات أهمية هذه الزيارة المليونية هو الإعداد العملي للإصلاح على كلّ مستوياته، ومحاربة الفساد والمفسدين تطبيقاً

فزيارة الأربعين كفيلة بهكذا بناء سياسي للمجتمع المهدوي، الذي يأبى الظلم والضيم، ويشور على الظالمين والمعتدين، ولا يدهن المنحرفين والمستبدين وإن علوا وتغطرسوا.

المحور الثاني عشر: الإصلاح التمريني والتدريبي

الإنسان بطبعه يميل إلى الدعة والراحة، وعدم الدخول في الصعاب، فإذا مرّ بصعوبات، فقد تؤدّي به إلى الضعف، أو الانهيار، أو ترك المبادئ، أو التخلي عن بعضها؛ لذا يحتاج إلى دورة تدريبية للتخلّص من ذلك.

وموسم الزيارة مع طول المسافات وكثرة الصعوبات وشدة الابتلاءات - خصوصاً مع البرد القارس، أو الحر الشديد، أو الخوف من الظالم كما في عهد النظام المقبور - هو مركز تدريبي عام وشامل لتحمل

هذا ما أردنا ذكره من محاور،
وهناك محاور أخرى قد تظهر
للمتتبع، لم نذكرها دعماً للإطالة.

لمقولة الإمام الحسين عليه السلام « إننا
خرجت لطلب الإصلاح... »،
فحريّ بنا أن نجعل تلك الزيارة
مناراً لنا في الإصلاح تنظيراً وتطبيقاً.

الهوامش:

- عجل الله تعالى فرجه ۲topic - net/top الشريف
- [١٤] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٦٣٥.
- [١٥] المصدر السابق.
- [١٦] المصدر السابق: ص ٢٣٦.
- [١٧] أنظر: آداب العشرة في الوسائل أو غيرها من الموسوعات الحديثية.
- [١٨] القصص: آية ٤.
- [١٩] الحجرات: آية ٢٦.
- [٢٠] البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٣، ص ٥٤٠.
- [٢١] الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢٠٣.
- [٢٢] المصدر السابق: ص ٢٤٧.
- [٢٣] البقرة: آية ١٥٥-١٥٧.
- [٢٤] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٨٩.
- [٢٥] المصدر السابق.
- [٢٦] المصدر السابق: ص ٩٠.
- [٢٧] الفرقان: آية ٦٣.
- [٢٨] الحجر: آية ٨٨.
- [٢٩] النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج ١١، ص ٢٩٨.

- [١] النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج ١٠، ص ٣١٨.
- [٢] المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.
- [٣] المصدر السابق: ج ٤٥، ص ٨.
- [٤] العنكبوت: آية ٤٥.
- [٥] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٢٦٥.
- [٦] النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٣١.
- [٧] ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٣٢.
- [٨] المصدر السابق.
- [٩] المصدر السابق.
- [١٠] الكهف: آية ٤٦.
- [١١] الأنفال: آية ٢٨.
- [١٢] أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٥٧ وما بعدها، حيث وازن بين إشكالية كون المال فتنة وكونه زينة.
- [١٣] الرشيد كشك، مقال بعنوان: (مفهوم التعبئة الاجتماعية)، نشر على الشبكة العنكبوتية:
http://aldamazin. ahlamontada.

- [٣٠] [الطبرسي، علي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ص ٢٠٠.
- [٣١] [الحشر: آية ٩.
- [٣٢] [البقرة: آية ٢٠٧.
- [٣٣] [الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ١٨.
- [٣٤] [المصدر السابق: ج ٢، ص ١٧١.
- [٣٥] [المصدر السابق: ج ٤، ص ٥٨٢.
- [٣٦] [المؤمنون: آية ٥.
- [٣٧] [الأحزاب: آية ٣٥.
- [٣٨] [الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٣٣.
- [٣٩] [الصدوق، محمد بن علي، مَين لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٣٩.
- [٤٠] [وقد بيَّنتُ ذلك في بحث مستقل. أنظر: مشتاق طالب، مشي النساء إلى كربلاء (قراءة في الأدلّة والنصوص الشرعية)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ٥٥، ص ٢٤٩.
- [٤١] [الحَرّ العاملي، محمد بن الحسن، الوسائل: ج ١٤، ص ٤٤٢.
- [٤٢] [النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج ١٠، ص ٢٧٩.
- [٤٣] [المصدر السابق: ج ٤٥، ص ١٧٢.
- [٤٤] [ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٢٣.
- [٤٥] [المجادلة: آية ٢٢.
- [٤٦] [آل عمران: آية ٢٨.
- [٤٧] [الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٢٥.
- [٤٨] [المصدر السابق: ص ١٢٧.
- [٤٩] [المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ٢٣٦.
- [٥٠] [المصدر السابق: ج ٤، ص ٥٨٢.
- [٥١] [أنظر: بحث (نمط التعاطي مع الأعداء)، مجلّة المنهج: العدد ٢.
- [٥٢] [نهج البلاغة: ج ٣، ص ٨٤.
- [٥٣] [البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ٢، ص ٤٠٠.
- [٥٤] [المصدر السابق.
- [٥٥] [الأنفال: آية ٦٠.
- [٥٦] [المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٢٨.
- [٥٧] [ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٣.
- [٥٨] [المصدر السابق: ص ٤٥.
- [٥٩] [المصدر السابق.

بقلم: الدكتور خالد عليوي العرداوي
مدير مركز الدراسات الاستراتيجية / جامعة كربلاء

زيارة الأربعين في ميزان التهوض الحضاري

بسبب حجمها وسعتها ودلالاتها. فهل يكون لها تأثير ما على نهضة العراق الحضارية؟ ولماذا؟ وهل هناك عقبات تقف في طريق وصولها الى ذروة التأثير المتوقع؟ وكيف يمكن تجاوزها؟

على مر العصور كانت قوة الأمم لا تقتصر فقط على ما تمتلكه حكوماتها من قدرات عسكرية واقتصادية ومساحة جغرافية وحجم سكاني... وانما على ما يترافق مع هذه القدرات من مقومات ثقافية تبرز قيمها، وانماط حياتها، ومدى الاستعداد لمد الجسور الاجتماعية مع غيرها من الأمم؛

تثير الاحداث التي يجتمع فيها ملايين البشر في مكان واحد شهية صناع السياسات والمحللين الاستراتيجيين، وتدفعهم الى طرح التساؤلات حول الدوافع والمضامين والدلالات التي تنطوي عليها؛ لكونها تعكس قوة الأفكار والعواطف المحفزة للتلاقي بين الناس، والتي يمكنها التطور - في مرحلة ما - الى شكل من أشكال الفعل الإنساني القادر على التغيير وإعادة التشكيل لكثير من البنى والأفكار والعلاقات الاجتماعية. وزيارة الأربعين في العراق تقدم أنموذجا يميزا لهكذا احداث؛

قوة الدولة العراقية ومنطلقا لتأثيرها
الدولي الإيجابي؟

سمات فريدة تثير الإعجاب

للزيارة سمات فريدة لا يمكن
المرور عليها دون تأملها، وتحليلها،
واظهار اختلافها الكبير عن أي حدث
آخر يمكن للشرق الأوسط الإسلامي
الحاضر ان يشهده، ومنها:

حدث غريب بطريقة حدوثه

فعلى الرغم من التطور التكنولوجي
الهائل في وسائل النقل الحديثة يصير
المتعلقون بحب الحسين وأهل
البيت عليهم السلام - على اختلاف ثقافتهم
ولغاتهم وتوزيعهم الجغرافي - على
القيام بها من خلال المشي سيرا على
الاقدام من مناطق سكنهم او من
لحظة نزولهم في المطارات العراقية
وصولاً الى كربلاء المقدسة، استناداً الى
روايات دينية عدة تجذب هكذا عمل.
وبصرف النظر عن قوة سند هذه
الروايات الا ان من الواضح قوة

لتكون بالمحصلة النهائية مؤهلة أن
تصبح مثالا تصبو الى محاكاته الشعوب
الأخرى. هذه الحقيقة التاريخية
ازدادت تأكيدات وبراهينها مع التطور
الكبير الذي وصلت اليه العلاقات
الدولية في مطلع القرن الحادي
والعشرين، لذا وجدنا كاتب مهم
كجوزيف ناي يقسم قوة الدولة الى
قوة صلبة (عسكرية وإقتصادية)،
وقوة ناعمة (ثقافة وإقتصادية)
محلية وسياسة خارجية)، ويرى ان
القوة الشاملة للدولة هي: حصيلة
المزج الواعي، والاستخدام السليم
للقوتين معا في الوقت والزمان
المناسبين، فيعرف القوة الناعمة بأنها
القدرة على الحصول على ما تريد عن
طريق الجاذبية بدلا من الارغام او دفع
الأموال. وهي تنشأ من جاذبية ثقافة
بلد ما، ومثله السياسية، وسياساته”
(ناي، القوة الناعمة، ص ١٢).
انطلاقاً من هذا الادراك لمعنى القوة،
وبعيداً عن العاطفة غير الواعية، هل
تشكل زيارة الأربعين مورداً من موارد

تأثيرها في عقول وقلوب المؤمنين بها، فيشكل هذا الحدث بطريقة أدائه فرصة عظيمة لثقافات ولغات عدة للتلاقي والتعارف فيما بينها على ارض العراق، وللاختلاط بأهله على طول مسالك مرور الناس، مما يعطي للعراقيين فرصة عظيمة لإظهار قوتهم القيمة والثقافية ومحورية دورهم في هكذا حدث مقدس لن تجد له مثيلاً بعمقه في أي مكان آخر.

-وحدة الهدف في الزيارة-

فهذه الملايين الكثيرة من البشر مهما اختلفت امزجتها وثقافتها ولغاتها ومناطق سكنها تلتف حول هدف واضح هو الوصول الى كربلاء المقدسة من اجل اعلان حبها وولائها لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من اعدائهم من الماضين والحاضرين والمستقبليين، انطلاقاً من الشعور بأن هؤلاء الصفوة من البشر المقدسين يمثلون الحق والصواب في اقوالهم وافعالهم وسكوتهم ويشكلون صلة الوصل بين

السماء وعالم البشر. واذا ادركنا سيرة هذه الصفوة وما مثلته من معارضة شرسة للحكام الظالمين، وللانحرافات الدينية المتطرفة، ولأوضاع البؤس والانكسار الإنساني في حياة البشر، عندها ستبين عظمة الهدف الذي يلتف حوله الناس في كربلاء، فهم لا يعلنون ثورة على الماضي الظالم للحسين عليه السلام وانصاره، انما يعلنون ثورة وتمرد مستمر على واقعهم الظالم، ورجبتهم في تغييره؛ لبناء مستقبل عادل لا يكون فيه لأمثال يزيد وشمس وعمر بن سعد وشريح القاضي وعبيد الله بن زياد وجيش الشام وخوار أهل الكوفة مكان او دور يتحكمون فيه بمصائر الناس، فينتهكون حقوقهم وحررياتهم المحترمة. ان عظمة الزيارة تلتف التفافاً جوهرياً حول عظمة هدفها، وتساعد تأثيرها ينسجم انسجاماً تاماً مع تصاعد حالة الظلم في حياة الناس، لذا لا غرابة ان تجد أصوات المشاركين فيها ترتفع بشعارات مثل: هيهات منا الذلة،

وكل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء، وعزائنا دائم حتى ظهور القائم، انها رغبة الانسان في البحث عن العدل المفقود في حياته أينما كان، وفي أي زمان، واكاد اجزم انه لو عرفت هذا المعنى العميق للزيارة شعوب الأرض لوجدنا كربلاء قبلة يحج اليها الناس من كل الثقافات والأديان والاعراق معلنين تمردهم وثورتهم على أنظمتهم وحكوماتهم الظالمة.

- عفوية وتلقائية الناس في التعبير عن حبهم للحسين عليه السلام، وبذلهم الجهد والوقت والمال لخدمة من يسمونهم زوار ابي عبد الله، يزيد من قوة الحدث، ويضفي عليه رونقا وجمالا مضافا، فالجميع قادر على ان يمنح نفسه دورا فيه، ابتداء من كنس الأرض وتديلوك الزائرين وتقديم كوب الماء والشاي لهم وصولا الى إقامة الموائل المهيبة...لقد اثارت هذه العفوية اعجاب الجميع واذهلت عقولهم، فزاد حبهم وتعلقهم بالزيارة،

وحفزهم على الاستمرار فيها سنة بعد أخرى، بل تشجيعهم لغيرهم للقيام بمثل فعلهم، فمن لا يريد ان يرى تلك الوجوه الباسمة الكريمة اللطيفة التي تعترض طريقه وترجوه من اجل تقبل خدماتها على اختلافها. انه الحب الإنساني المطلق الذي رفع حواجز اللغة والجغرافيا والثقافة والثروة والجاه، وجعل الافراد متقاربين بطريقة عجيبة، لذا تجد في هذه المناسبة اختفاء شبه تام للنزاع والخصام بين الناس، وتعاون غريب على تصفير الازمات والرجوع الى أصلهم الإنساني المشترك.

- غالبا ما تكون فرائض الإسلام محددة بفئة عمرية معينة كالصلاة ابتداء من سن السابعة او الحج لمن استطاع له سبيلا او الصيام وغيرها، لكن ما يميز الاربعين هو عدم تحديد القيام بطقوسها بفئة عمرية خاصة، لذا تجد الطفل الرضيع والعجوز الهرم والشاب حاضرا فيها، فجميع الاعمار يمكنها المشاركة، وهذا حول المناسبة

الى كرنفال انساني هائل لا يمكن مقارنته بفريضة كفريضة الحج في مكة المكرمة او أي حدث آخر، وقد أظهرت الخبرة الاجتماعية ان اقوى التجارب البشرية واعمقها تأثيرا هي تلك التي لا تتحدد بفئة عمرية ما، انما يتسع فضائها لجميع الناس.

— تنوع الطقوس طقوس الاربعين

لقد ظهرت كثير من التحليلات التي تحاول سبر اغوار التعدد والتفنن في بعض الممارسات التي يقوم بها المشاركون في احياء مراسم الاربعين، حاول بعضها اتهام هذا الطرف الديني او ذاك بالتطرف والتشجيع على طقوس قد تكون غير مقبولة — من وجهة نظره — كظاهرة التطبير والتطيين والزحف والضرب بالعمود... لكن لم يتجرأ احد على ايقافها نهائيا مهما كان وزنه الديني او الحكومي، والسبب في ذلك انه لا

توجد طقوس محددة تحكم الزيارة، فمعظم طقوسها تكون انعكاسا لثقافات الأمم والشعوب المختلفة، وطالما ان الجميع يريد التعبير عن حبه للحسين عليه السلام، والحب عاطفة إنسانية غير ثابتة الشكل، اذن لا تستطيع جهة ما ان تفرض على البشر طريقة تعبيرهم عن حبهم لمن يرون فيه أنموذجا للثورة والتمرد على الظلم بجميع اشكاله. هذا التنوع في الطقوس جعل المشارك في الحدث أسيرا للوحة خلاصة من التعبير الإنساني عن الحب، ما يميزها انها ليست لوحة موضوعة على جدار انما هي لوحة حية ترسمها وجوه مختلفة الاعمار والثقافات والمقامات الاجتماعية فيغدوا بوعي او لا واعي جزء من هذه اللوحة المتحركة وجزء من عناصر تكوينها.

— عجز السياسة عن التحكم بمسار الحدث، زاد من قوته وعمقه وزخمه، فقد حاولت حكومات شتى

. قوة الفعل الاجتماعي العراقي

كان الشرق الأوسط ميدانا عريضا لحكومات بعضها شيعية خالصة وبعضها متسامحة مع الطقوس الشيعية قبل سقوط نظام البعث في العراق عام ٢٠٠٣، فلم يحصل شيء وبقيت الانماط التقليدية حاکمة لسلوك وأفكار المجتمعات في هذه المنطقة، ولكن ما ان تحرر شعب العراق من السلطات المقيدة لفعله والكابحة لمشاعره، حتى تزلزلت منطقة الشرق الأوسط برمتها، والبعض يحاول ان يلقي المسؤولية على أمريكا؛ لأنها غزت العراق متناسيا أن مشروع أمريكا في العراق مني بالفشل وكسرت ارادتها فيه. والبعض الآخر، يحمل إيران المسؤولية؛ لكونها تبشر بمشروع ديني، متناسيا ان إيران كانت تبشر بهذا المشروع منذ عام ١٩٧٩، وان شيعيتها الاجتماعية تعود الى مطلع القرن السادس عشر الميلادي ولم تظهر فجأة على المسرح. كذلك الحال مع من

على طول التاريخ ان تزيل او تتحكم بمشاعر وافعال المشاركين في الزيارة، ولكن النتيجة كانت فشلا ذريعا، فقد قلنا آنفا ان الحدث له هدف فريد يعبر عن إرادة الانسان كمخلوق باحث عن حياة عادلة، وغالبا ما كان الحكام والحكومات مصدرا للبؤس الإنساني المستمر، لذا عجزت كل الحكومات عن فرض نفسها وايديولوجيتها في زيارة الحسين عليه السلام، بل ومن الأخطاء الجسيمة التي ترتكبها هكذا حكومات هو اعتمادها على استراتيجيات مثقوبة قاصرة في التعامل مع الحدث، اذ كان الاجدر بها ان تحلل مواقف الناس في كربلاء المقدسة؛ لتعرف طبيعة مشاكلهم ورغباتهم وطموحاتهم. وفي الوقت الحاضر تجد انه على الرغم من تعدد القوى السياسية في العراق، لكن لا تستطيع أي قوة ان تزعم انها تقود الميدان، بل القائد الوحيد والفريد في الميدان هو الحسين عليه السلام برزيمته ومبادئه، والناس بإيمانهم ومشاعرهم.

وبقية العالم، انه الشعب العراقي الذي منح الزيارة قوة زخمها، ف جذب الجميع اليها حتى أولئك الذين يدينون بأديان ومذاهب أخرى. هذا الشعب بقوته الكامنة يمكنه ان يفعل الاعاجيب لو وجدت له الظروف المناسبة، كيف لا يكون كذلك، وهو في عمق وجدانه الحضاري يعلم انه شعب الأرض التي تهفو اليها القلوب للتبرك بها، وشعب الأرض التي ستحوي عاصمة الدنيا في آخر الزمان.

عقبات تعترض الطريق

ان السمات الخاصة بزيارة الأربعين تجعلها قوة ناعمة عراقية عظيمة التأثير والفاعلية، وقد تركت بالفعل تأثيراتها الإيجابية على العلاقات الاجتماعية بين الشعب العراقي وبعض شعوب المنطقة والعالم، ولكن توجد عقبات تحول دون بلوغ هذه القوة ذروة تأثيرها المطلوب منها هشاشة النظام الحاكم في العراق، واستغراقه في صراعات بينية وعمودية تستهلك

يتحدث عن دور الوهابية السعودية وغيرها. ان الحقيقة التي يريد طمسها الكثير او يحاول التجاوز عليها هي أن العراق هو القلب النابض، والعقل المتحفز في الشرق الأوسط، وشعبه فريد بقوة فعله عندما تكسر قيوده، وما عطل العراق عن أخذ دوره الكبير الى الوقت الحاضر هو هزلة النظام الحاكم فيه بعد ٩/٤/٢٠٠٣، وغياب القيادة الواعية صاحبة القدرة على أخذ دولتها الى قيادة منطقتها. نعم، ان قوة الفعل الاجتماعي في الزيارة الاربعينية أمر لا جدال فيه، فالشعب العراقي - المحب لأهل البيت عليه السلام على الأقل - هو الحاضنة الطبيعية للزيارة، ولكونها حاضنة خصبة ذات تدفق عاطفي فعال فقد حركت الشرق الأوسط بكامله، وجعلت طرقات البر والجو تمتلئ بالقاصدين الى كربلاء من قندهار وإسلام اباد وكشمير والهند او من نيجيريا وجنوب افريقيا ومصر والجزائر... ودول الخليج، ناهيك عن أولئك القادمين من أوروبا وأمريكا

العراق او ما لا يزيد عن ٥٢٠٠٠ كم^٢، المساحة الحضرية منها تكاد تكون نصفها فقط، يتطلب وجود بنية تحتية متكاملة من الطرق والجسور والخدمات الفندقية والسياحية؛ لأن الحدث ليس مجرد طقس ديني، بل هو مورد استثماري ممتاز يمكن ان يتفوق في عائداته على الدخل السنوي للنفط العراقي، ولكن مع الأسف، يبدو ان رؤية صانع القرار العراقي في بغداد وكربلاء وبقية المحافظات ذات العلاقة بالموضوع قاصرة عن ادراك ذلك، لذا تجد ان البنية التحتية المطلوبة لإدامة زخم الزيارة وتوسيعها وتطوير فعاليتها تكاد تكون شبه معدومة، ولولا الخدمة التلقائية المقدمة من الشعب العراقي، لانكشفت عورات حكومته بطريقة مخجلة. كذلك من العقبات الأخرى المؤثرة، هي وجود الإرهاب والفكر المتطرف المحرك له لدى بعض الحكومات والجهات السياسية والدينية والاجتماعية داخل منطقة الشرق الأوسط، ممن تجد نفسها

طاقته، وتشوه منطلقاته، لاسيما تلك الصراعات الممزقة لوحدة نسيجه الاجتماعي، كذلك عجزه عن الإمساك ببوصلة قوته الحقيقية المنطلقة من قوة الداخل، فالقوة الناعمة لا تقتصر على قوة الثقافة، بل تشمل قوة السياسات المحلية، والسياسة الخارجية، وهذه الأخيرة تعكس قوة وصلاح نظام الحكم، وهذا الامر لازال مفقودا في العراق، بل وحتى في الميدان الثقافي بقيت قوة الزيارة مرتبطة بالثقافة الشعبية ذات العلاقة بالطبقات الدنيا من المجتمع العراقي مع غياب واضح للثقافة العليا المرتبطة بالطبقات العليا (النخبة)؛ لكون الطبقات الأخيرة لا زالت مستنزفة لذاتها في الصراع او منسحبة من ميدان الفعل المؤثر. من جانب آخر، تجد ان هكذا حدث يستقطب ما يعادل عدد سكان العراق (تقريبا ثلاثين مليون) الى مدينة صغيرة كمدينة كربلاء لا تتجاوز مساحتها الكلية ٢.١ ٪ من مساحة

للعراق، يتطلب وجود استراتيجية جديدة يكون اول مقوماتها اصلاح نظام الحكم ليكون مبادرا فاعلا وكفؤا، وسينتج تلقائيا من وجود الحكم الصالح سياسات محلية وخارجية متزنة وفاعلة، وثقافة يتشارك في صناعتها المجتمع بطبقاته الدنيا والعليا. ومن المفيد ان يكون النظام عاملا على ترسيخ وحدة نسيجه الاجتماعي، ملتفا حول هويته الوطنية الجامعة لكل الهويات الفرعية، ومتحررا من سطوة الاملاءات والنفوذ الخارجي. كما تستلزم هذه الاستراتيجية تأهيل كامل البنية التحتية للعراق لتكون التدفقات المالية الناجمة عن السياحة الدينية - ومنها زيارة الأربعين - هي مصدر من المصادر الرئيسة لسلة العراق المالية، وعد هذه المهمة من الأولويات الاستراتيجية في بلد يشعر قاداته ان موارده النفطية غير كافية لحماية أمنه الاقتصادي، وان تكون السياسات العامة للدولة بهذا الصدد واضحة

محاصرة بتطور الزمان والمكان، وعاجزة عن التكيف والمنافسة، فتحاول التعويض عن ذلك بتشتيت انتباه الناس، واصطناع أعداء وهميين لهم من اجل اشغالهم عن المطالبة بحقوقهم وتغيير واقعهم الظالم، فتجد في معاداة الشيعة وطقوسهم نافذة لإلقاء نفايات الماضي والحاضر عليهم، وتحميلهم مسؤولية التقهقر الثقافي والحضاري، واطهارهم بصورة العدو البربري الذي يجب الخشية منه والعمل على تحطيمه. فضلا على وجود أطراف خارجية مغذية لهذا الامر وتعمل على تأجيج نيرانه؛ لتحقيق مصالحها الخاصة.

الحاجة الى استراتيجية جديدة

حقيقة، تشكل زيارة الأربعين بالنسبة للعراق مرتكزا مهما من مرتكزات النهوض الحضاري لهذا البلد للسماة المذكورة في أعلاه، ولكن توظيف هذا المرتكز بشكل صحيح لمصلحة القوة الشاملة

نحو النهوض الحضاري الحقيقي،
وبدونها ستكون النتائج غامضة مهما
كانت الإجراءات التكتيكية ناجحة.

ومفهومه وذات إطار زمني محدد، على
ان تشرف على تنفيذها إدارات مقتدرة
عالية المهارة، ومكملة لبعضها
البعض. ان وجود الاستراتيجية
المناسبة لتوظيف زيارة الأربعين هي
جزء من الاستراتيجية الشاملة لإدارة
العراق ووضعه على مساره الصحيح

الدراسات الفكرية

الشيخ غازي عبد الحسن السمّك
أستاذ وباحث من البحرين.

نقد المنهج القصدي في تفسير القرآن الكريم

مقدمة

فارتبط باللغة وقواعدها.

ومن ناحية أخرى شكّل القرآن الكريم، وتفسيره، وتأويله المصدر الأوّل من مصادر المعرفة. ويربط الباحثون الاهتمام باللغة العربية من قبل المسلمين بالقرآن من جهة أنّ نزول القرآن بلغة العرب ولّمّد هذا الاهتمام، كما ساهم في تطوّر هذه اللغة وأبحاثها.

أضف إلى ذلك ارتباط الشريعة

فتح تطور الأبحاث اللغوية لدى الغربيين في ما عُرف بعلم اللسانيّات الباب أمام السّؤال عن مدى تأثير هذا التطور - لاسيّما بعد أن كان الحديث فيها عن اللغة بوصفها لغة مهما كانت، لا عن لغة محددة - على الدراسات الإسلامية، أو فقل: على هذا التراث الإسلامي الهائل، لاسيّما وإنّ جزءاً مهماً منه ابتنى على النصّ،

جديداً في تفسير القرآن الكريم يعتمد على إلغاء الترادف في اللغة وما يتبعه من اعتبار، وينظر إلى القرآن بوصفه نظاماً لغوياً محكماً مستقلاً بذاته لا يخضع لقواعد (الاعتباط اللغوي)^(٢). ونجد هنا من الضروري أن نوضح مفردتي (الاعتباطية) و(القصدية):

فالاعتباطية هي عبارة عن جزافية الدلالة واتفاقية الارتباط بين الأسماء ومسمياتها. وقد نظر لهذه النظرية كبار أهل اللغة في الشرق والغرب، كـ (عبد القاهر الجرجاني) و(دي سوسير).

وأما القصدية، فهي تعني الإيمان بوجود نوع من العلاقة الواقعية بين الدال والمدلول.

بيان آخر: القصدية: القصد في اللغة إتيان الشيء قصده، أي: نحوه، وفي الفلسفة (نظرية القصد) كانت سائدة لدى فلاسفة العصور الوسطى، وعندهم القصد: الفعل الذي يتجه فيه العقل نحو الموضوع ليدركه،

بالسنة القولية للنبي ﷺ والمعصومين عند الإمامية وتطور البحث اللغوي عند الاتجاه الأصولي.

ومن هذه الدراسات ما نشر حديثاً عن المنحى القصدي في التفسير، وهو ما سنقدمه هنا في دراسة مختصرة.

الفرق بين القصدية والاعتباطية:

اللغة: نظام معرفي، ومعرفيته تعتمد على التفاعل الحيوي بين الحاجة الإنسانية للتعبير، والواقع الموضوعي، واللغة المنجز الإنساني الأساس في تطوير المجتمع الإنساني. ويشير (علماء النفس) إلى أن اكتساب اللغة استعداداً ينبع جذرياً من الجينات البشرية. إن أولويات التعلم تظهر منذ الطفولة حتى عند الأطفال (الخرس).

الاتجاه القصدي وهو ما يسميه صاحب هذه النظرية^(١) التفسيرية بـ (المنهج اللفظي)، ويعتبره منهجاً

طبيعية (فيزيائية) تدل على معنى محدد وبالمعنى الذي يجعل الكلمة تحتزن قدرة على التعبير عن معنى حسي أو عقلي أو مادي.. ينبع من مفهوم الحركة الأصلية (أو الجوهرية).. إذاً فلا ترادف أو استعارة فلكل مفردة معناها الذي يحدده التسلسل الصوتي لوجود معنى مستقل لكل حرف وهو ما يناقض الرأي القائل بالاعتباطية.

الاعتباطية: الاعتباط من حيث الدلالة والمعنى (أن الأشياء سمّيت بدون وجود صلة بين الشيء وتسميته) مفهوم تداولته الإنسانية منذ زمن طويل ويذكر النيلي أن محاوره (كراتيليس) تذكر موقف (هيرموجينز) عندما يقول: "لا يوجد اسم ينسب لشيء معين تمنحه الطبيعة، ولكن فقط عن طريق العادة والتقاليد لأولئك الذين يستخدمون الاسم والذين يجدون تلك الأسماء"، وهذه الفكرة (أي الاتفاق) على الأسماء هي التي نجحت في النهاية.

والقصديّة: هي خاصية الشعور حينما يشير إلى أو يتجه نحو الشيء ليدركه، وقد استمرت في الفلسفة الغربية وامتدت إلى الفلسفة المعاصرة حيث قام (برنتانو)^(٣) بإحيائها وتجديدها في دراساته النفسية وأقنع تلميذه (ادموند هوسرل)^(٤) بأهمية فكرته عن القصديّة فافتتح بها وطورها في منهجه (الفونومونولوجي).

ونأخذ من المصطلح - عادةً - الفهم العام لمعرفة مؤداه ومعناه، فالشعور لا يمكن أن يفصح عن نفسه إلا حينما يكون مقصده شيئاً محسوساً. والشعور يستخلص معناه من الواقع (أساساً) ونعبر عنه بالكلام المحدد للمعنى ويمكن أن نطلق على هذه الكلمات مقاصد أو غايات.

قصديّة اللغة عند عالم سبب:

اللغة: نظام يتألف من مجموعة من العناصر الصوتية واللفظ (الكلمة)، سلسلة صوتية من الحروف (الفونيمات) وتعتبر أساساً حركات

يحتوي نظاماً هندسياً يليق بالمتحدث العظيم الذي خلق كل شيء بقدر، فحريٌّ بكلامه أن يكون دقيقاً ومحتوياً على نظام هندسي متكامل بدءاً من الحروف وصولاً إلى المفاهيم.

وهذا ما دفعه إلى رفض تبني نفس الطرائق الموروثة لدى المفسرين واللغويين في فهم القرآن الكريم. وقد وضع في كتابه (النظام القرآني) جملة من المبادئ لقراءة كتاب الله ومعاملته بطريقة تختلف عن طريقة التعامل مع كلام خلقه، إيماناً منه بأن كلام الخالق قصدي الدلالة، وكلام خلقه قد يتخلل الاعتباط والعشوائية في توظيف الدلالات كالمجاز، والترادف، والمشارك اللفظي، وغيرها. ليس القرآن الكريم هو الوحيد (قصدي الدلالة) في نظر عالم سبب، وإنما حديث النبي ﷺ وأهل البيت  أيضاً، بل إنه يرى أن اللغة في الأصل وبشكلها العام (قصدية الدلالة) أيضاً، لكن تغيير الظروف

فتم تأسيس مبادئ علوم اللغة والبلاغة وأبحاث الدلالة اللفظية عليها. (كما في عالمنا الإسلامي)، حيث تمّ تعميم الفكرة إلى دلالة كلّ الألفاظ، واعتبر عبد القادر الجرجاني أوّل واضع لها. أما في الغرب فقد تم تأسيس الاعتباط على يد العالم اللغوي (دي سوسير) فسّمه لأول مرة بالمبدأ الاعتباطي.

من هو عالم سبب النيلي:

باحث ومفكر عراقي مهتم بالدراسات القرآنية، من مواليد عام ١٩٥٦م في بابل.

نشأ في قرية السورة التابعة لناحية النيل شمال مدينة الحلة في محافظة بابل، وقد أنهى دراسته الثانوية في ثانوية الفيحاء في الحلة، وأكمل دراسة البكلوريوس والماجستير في جامعة أوديسا / أوكرانيا.

ألقت دراسته الهندسية بظلالها على نظرتة للقرآن الكريم ككتاب إلهي

النيلي ببحوث تعتمد المنهج القصدي الذي أسسه سواءً على الصعيد القرآني أو على الصعيد الفكري بشكل عام كالتأريخ، واللغة، والفلسفة. وأصحاب بدعة السفارة في ثوبها الجديد سرقوا هذه المنهجية وأسّسوا عليها أفكارهم.

آثاره: له كتب متعددة (١٦ كتاب) أهمها:

النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي: وفيه مبادئ المنهج اللفظي لأجل التعامل بقصدية مع كتاب الله. ويعدّ هذا الكتاب من أهم كتبه في المجال القرآني.

أسس ومبادئ المنهج اللفظي

التعريف بالمنهج اللفظي وغاياته المنهج اللفظي: هو منهجٌ تحليليٌّ لآيات القرآن العظيم يعتمد على قواعد معينة تخصّه، وله غايات ومبادئ وطرائق مختلفة عن مناهج التفسير المعتادة.

وأمرًا غاياته: فأهمّ غاياته هي

الزمكانية والاجتماعية هي التي تتحكم بمدى ثبات قصدية لغة مجتمع ما من عدمه.

وقد أثارت أفكاره زوبعة في وسط الساحة الثقافية بين مؤيد ومعارض. توفي النيلي في يوم ١٧ من شهر أغسطس من سنة ٢٠٠٠م، عن عمر ٤٤ سنة. حصل النيلي على تأييد ودعم الكثير من الأكاديميين وأساتذة الجامعات في العراق، خصوصاً بعد بروز نجمه بعد وفاته، وبعد انتهاء حكم صدام حسين الذي كان يمثّل مانعاً رئيسياً من ظهور الفكر النيلي القصدي إلى العلن، فعُقدت بعض الندوات والأمسيات التي تتناول فكره، فساهمت إلى حد ما في انتشار أفكاره واجتيازها حاجز الحدود شيئاً فشيئاً لتصل إلى العديد من الدول العربية والإقليمية.

تأثر الكثير من الأكاديميين والمثقفين بأفكاره ونظرياته، فأخذ بعضهم على عاتقه إكمال ما ابتدأه

المبدأ الأول: مبدأ عدم الاختلاف في القرآن

يؤمن هذا المنهج أنّ القرآن يخلو من أي اختلافٍ بصفةٍ مطلقةٍ، ويندرج تحت ذلك إيمانه بانعدام التناقض. وهذا الإيمان له فوائدٌ كثيرةٌ في عملية مراجعة النصّ الديني العام، منها: إظهار التناقض عند المفسّرين والذي هو نوعٌ من الاختلاف.

المبدأ الثاني: مبدأ قصور المتلقي

يؤمن هذا المنهج أنّ المخلوق قاصرٌ عن الإحاطة بكلام الخالق قصوراً دائماً. ومعنى ذلك أنّه مهما بلغ من المعرفة بالقرآن فسيظلّ محتاجاً إلى النظر فيه والتفكير في شأنه. أي أنّ المتكلّم إذا تكلم عن شيءٍ ما فقد تكلم ضمناً عن نفسه أيضاً، ولمّا كانت معرفة الله لا نهائية، فتبقى معرفة كلامه لا نهائية أيضاً.

الكشف عن نظامه الداخلي، وفتح الأبواب للمعرفة القرآنية كي تحلّ محلّ المعرفة التجريبية العاجزة عن إحداث التغيير المنشود في النظام الطبيعي سعياً لتغيير العالم وفق الإرادة الإلهية وتحقيق الهدف الأول من الخلق. ومن خلال ذلك تتمّ الإجابة عن جميع المعضلات في أي فرعٍ من فروع المعرفة.

ويقول صاحب النظرية: "ولا يمكن إعطاء تعريفٍ لهذا المنهج أو وصفه بأسطرٍ معدودةٍ، ولا يمكن كذلك تحديد غاياته. فمن طبيعة هذا المنهج أنّ التعريف به وتحديد غاياته وخصائصه وطريقة عمله ونتائجه تتمّ سويةً من خلال تطبيقاته التي لا حدود لها"⁽⁵⁾.

مبادئ المنهج اللفظي

ويمكن تلخيص هذه المبادئ الأولية التي هي بديهيات وأسس المنهج اللفظي في عناوين رئيسية، هي:

المبدأ الثالث: مبدأ التغيرات عن كلام المخلوقين

يؤمن هذا المنهج بأنّ كلام الخالق مغايرٌ لكلام المخلوقين وإنّ تشابهت بعض الألفاظ اتفاقاً. وفائدة هذا المبدأ هي في أنّه يطبّق لأول مرّة عملياً داخل منهج تفسيريّ ليكون جزءاً منه ودعامةً من دعائم حركته، وبذلك يمكنه وضع الحدود الفاصلة بين الكلام المعجز والكلام غير المعجز.

المبدأ الرابع: مبدأ خضوع المتلقي للنظام القرآني

يؤمن المنهج اللفظي بأنّ على الباحث الخضوع للنظام القرآني إنّ أراد التوصل إلى معارف القرآن. فأمرها معنى النظام القرآني فهو: أن في القرآن نظامٌ محكمٌ شديد الصرامة منتشرٌ في جميع أجزائه بحيث أن اللفظ مفردةً كان أو حرفاً والترتيب أو التسلسل المعيّنٌ للألفاظ في كلّ تركيب هو جزءٌ من هذا النظام، والخطأ في تصوّر شيء

منه في أي موضع يؤدي إلى الخطأ في تصوّر فروع كثيرة متصلةً بذلك الموضوع. فالعبارة الأصح ليست قولنا: (أنّ في القرآن نظاماً محكماً) بل (القرآن هو بذاته نظامٌ محكمٌ).

وأما معنى الخضوع فهو: أنّ على المتلقّي السير على ذلك النظام والتحرك وفقه واكتشاف مسالكه وطرقه. إنّ مبدأ الخضوع للنظام القرآني قد مكّن المنهج من اكتشاف ما أملاه علماء التفسير على القرآن من آراءٍ وما خالفوا فيه نظامه. (كما يقول صاحب النظرية) فالخضوع للنظام القرآني في هذا المنهج لا يعني الاعتراف به وحسب، بل يعني أنّ على الباحث أن يكون تابعاً للقرآن لا أن يكون هو قائداً له.

المبدأ الخامس: مبدأ التبيين الذاتي

يؤمن المنهج اللفظي بأنّ القرآن مبينٌ لكلّ شيءٍ ومبينٌ لذاته فأما كونه

بنفسها.

الأساس الثالث: إنَّ الملمّة المسلمة قد أجمعت وأقرت للقرآن اتّصافه بصفتين كان قد وصف هو بهما نفسه. الأولى أنّه كتابٌ للهداية والثانية أنّه كتابٌ مُعجِزٌ. واجتماع الصفتين يحتمُّ أن يكون مبيّناً لذاته، بل انفراد كلّ منهما يحتمُّ ذلك. إذ لو كان مُبهماً لفقد القدرة على الهداية، فلا بدّ أن يكون (مبيّناً) وآياته (بيّنات). وإذا لم يكن مبيّناً لذاته كان خلواً من أي نظام فيسقط الإعجاز إذ إنّ فاقد النظام لا يكون مُعجِزاً.

المبدأ السادس: مبدأ العلو والشمول والحاكمة والامتناع يؤمن هذا المنهج بأنّ القرآن ممتنع عن قبول أي علم أو معرفة غير علمه هو، فهو متعالٍ على كلّ علم آخر لأنه كلام الله الذي (أنزله بعلمه). فهو حاكمٌ على كلّ علم غير محكومٍ بأيّ علمٍ.

تبيانٌ لكلّ شيء معلومٌ من النصّ القرآني نفسه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٦)، ومع ذلك فهو يطبّق قواعده على الآية ليبرهن أن المقصود بـ (كلّ شيء) فيها هو (كلّ شيء) فعلاً، وليس كما قال المفسّرون من أنه (الأمر المشكّل) من أمور الدين. وأمّا كونه مبيّناً لذاته فيعتمد على ثلاثة أسس هي:

الأساس الأول: إنّ القرآن هو (نظامٌ محكمٌ). ومعلومٌ أنّ كلّ نظام محكم مبيّنٌ لنفسه من خلال النظام نفسه.

الأساس الثاني: وردت في النصوص القرآنية صفة التبيين على ثلاثة مستويات:

الأول منها: أنّه (تبيانٌ لكلّ شيء) كما مرّ سابقاً.

والمستوى الثاني: أنّه (قرآنٌ مبيّنٌ) أي مبيّنٌ بنفسه.

وأما المستوى الثالث: وهو على مستوى الآيات (آياتٌ بيّناتٌ) أي

مبررات الإعلان عن المنهج اللفظي

إنّ لإعلان هذا المنهج مبرراتٌ عديدةٌ تجعل منه ضرورةً لا محيص عنها، ويمكن وضعها اختصاراً في ما يلي:

أولاً: إنّ المنهج الوحيد الذي يلائم نظام القرآن من حيث كونه كتاباً معجزاً يسري فيه نظامٌ محكمٌ. فالكشف عن النظام القرآني هو الطريق الوحيد لمعرفة القرآن وأسراره وفتح أبواب معارفه وعلومه.

ثانياً: إنّ الأسلوب الوحيد الذي يعطي المعنى الحقّ لـ (التدبّر) وتنفيذ أمره تعالى في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٧).

ثالثاً: إنّ الاختلاف في الأمة، بل في الملل الدينية إنّما مرده إلى الاختلاف في الكتب المنزلة ومنها القرآن. فالقضاء على عنصر الاختلاف وسببه يستلزم استخراج المعاني التي لا اختلاف فيها والحقائق التي لا يمكن

إنكارها أو تأويلها ليحي من حيّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.

رابعاً: لا يمكن إبراء ذمّة المخلوق ما لم يتّبع الشرع الإلهي، ولا يمكنه اتّباع هذا الشرع ما لم يعرف ما أمره الله به وما نهاه عنه بصورة قاطعة، كذلك لا يمكنه القطع عند اتّباع أيّ من المذاهب والطرائق، لأنّه إذا قطع بصحّتها فلا يمكنه القطع بصحّة أحكام ذلك المذهب.

خامساً: إنّ هناك دعاوى كثيرةً لمنكري سماوية القرآن ودعاوى للعلماء للردّ عليها. ومنها إنكار كونه كلاماً معجزاً ومنها الادّعاء بتناقض آياته مع بعضها البعض.. وهي دعاوى مستمرة إلى اليوم بسبب ضعف الردود وهشاشتها وبطلان حجّتها.

ولا سبيل إلى قطع دابر تلك الدعاوى من جذورها إلاّ سبيل الكشف عن إعجاز القرآن وإظهار نظامه الداخلي.

اصطلاحات المنهج اللفظي

هذه جملة من المصطلحات وهي تعتبر المفاتيح التطبيقية لهذا المنهج.

أ. اللفظ:

ويقصد به اللفظ الواحد لا المادة اللغوية وحسب. فكل اشتقاق من مادة ما هو في المنهج اللفظي لفظٌ مستقلٌ بحدِّ ذاته. فالمفرد مثلاً يختلف عن الجمع.. وهكذا. هذا في المرحلة الأولى، أما في المرحلة المتطورة فكلُّ محلٍ إعرابيٍّ هو لفظٌ مستقلٌ أيضاً.

فالألفاظ الآتية مثلاً يعتبرها المنهج اللفظي ألفاظاً مستقلةً في المعنى والوظيفة: كفَار، أولئك، لولا، يوماً، قل، كافرون، رأيت، أميَاذا، الظالم، آمنتم، الظالمين... وهكذا. وهذا التفريق بين الألفاظ هو الأساس في العمليات البحثية للمنهج اللفظي وفوائده لا تحصى كثرةً.

ب. المركب:

يُقصدُ به اقتران لفظين أو أكثر سويّاً لتكوين عبارةٍ أو مقطع قرآنيٍّ معيّن، ولا يشترط في المركب أن يكون آيةً كاملةً أو جملةً تامة المعنى مثل: ذلك الفوز العظيم، والسماء ذات، بسّ القوم، وحق بهم، وقالوا لولا، فضل الله.. الخ.

ينفع هذا المصطلح في البحث عن الآيات التي تتضمن نفس المركب مثل (والسماء ذات الحُبك)، (والسماء ذات البروج) حيث اشتركت العبارتان بمركبٍ واحدٍ هو (والسماء ذات).

ومرد ذلك عند المنهج هو أن كلَّ لفظٍ وضع عن قصدٍ في موضعه مقترناً بلفظٍ آخر، وعند عودته للظهور في سياقٍ آخر فيرى المنهج وجود علاقة بينهما في الموضوعين. وبهذه الطريقة يدعى اكتشاف حقائق كثيرة، وأدرك وجود النظام الصارم في القرآن الذي يمثل حقيقة الإعجاز القرآني.

ج. التركيب:

نطاقين هما: (جهنّم) بالنصب،
و(لطاغين). وكلاهما بنفس الصورة
في كليهما.

أما (مآب) و(مآبأ) فهذان اللفظان
هما مركز أو نقطة شدّ هذه الأنطقة
ويسميهما المنهج بـ (المشدّ)، وهو دوماً
مختلفٌ إعراباً داخل النطاق.

وينفع هذا المصطلح - كما يُدعى -
في الكشف عن بعض المقاصد القرآنية
والحقائق المتصلة مع بعضها في مختلف
المواضع.

هـ. الاقتران:

يُقصد بالاقتران مجيء ألفاظ بعينها
في التراكيب المختلفة في مواضع
متباينة، أو مجيء مركبات في تراكيب.

مثلاً: تكرار ذكر مفردة (القلب)
مع مفردة (الكفر) في صيغ إعرابية
مختلفة يعدُّ في هذا المنهج اقتراناً لفظياً.

وكذلك تكرار ذكر (العقل) مع
(الشرك)، فهذا يعدُّ اقتراناً لفظياً بين
ذكر العقل والشرك.

ويُقصد به الجملة التامة المعنى ولا
يُشترط أن يكون آيةً كاملةً، بل قد
يكون شطر آيةٍ أو آيةٍ وشطرٍ أو آيتين.
استخدم هذا المصطلح لدراسة العبارة
القرآنية التامة المعنى لأغراض شتى
منها إبطال قواعد النحويين وتأويلات
المفسرين.

د. الرباط:

يُقصد به اللفظ أو المركب الذي
حافظ على صورته اشتقاقاً وإعراباً
ودخل في تركيبين منفصلين. ويتألف
الرباط من أنطقةٍ عددها مساوٍ لعدد
الألفاظ المشتركة. فالأنطقة قد تمرّ
بأكثر من رباطٍ خلال النسيج القرآني.

فمثلاً: هناك رباطٌ بنطاقين بين آية
النبا وآية صاد: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ
مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَأْبَأً﴾^(٨). ﴿هَذَا
وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ * جَهَنَّمَ
يَصْلَوْنَهَا﴾^(٩).

فالرباط في الآيتين مؤلّفٌ من

ويفيد هذا الاقتران في الكشف عن حقائق جديدة في كَلِّ القرآن وعلى مختلف المستويات ويعدُّ أساساً لعمل المنهج.

و. الشعاع:

هو أبسط أنواع الاقتران المنفصل في الطبقة الأولى، ويشير إلى العلاقة بين لفظين اقترن كلُّ منهما مباشرة بلفظٍ أو مركّب، ولم يتصلا مع بعضها في كل القرآن في أي موضع مثل: (والسماء ذات/ البروج) و(السماء ذات/ الحبك) (السماء ذات/ الرجع).

فالبروج والحبك والرجع هي ألفاظٌ مرتبطةٌ بشعاعٍ مع بعضها البعض. وتفيد معرفة الشعاع حالياً في (تخمين) وجود علاقة بين الآيات والسور والوقائع والمفاهيم، والتنبيه إلى مواضع الأربطة بأخذ عنوان بحثي عنها.

ز. المحور:

إذا اقترن لفظٌ أو مركّبٌ بعددٍ من

التراكيب ثلاث مراتٍ أو أكثر محافظاً على وضعه الاشتقائي والإعرابي سويةً سمّاه المنهج محوراً للتراكيب الثلاثة أو ما هو أكثر.

مثل لفظ (رجال) بالرفع في هذه التراكيب: ﴿رِحَالٌ لَا تُلْهِبُهُمْ تِجَارَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١٠)، ﴿رِحَالٌ صَدَقُوا مَاءَ عَاهِدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(١١)، ﴿رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلَامًا بِسِيمَاهُمْ﴾^(١٢)، ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّهَرَّوْا﴾^(١٣)، ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾^(١٤). فهذا اللفظ (رجالٌ) يعدّه المنهج محوراً، وهو بحسب قواعده يعني نفس الشخصوص في النظام القرآني. وتفيد معرفة المحاور في رصد العلاقات بين الآيات وتوسيع دائرة الاقتران ووضع التسلسل الزمني للحوادث إلى منافع أخرى كثيرة جداً.

ح. الفارز:

إذا تكرر استخدام مركّب معيّن مثل (الذين آمنوا) واقترن به في بعض المواضع مركب آخر مثل (وعملوا

وبيان بعض مناحي الإعجاز.

ك. المعنى الذهني:

ويقصد به المنهج المعنى المتبادر للذهن عند استلام لفظ أو تركيب معيّن سماعاً أو قراءةً، ويعتبره المنهج معنىً نسبياً متقلّباً في المكان والزمان والأشخاص.

ل. المعنى الأصلي:

يُقصد به في هذا المنهج المعنى الذي لا يوصف إلاً بجملته طويلاً من المفردات لأجل شرح مفردة ما بحيث يكون هذا الشرح جامعاً لكل الاستعمالات الصحيحة (نسبياً)، ويقوم بتصحيح الاستعمالات المعجمية أيضاً. يعثر المنهج اللفظي على المعنى الأصلي من خلال الاقتران في النظام القرآني وعلى ضوئه يتمكن من تصحيح المعاجم ومعرفة الاستعمال الصحيح من غيره.

الصالحات) سمّي المنهج اللفظي المركب الثاني بـ (الفارز). حيث يحدّد المركّب الثاني مجموعة أصغر ضمن مجموعة أكبر. يستعمل المنهج هذا المصطلح لمعرفة التفاصيل في مختلف العقائد والتكوينات والفئات من خلال تحديد المجموعات.

ط. الترتيب:

يُقصد به في هذا المنهج التسلسل الذي عليه الألفاظ في تركيب معيّن أو في مركّب ما. ففي القرآن يكون هذا التسلسل مقصوداً ولا يؤدي المعنى التام سواه.

ي. المعنى التام:

يُريد به المنهج المعنى الكليّ للجملّة التامة (التركيب)، فهو معنى خاصّ بالجملّة لا اللفظ. والمعنى التام لا يُدرك، ولكن تُدرك أجزاء منه بحسب قوّة الكشف للاقترانات المتصلة والمنفصلة وعدد الطبقات. يُستعمل هذا الاصطلاح لشرح قواعد المنهج

م. المعنى الحركي:

يتصف بهذا الوصف وليس فقط على التراب المعروف.

المعنى الحركي: هذا المعنى يصف حقيقة كل جزء ودقيقة فيه (أي التراب) وصفاً جوهرياً داخلياً يطابق تكوينها. إذن فالمعنى الذهني هو جزءٌ من المعنى الأصلي اللغوي، والمعنى الأصلي في اللغة هو جزءٌ من المعنى الحركي. ولما كان القرآن لا يستعمل إلا المعنى الحركي فإنَّ شرح ألفاظه عن طريق المعنى الذهني الاصطلاحي المتغيّر يجعل القرآن متناقضاً ويُفقد نظامه المحكم. ولهذا السبب (أي المعنى الحركي) قالوا: إنَّ المعنى التام للعبارة القرآنية الكاملة هو شيءٌ لا يُدرك، وإنَّما تُدرك أجزاءً منه عن طريق الاقتران. وبعبارة مختصرة نختزل توصيف المنهج القصدي، والدليل الذي تتم صياغته لإثبات مدّعه مركب من أمور:

١ - أنّ النظام المحكم في القرآن يقتضي أن يكون لكل لفظ دلالة

يقصد المنهج به المعنى ما قبل الأصلي الذي يطابق حقيقة وجوه المسمى في حركته الأولى في الوجود، وهو المعنى الذي يصف المسمى وصفاً حقيقياً شاملاً. مثلاً توضيحي: لتوضيح المعاني الثلاثة السابقة نورد المثال الآتي: فلفظ (تراب) مثلاً له ثلاثُ معانٍ هي:

المعنى الذهني: وهو المعنى المتبادر، وهو متغيّرٌ دوماً وينطوي على استعمالات مجازية في كلام المخلوقين كما في قولهم (وجدته تراباً) أي لشحوبه إن كان المقصود به رجلاً، أو لت هشمه إلى قطع ناعمة إن كان المقصود بهذا القول شيئاً من زجاج مثلاً.

المعنى الأصلي: إنَّ المقصود بالتراب وفق هذا المعنى: (الأجزاء والقطع الدقيقة المتشابهة والتي إذا اجتمعت انبثقت منها حركة ممكنة).. وهذا المعنى ممكن إطلاقه على أي شيء

المختلفة.

للألفاظ دلالة سابقة ثابتة، وهذا الأمر يجعل اللغات جميعها ترجع الى أصل واحد، فيما لا يكون للأصوات أي قيمة مسبقة في المبدأ الاعباطي.

وتشكّل هذه الفرضية المسبقة أساساً للانطلاق نحو عملية تخطئة لتراث تفسيري وفقهي وأصولي ممتد لقرون، دون أن يكون للحل القصدي سوى إشارات قرآنية ونبوية. فهو في الواقع لا يرقى لمستوى المنهج أو النظرية، وإنما هو فرضية تقوم على أساس التخمين والاحتمال وتستخلص من الاحتمال يقيناً غير مطّرد وثابت، فلذا من المناسب التعبير بالاتجاه بدلاً عن المنهج، وبالفرضية بدلاً عن النظرية.

ويسجّل هذا الاتجاه إشكالية يعتبرها أساس رفضه لكون القرآن خاضعاً لأساليب اللغة العربية، وهي تتمثل في أنه لا فائدة من الاعتقاد بأن القرآن هو كلام الله - تعالى - من جهة، ثم التعامل معه على أنه يجري مجرى

٢ - أن الإيمان بالترادف ينافي فكرة الوضع، أي وضع الألفاظ لمعان محددة من قبل الواضع، بل وضع الحروف أيضاً.

٣ - أن الالتزام بوجود معانٍ للحروف يمنع من الترادف ودلالة الألفاظ المتعددة على معانٍ واحدة؛ لأنّه لا يمكن أن يؤدي المعنى المحدد المقصود للقائل إلا لفظاً واحداً أو ترتيباً واحداً.

لماذا يرفض فكرة الترادف والمجاز وغيرها من أساليب اللغة العربية ؟

أول ما يمكن ملاحظته على هذا المنهج أنّه يعتمد على نظرية لغوية حديثة تتبنى وضع الحروف وأنّ لها معاني مستقلة في نفسها، بخلاف ما هو المعروف من أنّ الحروف ليس لها معنى مستقل في نفسها وإنما معناها متقوم بغيرها. وأساس هذه النظرية يبتني على العلامات الصوتية، أي أنّ

كلام الخلق في (قواعده وأساليبه) من جهة أخرى، إذ النتيجة المتحصلة في النهاية أنه مثل كلام المخلوقين.

وقد ارتكز سابقاً هذا الاتجاه على مبدأ المغايرة بين كلام الخالق والمخلوقين.

المناقشة الأولى:

معنى نزول القرآن بلغة العرب:

من أهم عوامل حفظ اللغة العربية هو اهتمام المسلمين بها، هذا الاهتمام الذي كان له منطلقه الديني، وهو كون القرآن قد نزل بلغة العرب، ففهم كتاب الله يتوقف على هذه اللغة. وتشكل الآية ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١٥) الشاهد الرئيسي على مقولة مشهورة بينهم من أن القرآن نزل بلغة العرب وأساليبه.

الاتجاه القصدي يرفض هذه الفكرة من أساس، وينحو لتفسير الآية منحى آخر، فيرى أن القرآن له نظامه الخاص ولا يجري على لغة

العرب.

يقول هذا الاتجاه: أمّا الآية، فالله لم يقل إنه كتاب عربي، بل قال: إنه كتاب إلهي بلسان عربي، واللسان هو شيء غير القواعد والأساليب، ولعل نظره في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِنا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٦).

ويلاحظ على هذا الكلام:

الآيات الواردة كلها تنص على أنه كتاب عربي، فلاحظ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١٧)، وكذلك ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١٨)، و﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾^(١٩)، و﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢٠)، و﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٢١)، وفي جميع هذه الآيات ورد: (أنزلناه)،

مضافاً إلى مسألة أخرى، وهي قضية الإعجاز القرآني وتحديّ العرب بالإتيان بمثل هذا القرآن، وليبيان هذا التحدي يقال: إنّ القرآن الكريم كان معجزة بيانه وأسلوبه - إضافة إلى المضمون -، وهذا الجانب من الإعجاز لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان بلغة القوم؛ لأنّ (التحدي) - الذي هو محتوى الإعجاز - إنّما يكون مقبولاً إذا كان باللغة التي يتكلم بها الناس، وإلا فلا معنى لأن نتحدى من يتكلم بلغة بأن يأتي بكتاب من لغة أخرى.

وقد كان التحدي في هذا الجانب من الإعجاز باعتبار ما كان يوليه ذلك العصر من أهمية خاصة للبلاغة والبيان، الأمر الذي كان له أثر كبير في الخضوع النفسي لهؤلاء العرب لبلاغة القرآن وبيانه.

ومن هذا المنطلق لا تكون دعوى التفسير القصدي بالخروج عن أساليب اللغة العربية البلاغية وعدم نزول القرآن بها إلا خروجاً عن مسألة

(جعلنا)، (أو حيننا)، فهل هذا كلّه يدلّ على أنّ القضية هي مجرد لسان؟! ولا أدري، كيف تم نسيان جميع هذه الآيات مع أنّ طريق القصدية يقتضي ملاحظة كل ما ورد حول هذه المفردة لتحصيل المعنى.

هذا مضافاً إلى أنّ غموضاً يكتنف المراد من كون القرآن إنّما نزل باللسان العربي فقط دون أن يكون عربياً، فهل هو مجرد استخدام الحروف العربية دون الخضوع لنظام اللغة؟! هذا ما يظهر أنّه المراد لدى الاتجاه القصدي، ولهذا يرفض تطبيق قواعد البلاغة العربية على النصّ القرآني.

وهنا نسأل: عن السرّ في عدم مخالفة القرآن لقواعد العرب النحوية، ولماذا راعى رفع الفاعل، ونصب المفعول، وغير ذلك من عشرات القواعد، أي: إنّ سؤالاً يتّجه للتفسير القصدي عن الفرق بين قواعد النحو وقواعد البلاغة حتى يؤمن بتطبيق قواعد النحو دون البلاغة.

إنّ هذه اللغة التي عمّرت قروناً لم نجد أنّ مهملاتها أصبحت لها دلالة على معانٍ.

مضافاً إلى مسألة أخرى أساسية، وهي أنّ التفسير القصدي يعتمد على التبع لاستعمالات المفردة قرآنيّاً ليستخرج المعنى القرآني والذي يقارب ما يصطلح هذا التفسير عليه بالمعنى الحركي.

وهنا إذا أردنا أن نلاحظ قضية تدرّج نزول القرآن وعدم نزوله دفعة واحدة - على مسامع العرب والمسلمين الأوائل بوصفه أمراً قطعياً - فهل كان المسلمون الأوائل - أي في عصر النزول التدريجي - يتوقفون في فهم المعنى إلى أن يكتمل القرآن؟! أو أنّ القرآن كان يفهم بما هو ظاهر الكلام بالرجوع إلى ما تحويه أذهانهم من معانٍ للمفردات والتراكيب اللغوية.

إنّ ما يصل إليه التفسير القصدي من خلال تتبعه للمفردات سوف يشكل ظهوراً خاصّاً، فهل هذا الظهور هو

التحدي هذه، لأنّ التحدي في المعجزة إنّما يكون بما هو الموجود بين أيدي الناس، وما كان في أيديهم عبارة عن اللغة العربية بكل ما تحمله من خصائص بلاغية.

المناقشة الثانية:

يقع هذا الاتجاه التفسيري المبني على الالتزام بوجود معنى للحروف أمام إشكال أساسي، وهو أنّه إذا كان للحرف معنى فهذا يعني عدم وجود ما عرف بالمهمّل في اللغة، وهو الألفاظ التي لا تدل على معنى.

وللإجابة عن ذلك يقول الاتجاه القصدي: إنّ هذه المهملات لها معانٍ لم تصل إليها البشرية، بل هي معانٍ مختزنة، وتطور البشرية كفيل بإيصالها إلى هذه المعاني.

ويلاحظ على هذا الكلام:

لا أتصوّر أنّ هذه الطريقة التبسيطية لمشكلة أساسية تقف حائلاً أمام هذا الاتجاه كفيلة بحلّ المشكلة.

الجواب من قبل الزركشي لم يأتِ التفسير القصدي على ذكره وتفنيده.

إذا كان الاتجاه القصدي يرفض وجود المجاز في القرآن وكان ذلك ضمن قواعده، ويرفض الرجوع إلى المعاجم، مسجلاً عليهم أنهم لم يميزوا المعنى الحقيقي من المجازي، فكيف يصل إلى المعنى الحقيقي؟!

فإن تتبع الاستخدام القرآني وتتبع المفردة اللغوية أو اللفظ المصطلح عنده لن يوصله إلى المعنى الحقيقي ما لم يكن مسبقاً بمعنى ما.

وهنا نسأل: من أين يأتي هذا المعنى؟ هل يدخل صاحب هذا الاتجاه إلى عملية التفسير مجرداً عن كل المعاني التي يحملها في ذهنه للمعاني اللغوية، ويحاول الوصول إلى المعنى؟ وفي الأساس هل ذلك ممكن حتى نتحدث عنه؟

والملاحظة الأخرى على مقولة رفض المجاز تكمن في ملاحظة الداعي إلى التزام المفسرين بضرورة

الظهور العرفي الذي قامت أدلة حجية الظواهر القرآنية - والمبحوثة تفصيلاً في علم الأصول - على إثباته؟! وهكذا تشكّل مسألة الحجية عقبة أساسية أمام اعتماد هذا النحو من التفسير.

المناقشة الثالثة:

ليست مقولة رفض المجاز بجديد التفسير القصدي، فقد نقل إنكار المجاز في القرآن من ابن القاص من الشافعية، وابن خويز منداد من المالكية، وحكي عن داود الظاهري وابنه، وأبي مسلم الإصبهاني.

وشبهتهم أنّ المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وهو مستحيل على الله سبحانه، فهو باطل.

ويجيب عنه الزركشي: "بأنّه لو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف، وتثنية القصص وغيره، ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن" (٢٢). وهذا

المجاز في بعض الكلمات، ويتحدث عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة) عن ضرورة المجاز، مستشهداً بالآيات الثلاث التالية: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٢٣)، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٤)، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٢٥).

ويقول موضحاً ضرورة المجاز: "لأن الإتيان والمجيء انتقال من مكان لمكان، وصفة من صفات الأجسام، وأن الاستواء إن حمل على ظاهره لم يصح إلا في جسم يشغل حيزاً أو يأخذ مكاناً".

هذا وللمجاز ضرورة أخرى أيضاً، كما في مثل قوله تعالى:

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (٢٦)، فكيف يمكن لهذا المنهج شرح هذه الآية بناء على أنه لا مجاز، لا سيما بناءً

على تتبع المفردة قرآنيًا، وقد ورد في فرعون قوله: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ (٢٧)، كما ورد عن فرعون أيضاً: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ (٢٨).

وأما مفردة غوى، فقد نفاها القرآن عن النبي ﷺ في سورة النجم حيث قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (٢٩).

وكذلك قوله تعالى على لسان يونس: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٠).

ولو أردنا أن نتبع كلمة (الظالمين) لوجدنا أن الدم كله ورد مقترناً بهذا اللفظ، فلاحظ قوله تعالى: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣١)، ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (٣٢)، ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٣٣)، إلى الكثير من الموارد التي وردت فيها هذه المفردة.

وهذا ما نجده في موارد أخرى

معنى كلمة (الضالين) مثلاً، فسنجد
أمرها وردت في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٣٤)، ﴿وَاذْكُرُوهُ
كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ
الضَّالِّينَ﴾^(٣٥)، ﴿قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي
لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾^(٣٦).

كما وردت على لسان موسى:
﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتِ وَأَنْتِ
مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ * قَالِ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا
مِنَ الضَّالِّينَ﴾^(٣٧).

فلا بد لهذا المنهج من الالتزام بنحو
من التأويل لما ورد على لسان يونس أو
موسى.

تطبيق على هذا الاتجاه:

التقييد بصيغة الجمع مع تعدد
الجموع:

من المعلوم أنّ في العربية أكثر من
جمع للمفرد الواحد. وقد دأب
أصحاب المعاجم وتابعهم النحويون
والمفسرون على اعتبار الجموع المتعددة
شيئاً واحداً، فيقولون مثلاً: (أخ: مفرد

ويجمع على إخوة وإخوان).

أنّ المنهج اللفظي يكشف النقاب
عن هذا الخطأ الفاحش - كما يصفه -
الذي أدى إلى اضطراب اللغة عموماً،
والتخبط في معرفة آيات القرآن
خصوصاً.

ومثال ذلك التفرقة بين لفظ
(إخوة) ولفظ (إخوان) في القرآن:

لفظ (إخوة) جمع يستخدم في
القرآن للإخوة في الرحم فقط، ولفظ
(إخوان) هو جمع يستعمل للروابط
التي لا تقوم على صلة الرحم.

ويستعرض الآيات التي وردت في
القرآن ملاحظاً موارد لفظ (إخوة):

﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ﴾^(٣٨)،
﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمُّهُ
السُّدُسُ﴾^(٣٩)، ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً
رَجْرَجًا لِأَلِّ وَنِسَاءٍ فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَرْظِ
الْأُنثِيِّينَ﴾^(٤٠).

أما موارد لفظ (إخوان) فهي:

﴿وَإِنْ تَحْنُ الطُّوْهُمُ
فَسِإِخْوَانِكُمْ﴾^(٤١)، ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ

كَانُوا إِخْوَانًا وَإِنَّا لَشَرٌّ يَاطِينُونَ ﴿٤٢﴾،
 ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا
 يُقْصِرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾، ﴿وَعَادُوا وَفِرْعَوْنُ
 وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ ﴿٤٤﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا﴾ ﴿٤٥﴾.

إن هذا النظام الذي يكشف
 الاتجاه عن بعض خطوطه سيغير - بلا
 شك - الكثير من المفاهيم والعقائد كما
 تعلم.

للذين آمنوا، وهؤلاء خليط مختلف
 عن جماعة (المؤمنين) فلذا عبر عنهم
 (إخواناً) - إلى هنا كلامه يتفق مع ما
 ذهب إليه -، أما في سورة الحجرات
 فاللفظ - المؤمنون - يراد به في القرآن
 من كان مؤمناً حقاً، فلذلك سماهم
 (إخوة)، لأن الصلة بينهم كصلة
 الأرحام، بل أعظم. هذا تأويل، وهو
 على خلاف الاتجاه الذي يتبناه.

ملاحظات تطبيقية أخرى:

أولاً: تقدم أن التفسير القصدي
 يُنكر وجود الكناية في القرآن، وقد
 استدلل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا
 يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ ﴿٤٨﴾.

ولم يصور لنا هنا كيف يكون
 التعبير بالكناية من الباطل. مضافاً إلى
 وجود روايات تتضمن النص على
 كون هذا التعبير من الكناية، فقد أورد
 الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام
 قال: « سألته عن قول الله: ﴿أَوْ
 لَأَمْسُتُمُ النِّسَاءَ﴾ ﴿٤٩﴾، قال: هو الجماع،
 ولكن الله ستر يجب الستر، فلم يسم

المناقشة:

الكاتب يصطدم باستخدام القرآن
 للفظ (إخوة) في غير موارد الرحم،
 من قبيل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
 إِخْوَةٌ﴾ ﴿٤٦﴾.

كما يعبر في آية أخرى بقوله:
 ﴿فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
 إِخْوَانًا﴾ ﴿٤٧﴾.

هنا يضطر النيلي للتأويل وي مارس
 ما استنكره على المفسرين ويقول:

الخطاب في آية (فألف) موجه

كما تسمون» (٥٠).

ثانياً: وقوع المنهج في التأويل والتخريج: لقد تكرر في التفسير القصدي اللجوء إلى التأويل لأيّ مورد يراه مخالفاً لرأي يتبناه.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٥١) يشنّ التفسير القصدي هجوماً على المفسرين لتصرفهم في كلمة (قول) بالالتزام بأنّ في الآية مجازاً أو بأنّ الله قد خلق الكلام خلقاً؛ لأنّ القول لا يصدر من الجهاد.

ولحل المشكلة يتبنى التفسير القصدي الالتزام بأنّ القول هو شيء غير الكلام، متمسكاً لإثبات ذلك بتتبع مفردة (القول) في الاستخدام القرآني، وذلك في الآيات: ﴿سَيَوَاءُ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمِنْ جَهْدِ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَتَخِفٌ بِاللَّيْلِ وَسَيَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (٥٢)، ﴿فَالْقَوْلُ إِيَّاهُمْ الْقَوْلُ إِيَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٥٣)، و﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ

الْجَهْرَ مِنْ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ (٥٤)، ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (٥٥)، و﴿وَإِذْ كَرَّرَ رَبُّكَ فِي نَفْسِكَ تَصَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصْمَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٥٦)، و﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٥٧).

ولكن تتبع هذه المفردة يصطدم بموارد أخرى من قبيل:

﴿إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٥٨)، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٥٩)، ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (٦٠).

وهنا يدخل التفسير القصدي في عملية تأويل أو توجيه لهذه المفردات الثلاث فيقول:

أ - إنه لو قال (لا تخضعن بالكلام) لكان يميز هنّ الخضوع بالقول، وهو في النفس. فإذا خضع قلب المرأة فإيّاها

قادرة على إيصاله بلا كلام، فأراد قطع الخضوع من أصله.

ب - أراد سبحانه أن يكون اللين صادراً من قلبيهما، وهو منتهى الحكمة والعدل والمعروف.

ويقول ختاماً: وأما الموارد الأخرى، فعلى الباحث تدبر ما فيها واكتشاف إشاراتها.

من الواضح أنّ هذا يشكل تطبيقاً تعسفياً يفتح الباب أمام اختلاف في عملية ملاحظة المفردات أراد التفسير القصدي الفرار منه وجعله محوراً أساسياً في هجومه على المفسرين.

ثالثاً: إنّ مسألة تغيير زمان الفعل عبر اللجوء إلى التقدير هو أمر تفرضه الضرورة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(٦١) يرفض المنهج القصدي التصرف في دلالة فعل (كان) على الماضي، ويشدد النكير فيعتبر أن تقدير (يكون) هو من التحريف.

ولكننا نقول: لا شك في أنّ كلمة (كان) في الآية لا يمكن حملها على صيغة

الماضي، وذلك لأنّ الآية وردت في مقام استغرابهم التكليم، والاستغراب إنّما يحصل ممّن هو فعلاً في المهّد، لا ممّن كان كذلك. وقد ذكر المفسرون العديد من الوجوه لحل هذه المشكلة، ومنهم من حملها على الماضي القريب، وهو الجواب الذي تبناه النبي من جهة أنّها لما أتت به قومها تحمله لم يكن في المهّد، فيكون مرادهم أنّه كان قبل أن تأتي به مريم إليهم. ومن الأجوبة ما تبناه الطباطبائي في تفسيره (الميزان) من كون كلمة (كان) هنا مجردة عن الزمان. من قبيل ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾^(٦٢).

إذن، هنا مشكلة في الدلالة، ومهما يكن الجواب فإنّه لن يخرج عن التصرف في دلالة كلمة (كان) على الماضي، إلا أن يسعى إلى التأويل، وبهذا يقع في مشكلة أخرى.

مضافاً إلى أنّ حمل (كان) على الماضي القريب يصطدم بآيات أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾

وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٣﴾، وقوله تعالى: ﴿إِذْ
أَيَّدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي
الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ (٦٤).

فالفاعل (يكلم) و(تكلم) إذا أردنا
حملة على زمانه - كما هو منهج التفسير
القصدي - فلا بد من حملة على صورة
حصول التكليم فعلاً.

ولعل أوجه ما يمكن أن يقال هنا
هو أن المراد من قوله: (في المهد) هو
حالة الصغر والطفولة، لا سيما
بملاحظة إتباعها بقوله (وكهلاً) في
الآية الواردة في سورة آل عمران.

رابعاً: فرع التفسير القصدي على
نظريته في نفي الترادف مقولةً، وهي
أن اختلاف الترتيب في الآي القرآني
يدل على تكرر الحادثة. وذكر نموذجاً
لذلك ما ورد من قصة موسى ﷺ مع
بني إسرائيل ودخولهم القرية.

يقول: إن تكرر الآية مع الاختلاف
في الترتيب دليل على تكرر الحدث وعدم
إمكان حمل المتكرر القرآني على أنه حدث
واحد. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا

ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا
حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٥)، مع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ
قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا
حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَاَدْخُلُوا الْبَابَ
سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٦)؛ إذ لا يمكن حمل
الآيتين على حدث واحد في التفسير
القصدي، بل الحدث نفسه كان مكرراً
في واقعه التاريخي.

وقد التفت المفسرون إلى هذا
الاختلاف في التعبير القرآني، وذكروا
وجوهاً لذلك. ونحن لسنا هنا في صدد
ملاحظة هذه الوجوه ومدى صحتها،
ولكن لنا أن نتوقف مع التفسير القصدي
قليلاً، وذلك بلحاظ أن الداعي الذي
بعثهم للالتزام بتكرر الحادثة عند تغير
الترتيب هو تأسيسهم لقاعدة نفي
الترادف المتفرعة على إيمانهم بوضع
الحروف وكونها ذات معاني، ولو أردنا
أن نسير وفق هذه الطريقة، فلا بد أيضاً -

بل من الأولى - أن يكون تغيير الكلمة موجباً لتعدد الحادثة، وأن لا يحمل على الحادثة الواحدة، لوحدة الملاك الحاكم في الموردين ووحدة القاعدة هذه. ولكن هذا لا يمكن الالتزام به، ولنلحظ بعض الموارد القرآنية كنموذج لذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٦٧). وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾^(٦٨). ففي الآية الأولى استخدم القرآن كلمة (انفجرت) وفي الثانية (انبجست).

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾^(٦٩)، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾^(٧٠). ففي

الآية الأولى استخدم القرآن كلمة (ولد) وفي الثانية (غلام)، فهل هذا من تكرر الحدث؟

٣- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾^(٧١)، وقوله تعالى: ﴿وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٧٢). ففي الأولى (فنفخ) وفي الثانية (فصعق).

٤- ولاحظ أيضاً: ﴿رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾^(٧٣)، و﴿رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾^(٧٤)، وكذلك ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾^(٧٥)، و﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾^(٧٦).

ختاماً: نؤكد ما بيناه سابقاً، من أن ما ذكره الكاتب لا يرقى لمستوى المنهج أو النظرية، وإنما هو فرضية تقوم على أساس التخمين والاحتمال، وتستخلص من الاحتمال يقيناً غير مطرد وثابت؛ فلذا من المناسب التعبير بالاتجاه بدلاً عن المنهج، وبالفرضية بدلاً عن النظرية.

الهوامش:

- [١] هذه التسمية فيها تسامح لما سيتضح من نتيجة البحث.
- [٢] [النيلي، عالم سبيط، النظام القرآني.. مقدمة في المنهج اللفظي، إعداد فرقان محمد قبي ومهدي الوائلي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣، مكتبة بلوتو: ١.
- [٣] [فرانز كليمنس أونوراتوس هيرمان برنتانو ١٨٣٨م - ١٩١٧م، فيلسوف وعالم نفس نمساوي.
- [٤] [ادموند هوسرل ١٨٥٩م - ١٩٣٨م، فيلسوف ألماني ومؤسس الظاهريات.
- [٥] هذا المقطع عبارة عن تلخيص من كتاب النظام القرآني، للنيلي فيما يرتبط بأسس ومبادئ المنهج اللفظي.
- [٦] [سورة النحل: ٨٩.
- [٧] [سورة محمد: ٢٤.
- [٨] [سورة النبأ: ٢١.
- [٩] [سورة ص: ٥٥.
- [١٠] [سورة النور: ٣٧.
- [١١] [سورة الأحزاب: ٢٣.
- [١٢] [سورة الأعراف: ٤٦.
- [١٣] [سورة التوبة: ١٠٨.
- [١٤] [سورة الفتح: ٢٥.
- [١٥] [سورة يوسف: ٢.
- [١٦] [سورة الأحقاف: ١٢.
- [١٧] [سورة يوسف: ٢.
- [١٨] [سورة طه: ١١٣.
- [١٩] [سورة الزمر: ٢٨.
- [٢٠] [سورة فصلت: ٣.
- [٢١] [سورة الشورى: ٧.
- [٢٢] [البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٢، ص ٢٥٥.
- [٢٣] [سورة البقرة: ٢١٠. [٢٤] سورة الفجر: ٢٢.
- [٢٥] [سورة طه: ٥. [٢٦] سورة طه: ٢١٢.
- [٢٧] [سورة المزمل: ١٦.
- [٢٨] [سورة النازعات: ٢٠ - ٢١.
- [٢٩] [سورة النجم: ٢.
- [٣٠] [سورة الأنبياء: ٨٧.
- [٣١] [سورة الجمعة: ٥.
- [٣٢] [سورة البقرة: ١٢٥.
- [٣٣] [سورة البقرة: ١٩٣.
- [٣٤] [سورة الفاتحة: ٧.
- [٣٥] [سورة البقرة: ١٩٨.
- [٣٦] [سورة الأنعام: ٧٧.
- [٣٧] [سورة الشعراء: ١٩ - ٢٠.
- [٣٨] [سورة يوسف: ٢٨.
- [٣٩] [سورة النساء: ١١.
- [٤٠] [سورة النساء: ١٧٦.
- [٤١] [سورة البقرة: ٢٢٠.
- [٤٢] [سورة الإسراء: ٢٧.
- [٤٣] [سورة الأعراف: ٢٠٢.
- [٤٤] [سورة ق: ٣.
- [٤٥] [سورة الحشر: ٢٨.
- [٤٦] [سورة الحجرات: ١٠.
- [٤٧] [سورة آل عمران: ١٠٣.
- [٤٨] [سورة الأحزاب: ٥٣.
- [٤٩] [سورة النساء: ٤٣.
- [٥٠] [وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٢٠ باب ٦٧ من كتاب النكاح ح ٣.

- | | |
|-------------------------|--------------------------|
| [٦٤] سورة المائدة: ١١٠. | [٥١] سورة فصلت: ١١. |
| [٦٥] سورة البقرة: ٥٨. | [٥٢] سورة الرعد: ١٠. |
| [٦٦] الأعراف: ١٦١. | [٥٣] سورة النحل: ٨٦. |
| [٦٧] البقرة: ٦٠. | [٥٤] سورة الأنبياء: ١١٠. |
| [٦٨] الأعراف: ١٦٠. | [٥٥] سورة طه: ٧. |
| [٦٩] آل عمران: ٤٧. | [٥٦] سورة الأعراف: ٢٠٥. |
| [٧٠] مريم: ٢٠. | [٥٧] سورة ق: ١٨. |
| [٧١] النمل: ٨٧. | [٥٨] سورة الأحزاب: ٣٢. |
| [٧٢] الزمر: ٦٨. | [٥٩] سورة طه: ٤٤. |
| [٧٣] الكهف: ٣٦. | [٦٠] سورة طه: ١٠٩. |
| [٧٤] فصلت: ٥٠. | [٦١] سورة مريم: ٢٩. |
| [٧٥] البقرة: ٣٦. | [٦٢] سورة النساء: ٩٦. |
| [٧٦] الأعراف: ٢٠. | [٦٣] سورة آل عمران: ٤٦. |

أ. زهير الأعرجي
باحث وكاتب/ العراق

إشكالية التعامل مع السلوك الجمعي

بخطبتي الصلاة وينصتون لها لاكتشاف المعاني والبيانات التي ي طرحها الإمام الخطيب. وفي المناسبات العامة، كالزواج وعموم الأفراح والوفيات، يقوم الناس بالتعبير عن مشاعرهم بشكل طبيعي يغلب عليه الجانب الفطري التكويني.

ففي تلك الحالات يتساءل المرء: ما هو دور المبلّغ في التأثير على الناس عندما يتجمعون في مكان واحد؟ وكيف يقوم المبلّغ باستثمار السلوك الجمعي من أجل إيصال رسالته إلى الآخرين؟ وما هو الأصل الشرعي في تحديد ضوابط السلوك الجمعي؟ وهل

يعيش المسلمون في إقامة شعائرهم العبادية سلوكاً متظافراً أشبه ما يكون بالسلوك الجمعي. ففي الأعياد الدينية، كالفطر والأضحى والغدير ومواليد النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام، يتجمع المؤمنون في المساجد والحسينيات لأداء الفرائض الخاصة بتلك الأعياد أو لاستماع المحاضرات والابتهالات والأناشيد الدينية. وفي مناسبات الأحزان، كعاشوراء ووفيات النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، يتجمع المؤمنون للبكاء والتعبير عن مشاعر الحزن العميق. وفي صلاة الجمعة يهتم المؤمنون

(١٠٠).

والأمة واحد فصاعداً، كما في قوله:
﴿إن إبراهيم كان أمةً قانتاً﴾ (سورة:
النحل ١٢١).

والتبليغ للإسلام هو دعوة للخير
بكل ما تحمله الكلمة من إطلاق،
وانحصار التبليغ بالمبليغين يعني تقييد
الدعوة إلى الإسلام بقيود العلم،
والقدرة على التأثير، والأمان من
المفسدة.

فمن شروط التبليغ:

أولاً: العلم بالمبادئ الأساسية
للدين الحنيف. وقد اتفق الفقهاء -
رضوان الله عليهم - أن من شروط
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو
العلم كي يأمن الغلط؛ لأن الجهل قد
يوقع في المحذور، وهو إعطاء بيانات
خاطئة عن العقيدة أو الحكم الشرعي،
بل قد يصل الموضوع في بعض حالات
الجهل إلى الأمر بالمنكر والنهي عن
المعروف. وهو ما لا يمكن القبول به
عقلاً ولا شرعاً. والعلم هنا من

السلوك يؤدي دائماً إلى نشر الإسلام
وتقوية إيمان الأفراد به؟ ومن أجل
الإجابة عن تلك التساؤلات نعرض
مقدمة حول شرعية السلوك الجمعي
وشروطه وأنواعه، ثم نقوم بدراسة
مختصرة حول دور المبلِّغ في الهداية
والإرشاد، من منظور السلوك الجمعي
الديني.

أ- شرعية التأثير في السلوك الجمعي

لا شك أن الدعوة إلى الإسلام،
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
واجبة وجوباً كفايئاً؛ بمعنى أنها تسقط
عن الآخرين إذا قام بها من كان فيه
غنى وكفاية. وبتعبير ثالث أن
التكليف متعلق بالجميع على معنى
الاجتزاء به من أي فرد منهم. ويقع
العقاب على الجميع مع ترك الفعل
أصلاً.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم
أمة يدعون إلى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك
هم المفلحون﴾. (سورة: آل عمران

التغيير تفهم فلسفياً على أن عدم الشرط هو شرط العدم.

ثالثاً: الأمان من المفسدة، وبتعبير أوضح: إن توجه المرشد الإسلامي نحو الجمهور بالخطابة والتبليغ والإرشاد ينبغي أن لا يؤسس لمفسده اجتماعية أو دينية من أي نوع. وأقصد بالمفسدة: الضرر الأخلاقي والاجتماعي في الدين والعرض والمال والنفس.

ب. شروط السلوك الجمعي الديني
ولو افترضنا أن السلوك الجمعي ظاهرة استثنائية في السلوك الإنساني، فإنه ليس كذلك في السلوك الديني. فالدين السماوي يحث المكلفين على التجمع وأداء الشعائر التعبدية بصورتها الجماعية. ويحثهم أيضاً على الحضور المكثف في ساحات العلم والتحصيل والمنافحات المعرفية والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويحثهم أيضاً على إعلان المسرات والأفراح، وإظهار الحزن

مسائل التأثير؛ لأنه يؤدي إلى رجوع الجاهل إلى العالم في أغلب الأحوال، على الصعيدين الديني والاجتماعي.

ثانياً: أن يكون قادراً على التأثير، فلو غلب ظنه أنه لا يؤثر، عليه أن يفسح المجال لفرد آخر له قدرة أعظم من قدرته، وقد نوقش في هذا الشرط باعتبار أن الأوامر مطلقة، ومقتضاها الوجوب على الإطلاق حتى في صورة العلم بعدم التأثير. ولكن خبر مسعدة عن أبي عبد الله عليه السلام أخذ حجة في هذا الحقل وهو "أنه لما سئل عليه السلام عما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم "إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر" قال: "هذا على أن يأمره بعد معرفته، وهو مع ذلك يقبل منه، وإلا فلا". [١]

فكان هذا الخبر والإجماع من مبررات وجوب شرط القدرة على التأثير. ولسان الدليل الشرعي ينسجم مع مقتضى الارتكاز العقلاني. فإن القدرة على التبليغ الفعال تعني القدرة على التأثير والتغيير. وإلا فإن عدم

الإلهية مشتملة على صيغة الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (سورة: البقرة ٤٣). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ...﴾ (سورة: الجمعة ٩).

وكذلك الأمر في بقية العبادات، كالصوم والجهاد ونحوها، وهذا يعني أن قسماً من العبادات يحمل تلك الصيغة الشرطية التي تؤدي إلى التجمع والاستقرار باطمئنان، كتفأ إلى كتف مع بقية المؤمنين.

ثانياً: الضغوط الذاتية: التي تنشأ من التهاب الوجدان العاطفي للمؤمن حول مأساة الطف بالخصوص، ومأساة أئمة أهل البيت عليهم السلام بالعموم. فتلك الحثيات الذاتية تدفع الأفراد المحبين لأهل البيت عليهم السلام بالتجمع لإحياء ذكراهم ونشر مناقبهم عليهم السلام. وكثرة الأخبار والروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام باستحباب البكاء

والآلام بالصورة الجماعية التي كان من أركانها إطعام الجماعة أو مساعدة الفقراء والمساكين، وعلى وجه التحديد فإن القسم الأعظم من السلوك الديني الخارجي سلوك جمعي فيما يخص العبادات والمعاملات بشكلها العام، وسلوك فردي فيما يخص النية والدافع نحو الأداء وبعض العبادات المختصة بالجانب الفردي.

ولما كان السلوك الديني سلوكاً جمعياً بهذا المقدار، فلا بد أن ندرس شروطه الموضوعية التي تفسر تكوينه وبناءه، ومن تلك الشروط:

أولاً: تركيبة الإلزام الديني؛ فلا يحصل السلوك الجمعي في العبادات والمناسبات الدينية ما لم تكن هناك إلتزامات دينية بالحضور والنشاط الجماعي. فإذا كانت صلاة الجمعة والجماعة واجبة بالمعنى الأعم، فلا بد أن يكون التجمع في المسجد وانتظار الصلاة مقدمة من مقدمات تلك الفريضة الواجبة. حتى إن الأوامر

للركاب مثلاً. فالهدفية هنا منتفية بانتفاء الموضوع.

ولكن السلوك الجمعي الديني يحصل عندما يدعى المكلفون لأداء صلاة العيد جماعة. فيكون الهدف من التجمع هنا هو أداء صلاة العيد، والسلوك الجمعي يحصل عندما يبكي الباكي على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام. في إحدى الحسينيات، فيبدأ الآخرون بالبكاء، وهم يستمعون إلى الخطيب يفصل في مفردات المأساة. فيكون الهدف من التجمع الحسيني ذكر أهل البيت عليهم السلام والتألم لمصائبهم ومحاولة الاقتداء بهم عليهم السلام.

خامساً: القيادة العملية: فالسلوك الجمعي يحتاج إلى قائد يرشده ويوجهه توجيهاً شرعياً صالحاً. وقد يتمثل القائد بإمام الجماعة في صلاة الجمعة والجماعة والعيدين، وقد يتمثل بالخطيب في مناسبات إحياء ذكرى آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد يتمثل بالمبلغ الذي يقود العمل الإرشادي في

والزيارة، تدل على أن جوهر التجمع لإحياء ماتم آل بيت النبوة عليهم السلام ديني المنشأ والأثر، حيث يتم فيه الإطعام والإرشاد وإتمام الحجة.

ثالثاً: الإحساس المشترك ووحدة الهوية ووحدة الانتماء المذهبي أو العقائدي: وهذا الشرط من الشروط المهمة في تشكيل السلوك الجمعي، إلا أنه ليس شرطاً مطلقاً، بل هو مقيد بطبيعة الشروط الموضوعية للتجمع. فقد يجتمتع حصول السلوك الجمعي بأكثرية لها انتماء موحد وأقلية مذهبية متناثرة بين تلك الأكثرية، فالدعوة إلى صلاة الجماعة قد يصاحبها إحساس مشترك بوحدة الهوية المذهبية، ولكن الدعوة إلى محاضرة إسلامية عامة يصاحبها إحساس مشترك بوحدة الدين لا وحدة المذهب.

رابعاً: الهدفية في التجمع: فالسلوك الجمعي الديني لا يحصل بمجرد تجمع مجموعة من الأفراد في ساحة ما، أو لا يحصل بمجرد تجمع الناس في حافلة

المعاصرون^(٣) على تصنيف السلوك الجمعي إلى ثمانية أصناف هي: الجمهور، والجماهير، والغوغاءية، والذعر الجماعي، والإشاعات، والهستريا الجماعية، والموضة والرأي العام. وقد بنى هؤلاء المفكرون نظرياتهم الاجتماعية على أساس استقراء الحالات الإنسانية التي تدعو الأفراد للتجمع والسلوك سلوكاً متشابهاً، أو موحداً إلى حد ما. ونستطيع نحن استقراء سبع حالات مشابهة لتلك التي اعتاد تصنيفها علماء الاجتماع. ونستنتج من ذلك أن الحالات المختلفة للسلوك الجمعي هي حالات إنسانية تكوينية يميل الأفراد إلى ممارستها عندما تتوافر الشروط اللازمة لذلك. ولنبدأ بعرض موجز لتلك الأنواع:

١ - الجمهور: وتعني اصطلاحاً اجتماع مجموعة صغيرة أو كبيرة من الأفراد بشكل متقارب فتنشئ تفاعلاً اجتماعياً له آثار فكرية على الفرد والجماعة، وأفضل أمثلتها جمهور

منطقته، وفي كل تلك الحالات يكون الأصل قدرة القيادة الدينية المحلية على تحريك الأفراد تحريكاً منسجماً مع أهداف الدين ورسالته في الحياة الاجتماعية.

وتلك الشروط في السلوك الجمعي الديني تختلف عن شروط نظرية "نيل سملسر" في السلوك الجمعي^(٢). فقد آمنت تلك النظرية بمقومات السلوك الجمعي التي يتشاطرها لون من الشغب والعنف والكراهية؛ بينما تكمن شروط السلوك الجمعي الإسلامي في كون الدين دين محبة وسلام، فيكون المقتضي سلاماً ومحبة، وتعاضداً وانسجاماً؛ لأن المقتضي رسالة إلزام بالتعاون والتكاتف والتآخي؛ ذلك لأن الدين السماوي يوفر الأجواء المناسبة لكل مقتضيات سلامة السلوك الجمعي الإنساني وتكاملها.

ج- أنواع السلوك الجمعي

وقد اعتاد علماء الاجتماع

المتعبدین لصلاة الجمعة والجماعة والعیدین، والجمهور الحسینی الذي يتفاعل مع آثار واقعة الطف، والجمهور المذهبي الذي يشارك في المناسبات المذهبية، والجمهور الثقافي الذي يشارك في الندوات والمحاضرات الإسلامية، والجمهور المحتشد في مناسبات كتلك يعتبر كياناً غير مستقر اجتماعياً، ولا يمتلك التركيبة الفكرية التي تجعله يتفاعل لفترة طويلة. ولكن التأثيرات عليه كبيرة جداً، فالاندفاع نحو الحضور والتجمع يعني انفتاح ذهن الإنسان الحاضر في ذلك التجمع نحو تقبل الأفكار والبيانات الموجهة له. وبتعبير آخر: إن استجابة الإنسان المندفع ليكون عضواً في ذلك الجمهور أكبر في باب التأثير، من الإنسان الذي لا يمتلك اندفاعاً نحو الحضور والمشاركة الفكرية أو الذهنية فيه، وهنا يأتي دور المبلّغ - خطيباً كان أو محاضراً أو إمام جمعة وجماعة - ليدخل تلك الأبواب المفتوحة في التأثير من

دون موانع ذهنية أو نفسية.

٢- الجماهير: وتعني اصطلاحاً مجموعة الأفراد التي تهمها نفس المشكلة الاجتماعية التي شغلت بال الجمهور، إلا أن أفرادها قد لا يجتمع بعضهم بالقرب من بعض؛ بينما يكون الجمهور في مكان واحد كالمسجد أو الحسينية أو قاعة المحاضرات، ولكن الأفراد المنضوين تحت راية الجماهير لا يعرف بعضهم بعضاً على الصعيد الشخصي، إلا أنهم يستجيبون لنفس المشكلة الاجتماعية بنفس التفكير والأسلوب. ومن الطبيعي فإن أهم أشكال عمل الجماهير هو تعبيرها عن رأي عام يوحد توجهاتها، وأفضل عمل للتأثير على الجماهير هو نشر الكتاب أو المجلة أو الصحيفة اليومية أو الكاسيت (الشريط الصوتي). فالجماهير تهمها نفس المشكلة الدينية التي تطرحها تلك الوسائل الفعالة في النشر والتبليغ والإرشاد والهداية. ولا شك أن عمق المشكلة الدينية عند شعوب العالم، واختلاف مستويات

منعه في التبليغ والإرشاد أولى. والسؤال الذي يطرح هنا هو: لو واجه المبلّغ أو المرشد أعمالاً من ذلك القبيل، فما هو تكليفه الشرعي؟ والجواب على ذلك يتم من جنبتين.

الأولى: الجنبه الفكرية: وهو أن يتخذ جانب الحكم الشرعي والارتكاز العقلاني بعدم تحريب ممتلكات الناس وملاحظة حرمة انتهاك أموال الأفراد وأنفسهم وأعراضهم.

والثانية: الجنبه العملية: وهو الرجوع إلى ولي أمره الفقيه المرجع الجامع للشرائط ليستلهم من إرشاداته ما يكون مناراً له في تحقيق العمل الشرعي.

٤ - الذعر والهستريا الجماعية: واصطلاحاً يعبر الذعر الجماعي عن شكل من أشكال السلوك الجمعي الذي يواجهه الناس فيه خطراً محققاً، فيتصرفون من وحي ذلك الخطر المحقق بهم تصرفاً مشوباً بالخوف

الأفراد في الفهم والتحليل، تجعل من جميع الوسائل الفكرية - المبسطة منها كالصحف والإذاعات والمعمقة كالكتب والمتون الفقهية والفلسفية - أدوات للتأثير الفكري والسلوكي على الأفراد.

٣ - الغوغائية: وهي في الاصطلاح: الجمهور المنفعل عاطفياً، والذي يؤدي انفعاله إلى أعمال عنف وتحريب. ومع أن أهداف هذا اللون من الجمهور محدودة وتركيبته الاجتماعية والفكرية غير مستقرة أصلاً، إلا أن سلوكه الغوغائي يعتبر من أخطر التحديات ضد النظام الاجتماعي والسياسي. وهذا السلوك لا يهمننا في التبليغ والإرشاد؛ لأن الإسلام لا يدعو الناس إلى تحريب ممتلكات الآخرين ونهبها. بل إن من شروط الجهاد الابتدائي المتضمن قتالاً وأسراً وسبياً هو أن لا يقطع شجرة ولا يحرق بيتاً، ولا يخرب ولا يتعرض للمدنيين ممن هم خارج ساحة القتال. وإذا كان ذلك ممنوعاً في الجهاد، فإن

محركة. وتكمن خطورة الإشاعة في أنها تسير سيراً متوازياً مع أخبار أجهزة الإعلام الرسمية أو شبه الرسمية. بل يعتبر انتشار الإشاعة شكلاً من أشكال نشاط الجماعة - بقصد أو دون قصد - لأن تأثير الإشاعة ذاته قد يسبب نوعاً من السلوك الجمعي.

فإذا كان الوضع الاجتماعي والسياسي متواتراً، فإن أي إشاعة قوية تخرس الجمهور على الخروج إلى المسرح الاجتماعي تحدياً للنظام السياسي؛ خصوصاً إذا كان ذلك النظام يحرم الأفراد من حقوقهم المشروعة في الحصول على معلومات صادقة. وتنتشر الإشاعات أيضاً كان الأفراد لا يثقون بحكومتهم ولا يعترفون بالمعلومات التي تقدمها لهم. وبكلمة، فإن الإشاعة هي البديل الإعلامي عن الخبر الصادق، في وضع اجتماعي محروم من استلام الأخبار الصادقة.

ولا شك أن تأثير الإشاعة على

والاضطراب والفورية، ويحصل هذا الذعر الجماعي عندما يضطرب العرف الاجتماعي المؤلف بسبب طروء حالة استثنائية كحرب مفاجئة، أو إعصار مدمر، أو زلزال مرعب، ويدخل في هذا اللون من السلوك الجمعي: الهستريا الجماعية، وهي لون من ألوان السلوك الفطري الذي يصاحبه قلق وحذر جماعي. وقد لاحظنا ذلك عندما استخدمت الأسلحة الكيميائية ضد الأبرياء العزل في الحروب. ومعالجة ذلك السلوك الجمعي يدخل ضمن إطار مسؤوليات الدولة، ولذلك فإن بحثه خارج عن إطار بحثنا هذا.

٥ - الإشاعات: وهي معلومات تنقلها جهات مجهولة بشكل منظم. وقد تكون صادقة وقد تكون كاذبة، وربما كانت خليطاً من الصدق والكذب. ولكن من الصعب معرفة منشئها، على عكس المعلومات التي تنشرها الأجهزة الإعلامية الرسمية حيث معلومية مصدرها وجهتها

شرعية أقوى من تسليح الناس بالعلم، والتبين تجاه أي قضية من قضايا التي يواجهونها، كما نستفيدة من محكم قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (سورة: الحجرات ٦). وتسليح الأمة بالمعلومات الصادقة ليس أمراً ميسوراً لكل وارد، بل يحتاج إلى أساليب علمية في مواجهة الحرب النفسية التي تتخذ من الإشاعة الكاذبة أصلب وقودها. فنحن نتهم من قبل بعض المذاهب بالكذب مثلاً لأننا نستخدم الرخصة الشرعية في التقية. والطريق الأمثل لمعالجة ذلك الاتهام الباطل هو شرح مفصل للجنبتين الفكرية والعملية لفكرة التقية. فالجنبه الفكرية هي شرعية التقية في الإسلام، والجنبه العملية تفصح عن معاناة أتباع البيت (ع) في التأريخ، ولولا استثمار تلك الرخصة الشرعية لاندرست آثار النبوة وانمحت تعاليم السماء.

إنشاء السلوك الجمعي يعتمد على قوة فكرتها، وعدد الأفراد الذين ينقلونها، والزيادات التي تضاف عليها، وموقف الأفراد العقائدي منها. ويختلف توجه الأفراد نحو الإشاعة أيضاً، بدرجات اختلافهم في تأييد النظام المذهبي أو الاجتماعي أو الاعتقاد بنظريته وصحة تطبيقاتها العملية.

وما يهمناهنا من موضوع الإشاعات هو كيفية معالجة الإشاعات المخربة ضد عقيدتنا ومذهبنا ودولتنا الشرعية من قبل المبلِّغ أو المرشد؟ فبعض الإشاعات تحمل على التشيع وتتهمه بالخروج عن الإسلام، وبعض الإشاعات تتهم الدولة الشرعية بمختلف التهم الباطلة، وبعض الإشاعات قد تسري إلى المبلِّغ أو المرشد نفسه، فتتهمه باتهامات باطلة. فكيف يتم معالجة الآثار التخريبية للإشاعة الكاذبة؟ لا شك أنه ليس هناك وسيلة

الاجتماعي في الدول الصناعية قد يعزى إلى سببين:

الأول: إن المؤسسات الصناعية الكبرى لها مصلحة اقتصادية عظيمة في تغيير المظهر الخارجي للأفراد فيما يخص الملابس والكماليات والحافلات، من أجل جني أكبر قدر ممكن من الأرباح.

الثاني: إن فكرة الموضة منسجمة مع تطلعات النظام الاجتماعي الطبقي؛ لأنّ اقتناء الأشياء الثمينة المتغيرة دوماً يعبر عن وسيلة من وسائل تشخيص الهوية الطباقية للفرد المقتني.

وتهمنا مشكلة الموضة هنا - في مجال التبليغ - من حيث إنها تستهدف التأثير الاجتماعي لثقافة الفرد الدينية. فالإذعان لتغيير المظهر الخارجي - من تصميم للأزياء أو طريقة معينة لقص الشعر - يعني باباً مفتوحاً لتغيير في العقيدة والالتزام والسلوك الشخصي.

وبكلمة، فإن محاربة الإشاعة الكاذبة لا يتم إلا بالعمل العلمي المخلص الجاد من أجل مقابلتها بالحقائق والوثائق الصحيحة. وهو جهاد شرعي في سبيل نشر الإسلام بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ لأنّ الحرب مع الأعداء اليوم ليست حرباً عسكرية، بل ولا حتى حرباً فكرية، بل هي حرب نفسية بالدرجة الأولى.

٦ - الموضة: وفي الاصطلاح هي: نظام خاص يصمم من قبل متخصصين لتغيير مظهر الفرد الخارجي، وما يتبعه من تأثير اجتماعي على سلوكه الفردي أيضاً. وتعتبر الموضة شكلاً من أشكال السلوك الجمعي؛ لأنها تفرض على الأفراد سلوكاً مشتركاً. ومن الطبيعي فإنّ الموضة لا تنشأ من فراغ أو عفوية، بل إن لها منشأً سياسياً واقتصادياً مرتبطاً بالفكرة الرأسمالية. والعرف الاجتماعي يقبل الموضة باعتبارها قضية مؤقتة تستبدل بعد فترة بتصميم آخر. وكون الموضة من أركان التغيير

٧- الرأي العام: اصطلاحاً هو: النظرة المشتركة التي تحمل اتفاقاً ضمناً للقضايا والمشاكل التي تهم الأفراد والمجتمع. وتلك النظرة المشتركة أقرب إلى النظرة العقلانية في المجتمع من نظرة الجمهور المتجمع في بقعة مكانية واحدة؛ لأن الأفراد الذين يشتركون في الرأي العام يفكرون ويعبرون عن مشاعرهم كأفراد مستقلين، لا كمجموعة واحدة، كما هو الحال في الجمهور، لكن قرارهم يخضع لنفس الضغوط الموجهة نحو الجمهور وسلوكه الجمعي.

ولا شك أن للرأي العام تأثيراً فعالاً على الاستقرار السياسي والاجتماعي للدولة الحديثة. ومن هذا المنطلق حاولت الحكومات المختلفة تنمية وسائل الإعلام الرسمية وشبه الرسمية؛ لتستطيع التأثير على الأفراد تماماً كما تستطيع الإيحاءات والإشارات التأثير على سلوك الجمهور المحتشد في مسجد من مساجد المدينة أو شوارعها. وتعبير

فثقافة أصحاب الشعر الطويل من أوروبا في الستينيات مثلاً أثرت على شباب العالم الإسلامي وجعلتهم أكثر انحلالاً في الأخلاق، وأكثر ابتعاداً عن دينهم ومعتقداتهم. والمرتمون في أحضان الغرب من المثقفين المسلمين اليوم يقفون من بعض عقائدهم موقف الحياء والخجل والاعتذار، كل ذلك يحصل بسبب المنهج العلمي لإفساد الشباب. فإن كان الشاب، مستعداً للتنازل عن ثقافته وتقاليده في المظهر الخارجي، فإنه لا يصمد لاحقاً أمام إغراءات تغيير جوهر شخصيته الفكرية والعقائدية.

ولو أجمنا مورد الموضة، لقلنا بأن المبلّغ أو المرشد إذا نجح في صد باب تقبل الموضة غير الشرعية عند المكلف، فإن أبواب البناء الثقافي والعقائدي والمذهبي ستكون مفتوحة كي يعمل عمله الهادف في بناء شخصية ذلك الإنسان المستهدف من قبل مختلف التيارات.

دور رئيسي خطير في نشر الإسلام وهداية الناس من خلال عنوان أكبر هو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الطبيعي، فإن افتراض كون الفرد يسلك سلوكاً مغايراً لسلوكه الفردي عند اجتماعه بالآخرين، له آثار إيجابية على تفعيل دور المبلّغ في عمله الشاق مع الناس. ومن أجل ذلك نقول: إن حث الإسلام على تضيق الفوارق النفسية بين السلوكين الفردي والجماعي، يحتاج إلى وقفة تأمل. فالدين يحث المكلفين على المشاركة في الأعمال الجماعية كصلاة الجماعة والجمعة والعيدين، والإنفاق الواجب والمستحب على الفقراء، ومساعدة الآخرين في قضاء حوائجهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على نطاق الجماعة.

والإسلام يشجع أيضاً اشتغال الفرد - ذاتياً - مع مولاه وخالقه سبحانه وتعالى. بمعنى أن الفرد الذي

أدق: إن المعلومات أو الآراء المعروضة في وسائل الإعلام إنما تعرض مع تصميم وقصد مسبق لإقناع الجمهور بتبني تلك الآراء، بغض النظر عن ارتكازها الواقعي، ودون الاكتراث لحرية الأفراد واستقلاليتهم في انتخاب ما يشاءون من أفكار ومواقف خاصة بهم.

والتأثير على الرأي العام من قبل المبلّغ أو المرشد الديني مهم جداً، لكنه يحتاج إلى جهود جبارة تتجاوز الجهود الفردية المشتتة. بل تحتاج إلى جهود منظمة مع إمكانيات هائلة. فالكتابة في الصحف والمجلات، وتقديم برامج في الإذاعة والتلفزيون، وإلقاء خطب الجمع والجماعات كلها تساعد الأمة على تصميم رأي عام منسجم مع أهداف الشريعة.

دور المبلّغ في الإرشاد
إن دور المبلّغ أو المرشد الديني في الهداية والإرشاد - من منظار السلوك الجمعي - ليس دوراً ثانوياً، بل هو

نحدد الأهداف العملية للمبلِّغ أو المرشد في تنمية عمله التبليغي وتكامله، عبر النقاط التالية:

أولاً: الاهتمام بتنمية النية الخالصة والقصد السليم في تأدية العمل عند المخاطب. فالأفراد الذين يتمون إلى الجماعة يمارسون في الواقع سلوكاً جمعياً في تأدية العبادات أو الاستماع إلى الإرشادات والبيانات الدينية، إلا أنهم في الوقت ذاته يرجعون إلى أنفسهم - كل على انفراد - في النيات والمقاصد. فقد يأتي الفرد لاستماع محاضرة دينية أو خطبة تعبدية، ونيته التسليم للمنطق الحق والدليل القوي. وقد يأتي فرد آخر بنفس الهيئة، ولكن بمقاصد أخرى ونيات مختلفة، كالجدال أو الرياء أو المنفعة الشخصية، فيكون اهتمام المبلِّغ بتنقية نيات الأفراد المخاطبين وانفتاح قلوبهم نحو سماع الحقيقة، من أهم أعماله التبليغية. فإننا لا نستطيع أن نربط الحافز النفسي نحو الحضور بالسلوك الديني، ونهمل في الوقت

يعيش حالة القرب من الله عز وجل بالدعاء والابتهاال والصلاة، إنما يعيش سلوكاً أقرب إلى السلوك الجماعي مما هو إلى السلوك الفردي. ولذلك، فإن الجانب الروحي يعتبر من أهم عوامل تهذيب شخصية المكلف لئلا يعيش حالة الانفراد الخطيرة، التي شخّصها الدعاء المأثور عبر سؤال المؤمن خالقه العظيم: "ولا تكني إلى نفسي طرفة عين أبداً". وفي موضع آخر: "يا رب أسألك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسائك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة"^(٤).

وتلك المفاهيم الرائعة ذات قيمة أخلاقية عليا على المستوى النظري العام.

ولكننا نود هنا أن نتعامل مع السلوك الجمعي للمخاطبين الذين يأمل المبلِّغ أو المرشد هدايتهم أو تثبيت عُرى الإيمان في قلوبهم ومشاعرهم. ومن أجل ذلك لا بد أن

قبول الحق أو التغيير الذاتي أو أداء العمل الذي يترتب على قبول الحق.

ودور المبلِّغ هنا تشكيل "انطباع" واقعي في ذهن المخاطب عن الحقيقة التي يتحدث عنها. فإذا كان يتحدث عن الشفاعة، فلا بد له من التأكيد على مبررات إسقاط العقوبة عن المؤمن المذنب؛ وإذا كان يتحدث عن الحرية السياسية، فلا بد له من خلق انطباع عن حجم الإكراه الذي كان يتعرض له أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام. من قبل الحاكم الظالم؛ وإذا كان يتحدث عن الاجتهاد، فلا بد له من خلق انطباع عن اهتمام الشريعة الخالدة بتغيرات الزمان والمكان.

ولا شك أن فهم مبررات الإيمان بتلك العقائد، يقوي في ذات الوقت الدافع الامتثالي عند المكلف، فينصهر عندها مع توجهات المبلِّغ أو المرشد الديني.

ثالثاً: إن الاهتمام بالفرد المخاطب من قبل المبلِّغ ينبغي أن لا يؤدي إلى

ذاته دور النية في الاندفاع نحو تأدية العمل الشرعي الأولي. فإذا خلصت النية ونقى المقصد انفتح القلب لاستماع الحقيقة والإنصات للدليل. أما إذا لم نتأكد من نقاء النية وسلامتها، فإننا لا نستطيع الاستمرار في العمل الإرشادي الموجه تجاه ذلك الإنسان.

ثانياً: لا بد من تنمية الدافع الامتثالي لأمر المولوي عند المخاطب. فمجرد الاندفاع نحو أداء الأعمال العادية كالحضور والاستماع والخدمة، باعتبار أنها قضايا اجتماعية لا يؤدي دوراً في القضايا التبليغية. بل لا بد من تنشيط الجانب المعنوي عند المخاطب، وتنمية دافع الامتثال للأوامر الإلهية التي تحدث بلغة الفطرة الإنسانية وتدخل في أعماقها.

وهذا الأمر مرتبط بالنية في الأصل. فلولا وجود النية الخالصة للعمل قربة إلى الله تعالى، فلن يتحقق الدافع الذاتي السليم للإنصات أو

تعبّر عن مطلق الشر. وتعبير آخر: إن تحمل المسؤولية الأخلاقية في المساعدة الاجتماعية من قبل أحد الأفراد سوف يحرك البقية نحو تحمل مسؤولياتهم الاجتماعية أيضاً في مساعدة الآخرين. وهذا المعنى له جمالية فائقة، خصوصاً إذا استطعنا بناء نفس اجتماعية عند كل إنسان. فإذا كانت النفس الاجتماعية تدعو إلى العلم والبحث عن الحقيقة، فقد ربحتنا في إرشاد الناس نحو طلب العلم بصورة جماعية. وإذا كانت النفس الاجتماعية تدعو إلى مساعدة الآخرين والتآزر والتعاقد من أجل الخير العام ومنع الفتنة، ربحتنا أيضاً في دعوتنا لتثيت أسس التعاون والسلام بين الناس. وإذا كانت النفس الاجتماعية تظهر الولاء لأهل البيت عليهم السلام بالخصوص والإسلام بالعموم، فقد فرنا ببناء الأمة على أسس الحق والعدالة.

ونستطيع القول باطمئنان بأن النفس الاجتماعية الموالية لأهل

إهمال النفس الاجتماعية التي يملكها المخاطب. ونعني بفكرة النفس الاجتماعية أن شخصية الإنسان تتأثر إلى حد بعيد بالسلوك الاجتماعي لبقية الأفراد. فإذا رأى الإنسان مجموعة من الأفراد يساعدون الآخرين، فإنه قد يتأثر بسلوكهم وينخرط في صفوفهم ويقوم بنفس العمل الذين كانوا يقومون به. فالإنسان لديه نفس اجتماعية لمساعدة الآخرين. ونستفيد من المشهور من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله دور النفس الاجتماعية في عمل الخير. فقد دخل المسجد فقير يسأل الناس، فحثهم صلى الله عليه وآله على مساعدته بالقول: "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" ^(٥).

والسنة الحسنة في لسان الدليل غير مقيدة بالإنفاق، بل هو مطلق الخير. وكذلك الحال في السنة السيئة، التي

البيت ﷺ تعتبر من أكثر الأنفس البشرية كمالاً في العطاء والمحبة والتعاقد خلال أيام المناسبات كوفيات المعصومين ﷺ أو استشهادهم بدءاً برسول الله ﷺ. فالبذل في البكاء، والامثال وللأعمال التعبديّة، والبلاغة في التعبير الخطابي، والإطعام كلها تعبر عن تكامل تلك النفس الاجتماعيّة المتأثرة بمصائب أهل بيت النبوة ﷺ.

رابعاً: ومن واجبات المرشد الروحي تأسيس الانسجام النفسي بين أفراد الجماعة. فالحقائق الدينيّة لا يمكن بناؤها في أذهان الناس إلا بمساعدة الآخرين. ولا يتم ذلك البناء الذهني للحقائق الدينيّة إلا عن طريق الانسجام النفسي بين الجماعة. فحن لا نستطيع فهم عقيدتنا في الخلق والتكوين والحياة لاجتماعيّة إلا عن طريق رسائل يحملها المبلّغون والدعاة إلى الله والخطباء والعلماء والفقهاء إلينا. وليس للفرد طاقة نفسية فردية

مجردة قادرة على استيعاب كل الحقائق الدينيّة دفعة واحدة. فالأحكام الشرعيّة مثلاً لا بد أن يستنبطها الفقيه من أجل إيصالها على المكلفين؛ والعقائد الدينيّة لا بد أن يجتهد المكلف في تحصيلها من الطرق الفكرية المعهودة؛ والأخلاق لا بد أن يمارسها الفرد عن طريق العلم بقضايا الخير والشر. وتلك الوسائل مجتمعة تساهم في بناء الفكر الديني في ذهن الإنسان. ولكن لا يمكن للفكر الديني أن يستقر في ذهن المكلف ما لم يتفاعل مع أفراد الجماعة من خلال التلقي والاستماع والمحادثّة والمخاطبة والنقاش. ولا تظهر آثار ذلك التفاعل إلا عن طريق وجود انسجام نفسي واجتماعي بين الناس.

ولا شك أن بث العلم الديني، واستخدام الأساليب الأخلاقيّة في التعامل مع الآخرين يؤسسان أركان الانسجام الاجتماعي النفسي بين ثنايا الجماعة. فالدين يشجع الأفراد على التعاون والتكاتف والمؤاخاة بما يحقق

الانسجام داخل تلك الجماعة المتدينة. إن عمق الانسجام الاجتماعي الذي ينبغي أن يستشعره الفرد خلال عمل المرشد أو المبلِّغ، يمكن أن يقاس بمقدار شعور ذلك الفرد بعدم انسلاخه عن بقية الأفراد الذين يتعامل معهم؛ لأن الانسلاخ أو الاغتراب الاجتماعي يعني محاولة داخلية من قبل المغترب لرفض ما يجري داخل المسجد أو الحسينية أو مكان التجمع. وبتعبير ثالث: إن الفرد المنعزل اجتماعياً عن الحضور أو التفاعل يعلم في داخله أن المجتمع لا يكافئه مكافأة روحية أو فكرية تساعده على الاندماج روحياً ومذهبياً مع الآخرين، وعلى الانضمام للسفينة الدينية أو الاجتماعية الماخرة في عباب الزمن. ولذلك فإن المنعزل اجتماعياً يغلق كل الأبواب الذاتية للتأثر والاقتناع والتغير.

خامساً: ومن خصائص المرشد الروحي أو المبلِّغ هو القدرة على

الإقناع. وفكرة الإقناع تعني القدرة على التأثير الحتمي المحقق للمخاطب. ويتمحور الإقناع حول الأسئلة الثلاثة التالية: من الذي يخاطب من؟ وماذا يقول؟ وما هو التأثير؟.

ويطرح الخبراء الاجتماعيون دائماً بعض الأسئلة المهمة في حقل الإقناع، وهي: ما هي الظروف الموضوعية التي تسبب تغيير اتجاهات الأفراد ومواقفهم واعتقاداتهم وسلوكهم؟ وكيف نؤمن بأن ذلك التغيير كان - واقعاً - تغييراً حقيقياً وليس تغييراً سطحياً ظاهرياً يفتقد المعنى والجوهر؟ لا شك أن المبلِّغ أو المرشد الروحي ينبغي أن يتسلح بالقدرة على تغيير مواقف الأفراد وآرائهم، وهذا المقدار يعبر عن جوهر الإقناع الحقيقي. فنحن نتعرض يومياً إلى محاولات اجتماعية عديدة للتأثير علينا في التفكير والشعور والسلوك. وتلك المحاولات تهدف إلى إقناعنا بقبول أو رفض سلوك معين وتفكير محدد. ومن

أجل أن يحقق أهدافه في الإقناع - أن يجمع بين الخبرة، والثقة الممنوحة له، والمنزلة العلمية والاجتماعية، والجاذبية الخارجية. وأن تكون الرسالة التي يحملها جامعة لكل معاني الجذب العقلاني والعاطفي، والأسلوب الفصيح، والموضوعية في طرح الإيجابيات والسلبيات، وأن يكون المخاطبون على درجة من الاستعداد لتقبل المعلومات والإيضاحات الواردة من أجل الاقتناع.

ولا شك أننا نضع القرآن المجيد منار هداية لنا في صياغة فلسفتنا حول التبليغ والهداية، ونضع الأخبار الواردة عن أهل بيت النبوة ﷺ منار هداية لبرنامجنا العملي الذي نطمح أن نحقق من خلاله كل ما نصبو إليه. يقول سبحانه وتعالى حول خصائص التبليغ:

﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله

الطبيعي فإن الإقناع لا يتحقق ما لم يتم تغيير مواقف الأفراد المراد إقناعهم في بعض مباني العقيدة، والقضايا العاطفية الداخلة فيها، ونية هؤلاء المخاطبين وقدرتهم على الاستجابة للمحفزات الخارجية.

وعندما نصيغ مواقفنا تجاه الأشياء والأشخاص والظواهر الخارجية التي من حولنا، فإننا نحتاج إلى معلومات يقدمها لنا الآخرون. ولذلك فإن من أهم وسائل الإقناع لتثيت مواقفنا أو تغييرها هو كمية المعلومات الواردة في أذهاننا من المصادر الفكرية الخارجية، ومن الاعتبار بسلوك قادتنا ونزاهتهم، ومن نظامي الثواب والعقاب المدرجين على لوح الدين الحنيف. وما نريده من إقناع المخاطبين هو تصحيح المعلومات الخاطئة التي حملوها في فترات حياتهم، وتطبيق أحكام الشريعة على حياتهم الاجتماعية والشخصية.

وبكلمة، فإن على المبلِّغ - ومن

وكفى بالله حسيباً ﴿ (سورة الأحزاب: آية ٣٩).

والثاني: عن الإمام الصادق عليه السلام: "ليست البلاغة بحد اللسان، ولا بكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى وقصد الحجة" (٧).

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ (سورة الأحزاب: آية ٤٥).

إن تعامل المبلّغ أو المرشد الروحي مع السلوك الجمعي يفترض أن يكون تعاملًا علمياً ومدروساً يستلهم من الشريعة وأحكامها مبانيه الدينية، ومن الارتكاز العقلاني مبانيه الفكرية والفلسفية. والحمد لله رب العالمين.

﴿وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين﴾ (سورة النور: آية ٥٤).

﴿فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ (سورة النساء: آية ٦٣).

الهوامش:

[١] "الوسائل" باب ٢ من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج ١، ص ٤٠٠.

ومن المشهور عن آثار النبوة والولاية، نعرض هذين الخبرين:

[٢] راجع كتاب "الأبعاد الاجتماعية لفريضة الحج" للمؤلف. قم المشرفة: ١٤١٥هـ؛ ونيل سملسر "نظرية السلوك الجمعي" نيويورك، المطبعة الحرة، ١٩٦٢م.

الأول: "عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً...﴾ (سورة

[٣] هادلي كانتريل، "سيكولوجية الحركات الاجتماعية"، نيويورك، وايلي، ١٩٦٣م؛ وغوستاف لوبون، "دراسة في العقل الجمعي"، نيويورك، فيكنك، ١٩٦٠م؛ وجون دولارد ونيل ميلر، "الشخصية والعلاج النفسي" نيويورك، ماكرو هيل، ١٩٥٠م.

الأحزاب: آية ٤٥)، وكان عليه السلام قد أمر علياً عليه السلام ومعاذاً أن يسيرا إلى اليمن فقال عليه السلام: انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، فإنه قد أنزل عليّ ﴿يا أيها النبي...﴾ (٦) وشهرة الحديث جابرة للسند.

[٤] من دعاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام علمه

- [٦] الدر المشور، ج٦، ص٢٠٦.
[٧] تحف العقول، ص٢٣٠، بحار الأنوار،
ج٧٨، ص٢٩٢.
- كميل بن زياد، "مفاتيح الجنان" ص١٧٣.
[٥] مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري،
حديث ٥٣٣.

د بلال فالح صيهود

دكتوراه هندسة ميكانيكية ودكتوراه في القانون،

باحث وكاتب في الاقتصاد والطاقة

إشارات الامام الرضا عليه السلام الاقتصادية

المستخلص

للنبي الاكرم في الذي خاض بمختلف العلوم لاسيما الأمور الاقتصادية، حيث أشار الامام الرضا عليه السلام الى كثير من القضايا الاقتصادية منها الحث العمل وكما قام هو بنفسه بزراعة شجرة في دعوة منه كي تسير الامة على نهجة عليه السلام وكما بارك وشجع التجارة في خطوة مهمه لتحريك الاقتصاد وبالتالي خلق فرص للعمل وتقليل البطالة الذي يعني تقليل الفقر لدى الناس.

ان الائمة عليه السلام هم معدن العلم الذي قال عنه رسول الله انا مدينة العلم وعلي بابها، والائمة هم الامتداد الطبيعي والسموي للإمام علي عليه السلام، فكانوا باب لمدينة العلم، فهم كانوا عاملين غير معلمين كأهمم الزهراء عليه السلام فهم علماء في كل شيء، لانهم عدل القران الذي لم يفرط في شيء وكذلك هو تبيان لكل شيء، وهم أيضا القران العملي والقران هو النظري، واحد أولئك الائمة هو الامام الثامن الامام الرضا عليه السلام الذي مثل الامتداد السماوي

المقدمة

مفهوم الاقتصاد الإسلامي

الاقتصاد لغة هو: التوسط والاعتدال واستقامة الطريق^(١). قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩] أي توسط فيه بين الדיب والإسراع، وقال تعالى: ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦] أي من أهل الكتاب أمة معتدلة فليست غالية ولا مقصرة.^(٢)

وهذا المعنى «أي التوسط في الأشياء والاعتدال فيها» هو مضمون علم الاقتصاد وجوهره، والهدف الذي يقصد إليه، وهو ما نصت عليه الآيات القرآنية في العديد من المواضع. كقوله تعالى: ﴿وَالْمُذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

واصطلاحاً هو مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي تحكم نشاط اقتصاد للدولة الإسلامية التي وردت في نصوص القرآن والسنة

النبوية، والتي يمكن تطبيقها بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان.

الاقتصاد الإسلامي:

الإسلام قرر أصول الاقتصاد منذ بداية التشريع الإسلامي، وكانت حياة الرسول انموذجاً حياً لتطبيق هذا التشريع الذي استمر على نهجه أئمة أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً الامام علي عليه السلام من بعده.

كان النظام الاقتصادي للدولة الإسلامية في مكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أساس إشباع حاجات فقراء المسلمين، وكان يستلزم الأمر في ذلك الحين ضرورة الحصول على الأموال اللازمة للإنفاق من أجل تحقيق هذا الهدف وكان يكتفي في ذلك الوقت بالأموال التي يتبرع بها الصحابة للإنفاق منها على فقراء المسلمين، ولم تكن الزكاة إجبارية بل كانت طوعية واختياراً وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه واله وسلم إلى المدينة أخذ شكل الدولة الإسلامية

للدوران.

٣- الملكية الخاصة: يحمي النظام الإسلامي الملكية الخاصة، فمن حق الأفراد تملك الأرض والعقار ووسائل الإنتاج المختلفة مهما كان نوعها وحجمها، بشرط أن لا يؤدي هذا التملك إلى الإضرار بمصالح عامة الناس، وأن لا يكون في الأمر احتكاراً لسلعة يحتاجها العامة، وهو بذلك يخالف النظام الشيوعي الذي يعتبر أن كل شيء مملوك للشعب على المشاع.

٤- الملكية العامة: تظل المرافق المهمة لحياة الناس في ملكية الدولة أو تحت إشرافها وسيطرتها من أجل توفير الحاجات الأساسية لحياة الناس ومصالح المجتمع، وهو يخالف في ذلك النظام الرأسمالي الذي يبيع تملك كل شيء وأي شيء.

٥- الصدقات والأوقاف: وتعد الصدقات والأوقاف من خصائص الاقتصاد الإسلامي التي تعمل على تحقيق التكافل الاجتماعي، وتغطية

يظهر بوضوح، وازداد عدد المسلمين، ونزلت الآيات التي أوجبت على المسلمين الزكاة في أموالهم، وتولت السنة النبوية بيان الشروط التي يجب توافرها في المزكي وفي المال نفسه.

القواعد الاقتصادية:

هناك كثير من القواعد المهمة في الاقتصاد الإسلامي وهي:

١- المشاركة في المخاطر: وهي أساس الاقتصاد الإسلامي وعماده، وهي الصفة المميزة له عن غيره من النظم فالمشاركة في الربح والخسارة، هي قاعدة توزيع الثروة بين رأس المال والعمل، وهي الأساس الذي يحقق العدالة في التوزيع.

٢- موارد الدولة: لا ينفرد هذا النظام عن غيره في هذا الباب إلا في وجود الزكاة كمورد ينفرد به الاقتصاد الإسلامي وهي أشبه شيء بالضرائب، لكنها ضرائب على المدخرات، لتشجع على الإنفاق بدلا من الكثر مما يدفع عجلة الاقتصاد والإنتاج

حاجات الفقراء في ظل هذا النظام.

المحظورات في النظام الاقتصادي الإسلامي:

١- تحريم الربا: الربا محرم في الإسلام. بنوعيه ربا الفضل وربا النسيئة. قال تعالى: ﴿...وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ البقرة ٢٧٥

٢- تحريم الاحتكار: وهو محرم من السنة والأحاديث النبوية الشريفة، لما فيه من الإضرار بمصالح العامة والاستغلال لحاجاتهم، وما يتسبب فيه من قهر للمحتاج، وربح فاحش للمحتكر.

٣- تحريم الاتجار في القروض: القروض هي إحدى صور المال. فلا يجوز الاتجار به، إذ أن المال لا يباع ولا يشتري.

٤- تحريم بيع ما لا يمتلكه الفرد - وذلك لمنع المخاطرة أو المقامرة.

٥- تحريم بيع الغرر، وبيع الغرر هو بيع غير المعلوم، مثل بيع السمك في الماء، أو أنواع المقامرة التي نراها

منتشرة في مسابقات الفضائيات وشركات الهواتف، اتصل على رقم كذا لتربح أو أرسل رسالة لتربح، وهي كلها من صور المقامرة التي حرمها الله عز وجل.

٦- تحريم الاتجار في المحرمات، فلا يجوز الترحيح من ما حرم الله عز وجل، من التجارة في الخمر أو المخدرات أو الدعارة أو المواد الإباحية المختلفة، وغيرها من المحرمات، لأنها لا تعتبر مالا متقوماً في الإسلام.

٧- تحريم بيع العينة، وهو شكل من أشكال التحايل على الربا، حيث يقوم الفرد بشراء شيء ما من شخص على أن يتم السداد بعد مدة، ثم يقوم ببيعها مرة أخرى إلى صاحبها بسعر أقل من الذي اشتراه به فيقبض الثمن، ثم يعود بعد المدة المتفق عليها ويقوم بدفع المبلغ الذي يكون أكثر من المبلغ الذي قبضه، فيكون هذا ظاهره بيع وباطنه ربا، فحرمه الإسلام جهوراً، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا تَبَّأَيْعْتُمْ

ينبغي أن يتعد كتاب الاقتصاد الإسلامي عن المناقشات والخلافات الفقهية.

٤- التوازن: ينبغي أن يكون الكتاب متوازناً في عرضه للموضوعات الاقتصادية والإسلامية، فلا يغلب الجانب الاقتصادي الوضعي على الإسلامي، ولا يغلب الجانب الفقهي على الاقتصادي.

٥- مراعاة الواقع: ينبغي أن يكون كتاب الاقتصاد الإسلامي واقعياً وليس خيالياً، بحيث يعرض أمثلة من الواقع التطبيقي، ويسهم في معالجة المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها الأمة الإسلامية.

٦- الاستعانة بأدوات التحليل الاقتصادي: ينبغي أن يستخدم كتاب الاقتصاد الإسلامي أدوات التحليل الاقتصادي النافعة والمفيدة لخدمة القضايا الاقتصادية الإسلامية.

٧- البعد عن الأسلوب الوعظي

بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجَهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَيَّ دِينِكُمْ) رواه أحمد وأبو داود.

معايير المرجع النموذجي للاقتصاد الإسلامي^(٣)

في دراسة سابقة للباحث تم التوصل إلى وضع عدد من المعايير والخصائص التي يجب التمسك بها عند وضع أو اختيار المرجع النموذجي في الاقتصاد الإسلامي، وهذه المعايير هي:

١- الشمول: ينبغي أن يكون كتاب الاقتصاد الإسلامي شاملاً لجميع موضوعات الاقتصاد الإسلامي المتفق عليها.

٢- الأصالة: ينبغي أن يكون الكتاب أصيلاً يشتمل على إضافات علمية، بحيث يضيف لبنات جديدة إلى صرح الاقتصاد الإسلامي.

٣- البعد عن المناقشات الفقهية:

العاطفي: ينبغي أن يكون كتاب الاقتصاد الإسلامي كتاباً علمياً موضوعياً يعتمد التبريرات العلمية الكافية والخطط العملية الواقعية، ويتعد عن الوعظ العاطفي المثالي.

٨- تنوع المصادر: ينبغي أن يستعين كتاب الاقتصاد الإسلامي بالمصادر الأصيلة والحديثة ويرجع إلى مختلف المصادر التي يمكن الوصول إليها لخدمة قضايا الاقتصاد الإسلامي.

أهمية البحث:

تبدو أهمية البحث في محاولة تتبع الأفكار الاقتصادية التي نثرها الامام الرضا عليه السلام الروايات، حيث ان الامام اهتم في مختلف المجالات لكن نود الإشارة الى خصيصة لم تلقى الاهتمام الكافي وهي الجانب الاقتصادي عند الامام، لقد كتبت عدة بحوث وكتب ومقالات في موضوعات أخرى. فيأتي هذا البحث كمحاولة لتتبع ودراسة الامام الرضا عليه السلام الاقتصادية، وهو ما سيساعد على اكتشاف جذور الفكر

الاقتصادي الإسلامي المعاصر، وإيضاح معالم تطور هذا الفكر عبر العصور التاريخية المتعاقبة، وإغناء علم الاقتصاد الإسلامي المعاصر وتوسيع مجالاته وتطبيقاته، فضلاً عما سيقدمه من تجارب إلى المفكرين الاقتصاديين المعاصرين، وخاصة في الجوانب المتعلقة بالسياسة الاقتصادية والمالية العامة.

مشكلة البحث:

تبدو مشكلة البحث عبر النقاط الآتية:

١- إن عدم التوسع في الدراسات الفكرية الاقتصادية الإسلامية مع الأيام؛ لتضم رجالاً آخرين ومؤلفات أخر، جعل الدراسات حول هذه الموضوعات تتسم بالتكرار الممل أحياناً، والإعادة التي لم تضيف شيئاً إلى سابقتها أحياناً أخرى.

وابن سينا كان بعيداً عن كل تلك الدراسات السابقة، مما جعل البحث في فكره الاقتصادي بحثاً يتسم بالجدّة

السياسات الاقتصادية والاجتماعية.

حدود البحث

يقتصر البحث على استنباط أهم الأفكار الاقتصادية عند الامام الرضا عليه السلام عبر خطبه واقواله وافعاله.

منهج البحث

اعتمد الباحث المناهج الاستقرائية والاستنباطية والتحليلية، عبر تتبع النصوص أو الجمل في اقوال وافعال الامام الرضا عليه السلام، وقراءتها بعمق، وتحليلها، من أجل استنباط صيغ أو أفكار اقتصادية.

العلم عند الائمة وعند الامام

الرضا عليه السلام

علم اهل البيت

يقول الله تعالى في محكم آياته:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَبْدُونَ بِأَمْرِنَا
وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَابِدِينَ﴾. (٤)

إن الإمامة الإلهية هي مشروع

والبعد عن التكرار في الدراسات الفكرية الاقتصادية الإسلامية.

٢- إن البعد الزماني والمكاني (بلاد فارس) والنوعي لهذه الدراسة، مهمه جدا حيث انتقلت مقر الدولة العباسية من بغداد الى خراسان.

فيمكن صياغة مشكلة البحث بالسؤال الآتي: ما مدى إسهامات الامام الرضا عليه السلام في المجال الاقتصادي؟

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:.

١- بيان أهم الأفكار الاقتصادية التي بثها الامام الرضا عليه السلام في كتبه.

٢- ذكر آراء الامام الرضا عليه السلام حول الحاجات الاقتصادية.

٣- بيان آراء الامام الرضا عليه السلام حول فروع النشاط الاقتصادي.

٤- إيضاح الآراء الاقتصادية التي قدمها الامام الرضا عليه السلام حول

كبير، ومنصب رفيع أقامه الله تعالى للوصول بالناس إلى الهداية، والقيّم على هذا المشروع هو الإمام عليه السلام ومن اللازم على من نصّبه الله تعالى لهداية البشر أن يكون أهدى الناس، وأعلمهم بطرق الهداية، بل لا بد أن يتميز الإمام بعلم خاص كله هداية ونور دون شائبة من ظلام لأنه باب العلم، كما عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».^(٥)

في حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إن أهل بيتي الهداة بعدي أعطاهم الله فهمي وعلمي، وخلقوا من طينتي، فويل للمنكرين حقهم من بعدي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنا لهم الله شفاعتي»^(٦).

المحور الثاني: مصادر علم أهل البيت المصدر الأول: العلم الموروث

وهو العلم الذي يتلقاه الأئمة عليهم السلام بواسطة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهو المعبر عنه في الروايات بالعلم الموروث

او السلسلة الذهبية، وهو يشمل العلم بالكتاب المجيد كلّه والذي هو تبيان لكل شيء، والعلم بالسنة الشريفة بتمام تفاصيلها ودقائقها، والعلوم التي أنزلها الله عز وجل على أنبيائه من لدن آدم عليه السلام إلى نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله، فقد جمعت في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمها رسول الله صلى الله عليه وآله وصيّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومن الاحاديث الدالة على ذلك هو ما ورد بسندٍ معتبر عن ابي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت: (جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علّم عليّاً عليه السلام باباً من العلم يُفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال عليه السلام: يا أبا محمد علّم رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً ألف باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب، قلت هذا والله العلم، قال: فنكت ساعةً في الأرض ثم قال عليه السلام إنه العلم وما هو بذاك، قال: ثم قال عليه السلام: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يُدرّهم ما الجامعة، قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول

أزعم أن فيه قرآناً.. (٨)

ومنها: ما ورد بسندٍ معتبر عن أبي رئاب عن أبي عبيدة قال: (سأل أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر قال: هو جلد ثور مملوءٌ علماً، قال له: فالجامعة؟ قال عليه السلام: فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش). (٩)

المصدر الثاني: مصحف فاطمة

من مصادر علم أئمة أهل البيت عليهم السلام هو مصحف فاطمة عليها السلام وهو كتاب بحجم القرآن ثلاث مرات، إلا أنه ليس قرآناً.

ومنشأ تسميته بمصحف فاطمة عليها السلام هو أن مضامين هذا الكتاب كان قد تلقته فاطمة عليها السلام بواسطة الملك الذي يُحدّثها، فهو إذن من حديث الملك وخطّ علي عليه السلام.

وقد ورد في ذلك روايات مستفيضة، وفيها ما هو معتبر سنداً.

منها: ما ورد بسندٍ معتبر عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال

الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلقٍ فيه وخطّ عليٌّ بيمينه، فيها كلُّ حلالٍ وحرامٍ وكلُّ شيءٍ يحتاج إليه الناس حتى الأرض في الخدش، وضرب بيده إليّ فقال تأذن لي يا أبا محمد، فقلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، فغمزني بيده فقال عليه السلام: حتى أرش هذا - كأنه مغضب - قال: قلت: هذا والله العلم، قال عليه السلام: إنه لعلم وليس بذاك، ثم سكت ساعة ثم قال عليه السلام: وإنّ عندنا الجفر، وما يُدرّهم ما الجفر، قال: قلتُ وما الجفر؟

قال عليه السلام: وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم الأنبياء الذين مضوا من بني إسرائيل.. (٧)

ومنها: ما ورد بسندٍ معتبر عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إنّ عندنا الجفر الأبيض، قال: فقلت: فأيّ شيءٍ فيه قال عليه السلام: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصُحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة ما

الإمام الصادق عليه السلام: (وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يُدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام، قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم..)".

المصدر الثالث: هو تحديث الملائكة

من مصادر علم الأئمة عليهم السلام هو تحديث الملائكة لهم، وقد نصّت على ذلك روايات مستفيضة وفيها ما هو معتبر سنداً.

منها: ما ورد بسند معتبر عن محمد بن إساعيل قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الأئمة علماء صادقون محدّثون.

ومنها: ما ورد بسند معتبر عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر عليه السلام: (إن عليّاً كان محدّثاً، فخرجت إلى أصحابي فقلت: جئتمكم بعجيبة، فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان عليٌّ

محدّثاً، فقالوا: ما صنعت شيئاً، ألا سألته من كان يُحدّثه، فرجعت إليه فقلت: إنّي حدثت أصحابي بما حدثتني فقالوا: ما صنعت شيئاً ألا سألته من كان يُحدّثه؟ فقال لي: يُحدّثه ملك، قلت: تقول إنّه نبي؟ فحرك يده - هكذا - أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو ذي القرنين، أو ما بلغكم أنه صلى الله عليه وآله قال: وفيكم مثله).

المصدر الرابع: الروح

من مصادر علم الأئمة عليهم السلام هو الروح، وقد عرّفته الروايات بأنّه خلق من خلق الله تعالى كان مع النبي صلى الله عليه وآله ثم هو مع الأئمة من بعده إماماً بعد إمام، وبه يقف النبي صلى الله عليه وآله والأئمة على كثير من المعارف الإلهية، وبواسطته يكون التسديد والعصمة.

وليس بوسعنا إدراك حقيقة وكنه هذه الروح، فإنه أمر مستصعب، فلا نتعدى مقدار ما أفادته الروايات والتي هي روايات كثيرة تفوق حدّ الاستفاضة.

المصدر الخامس: الالهام

من مصادر علم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هو ما يُعبر عنه بالالهام وعرفوه بإلقاء المعاني والحقائق والمعارف في القلب بطريق الفيض الإلهي أي بلا اكتساب، وهذا الطريق هو المعبر عنه في الروايات بالقذف والنكت في القلوب.

وقد فسّر المراد من الوحي في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فِإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِمَّنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشورى/ ٥٢ بالالهام والفيض الإلهي، فعرفت به أن ابنها موسى سيرده الله إليها وإنه سوف يكون من المرسلين، وتلك من الحقائق المودعة في مكنون الغيب، ولم تكن أم موسى من الأنبياء، ورغم ذلك ألهمت هذه الحقيقة الغيبية.

علم الامام الرضا*

اتفقت أقوال المعاصرين والمؤرخين

على أنه عليه السلام كان أعلم أهل الأرض ولعل أول ما يبرز في هذا الخصوص اعتراف المناوئين له بعلمه ومنهم المأمون العباسي الذي قال: (إني نظرت في ولد العباس وعلي فلم أجد مثل علي الرضا في علمه ودينه ولا أحق وأفضل منه)

أولاً: اقوال بعض العلماء في علم

الامام الرضا عليه السلام

فقد كان الأمام الرضا عليه السلام بإجماع المؤرخين والرواة- أعلم أهل زمانه، وأفضلهم، وأدراهم بأحكام الدين، وعلوم الفلسفة، والطب، وغيرها من سائر العلوم.

وقال إبراهيم بن العباس الصولي: (ما رأيت الرضا سيئاً عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه وكان جوابه كله انتزاعاً من القرآن المجيد).

وقال القائد العباسي رجاء بن أبي

الضحك الذي بعثه المأمون لاستدعاء الإمام الرضا من مدينة جده: (والله ما رأيت رجلاً كان أتقى لله منه، ولا أكثر ذكراً له في جميع أوقاته ولا أشد خوفاً لله عز وجل... كان لا ينزل بلداً إلا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم، فيجيبهم ويحدثهم الكثير عن آبائه عن علي عن رسول الله ﷺ فلما وردت على المأمون سألتني عن حاله في طريقه فأخبرته بما شاهدته منه في ليله ونهاره وطمعته وأقامته، فقال: بلى يا ابن أبي الضحك هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم).

وقال ابن الجوزي في تذكروته والحاكم في تاريخه: (لقد أخذ العلم والحديث عن أبيه، وكان يجلس في مسجد رسول الله ﷺ فيفتي الناس وهو ابن نيف وعشرين سنة).

وقال ابن تيمية: (علي بن موسى له من المحاسن والمكارم المعروفة والمباح المناسبة للحالة اللائقة به ما يعرفه بها أهل المعرفة)

وقال ابن الصباغ المالكي: (مناقب علي بن موسى الرضا من أجل المناقب وإمداد فضائله وفواضله متواليه كتوالي الكتائب وعجائب أوصافه من غرائب العجائب وسؤدده ونبله قد حل من الشريف في الذروة والغالب) كان المأمون العباسي يعقد مجالس المناظرة ويدعو المسلمين والمتكلمين وعلماء الأديان الأخرى وأصحاب الدعوات ويدعو الإمام الرضا عليه السلام للمحاججة والحوار، فلا يخرج هؤلاء من المناظرة إلا وقد أقروا بعلم الإمام عليه السلام وفضله عليهم ويعبر الإمام الرضا عليه السلام عن هذه الحقيقة بقوله: كنت أجلس في الروضة والعلماء متوافرون فإذا أعيأ الواحد منهم مسألة أشاروا إلى أجمعهم وبعثوا إلي بالمسائل فأجبت عنها.

ابن الصباغ المالكي: «قال إبراهيم بن العباس: سمعت العباس يقول ما سئل الرضا عن شيء إلا علمه، ولا رأيت اعلم منه بما كان في الزمان إلى

وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي»^(١٠)

قال سليمان الجعفري: «كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام والبيت مملوء من الناس يسألونه وهو يجيبهم فقلت في نفسي: ينبغي أن يكونوا أنبياء فترك الناس ثم التفت إليّ فقال: يا سليمان ان الأئمة حلما علماء يحسبهم الجاهل أنبياء وليسوا أنبياء»^(١١)

ثانياً: بعض الوقائع الدالة على علمه عليه السلام

١_ علم الامام بالأنواء الجوية

وقال: (خرجنا معه الى بعض املاكه في يوم لا سحاب فيه فلما برزنا قال: هل حملتم معكم المطر؟ قلنا: لا وما حاجتنا الى المطر وليس سحابٌ ولا نتخوف المطر، قال: قد حملته وستمطرون، قال: فما مضينا الاّ يسيراً حتى ارتفعت سحابة ومطرنا فما بقي منا أحد الاّ ابتل) ^(١٢)

٢_ معجزة تده كالأخبار،

تميّز الإمام الرضا عليه السلام، بمقدرته على مخاطبة كل قوم بلغته، وهذا قد تظافت به الروايات الواردة عن مَن كان يتواصل معه:

يقول اسماعيل السندي: سمعت بالهند أنّ الله في العرب حجّة، فخرجت في طلبه، فدلت على الرضا عليه السلام فقصدته، وأنا لا أحسن العربية، فسلمت عليه بالسندية، فردّ عليّ بلغتي، فجعلت أكلمه بالسندية، وهو يرده عليّ بها، وقلت له: إنّي سمعت أنّ الله حجّة في العرب، فخرجت في طلبه، فقال: أنا هو، ثمّ قال لي: سلّ عمّا أردته، فسألته عن مسائل فأجابني، عنها بلغتي. ^(١٣)

الوضع الاقتصادي للدولة العباسية في عهد المأمون

اتسم العصر العباسي الذي امتاز بكثرة الأزمات الاقتصادية وتعددت أسبابها مثل الصراعات والفتن السياسية وأهمها الصراع بين الأمين

والمأمون سنة (١٩٣ هـ / ٨٠٨ م) والذي استمر لمدة خمس سنوات وكلف الدولة أموالاً طائلة حتى أفلست الخزينة في عهد الخليفة الأمين، ثم سيطر الأتراك على الخلافة وإسرافهم ومحاربتهم الخلفاء، والاضطراب السياسي في فترة التسع سنوات من (٢٤٧-٢٥٦ هـ / ٨٦١-٨٦٩ م) صاحبه اضطراب اقتصادي وكادت الخلافة أن تسقط بيد الأتراك.

وظهور حركة الزنج في البصرة سنة (٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) والتي استمرت خمسة عشر عاماً كلفت الدولة وتسببت في إفلاس الخزينة، واضطر الأمير الموفق بالله إلى استقراض الأموال من التجار والكتاب والعمال.

ثم الأزمة الاقتصادية في عهد الخليفة المعتضد بالله الذي حكم سنة (٢٧٩-٢٨٩ هـ / ٨٩٢-٩٠١ م) الذي وجد بيت المال خاوياً، وليس موجوداً فيه مال ولا ذهب. ويذكر "ان الخليفة المعتضد بالله اراد تجهيز

جيش فعجز عن ذلك بيت مال العامة فأخبر بمجوسي له مال عظيم فاستدعاه يستقرض منه على ان يعيده له، فقال له: مالي بين يديك يا أمير المؤمنين فلتأخذ ما تشاء، فقال: من اين عرفت اننا نرده لك، فقال المجوسي: يا أمير المؤمنين يأتناك الله تعالى على عباده وبلادهم فتؤدي الأمانة وتفويض العدل، وتحكم بالحق، واخاف على جزء من مالي؟ فدمعت عيناه فقال: انصرف قد وفر الله عز وجل مالك وأغاننا عن القرض منك" (١٤).

ثم إسراف الخليفة المقتدر بالله وتبذيره كان سبباً في حدوث أزمة اقتصادية في عصره، فضلاً عن اضطراب الوضع السياسي وعدم استقرار الخلافة، واعمال السلب والنهب التي يقوم بها الجند أثناء فترات الفوضى السياسية، واستغلال خلع وتنصيب خليفة جديد، فيقومون بسلب ذخائر الخلفاء وممتلكاتهم، فضلاً عن ذلك استقلال الأطراف عن

جسم الخلافة العباسية مثل دولة الاغالبية ودولة الادارسة والدولة الصفارية والدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر.

ولجأت الدولة في العصر العباسي من اجل حل الأزمة الاقتصادية إلى ضرب الأواني من الذهب والفضة وتحويلها إلى عملة أو سك عمله رديئة، والاهتمام بالزراعة ومصادرة أموال عدد كبير من الوزراء الكتاب والعمال والأثرياء بسبب ثرائهم الفاحش واستغلالهم أموال الدولة.^(١٥)

أولى الأزمات الاقتصادية خطيرة هي في عصر الخليفة الأمين وبحدود سنة (١٩٧هـ / ٨١٢ م)، وكان السبب المباشر لها هو الحرب بين الأخوين الأمين والمأمون والتي امتدت بين سنة (١٩٣ هـ) إلى (١٩٨ هـ) والتي انتهت بمقتل الخليفة الأمين، وفي أثناء الحرب نفذت الأموال التي كانت في خزينة الدولة

عندها اضطر الخليفة الأمين من اجل تأمين ودفع مرتبات الجند وإدامة واستمرارها، ومن اجل معالجة الأزمة اضطر الخليفة الأمين إلى ضرب أواني الذهب والفضة التي يمتلكها وجعلها نقوداً، والمعروف ان النقود هي بمثابة الدم الذي يضخه القلب في أي نشاط اقتصادي، ولهذا نجد ان الأزمة الاقتصادية الحالية سببها عدم التزام البنوك بموضوع السيولة النقدية وهدفها هو الربح^(١٦).

فضلاً عن إسراف الخليفة الأمين الذي أمر بعمل خمس حراقات وهي نوع من السفن فيها مرامي للنيران، أمر بعملها على صورة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس، أنفق مالياً عظيماً بلغ على أحدهما ثلاثة ملايين درهم، ثم بناء عدة قصور^(١٧).

ويذكر ان الخليفة الأمين بذر الأموال التي جمعها لخليفة أبو جعفر المنصور والخليفة هارون الرشيد، حتى لم يبق له من ذخائر الخلفاء إلا أنفقه،

فلما اشتد به الحصار أمر أحد قواده أن يتبع أصحاب الأموال والودائع والذخائر^(١٨)، وهرب الناس خوفاً على أموالهم بحجة الحج^(١٩).

الإشارات الاقتصادية في كلام الامام الرضا عليه السلام

ان الامام الرضا عليه السلام هو حلقة في سلسلة اهل أئمة اهل البيت عليه السلام، المكملين لرسالة النبي الاكرم في تبليغ الرسالة السماوية التي ختمت الأديان وجعلت من نبوة النبي هو خاتم الأنبياء عليه السلام، وهؤلاء الائمة هم الميراث الفعلي والعملي للنبي الاكرم صلوات ربي عليه فهم عالمين غير معلمين وورثوا العلم والأخلاق واحد بعد واحد فكانوا التجسيد العملي للقران، ورغم اختلاف الأزمنة بينهم واختلاف الأدوار فكان المنهج واحد (وحدة الهدف واختلاف الدور) ومن الطبيعي ان يهتموا بأمر اقتصادي في حال ان الامر تطلب ذلك، لذلك نرى ان الائمة جميعا

لديهم إشارات اقتصادية في احاديثهم وبما يتلاءم مع الفهم السائد آنذاك (كلموا الناس على قدر عقولهم) وان امامنا الرضا عليه السلام أشار أيضا في بعض احاديثه المقدسة حول بعض الأمور الاقتصادية والتي يرى انه من الضروري ان يقوم الامر آنذاك.

أشار الامام الى عدة أمور اقتصادية مهمة ومن تلك الإشارات هي:

أولاً: سوء الحالة الاقتصادية وتدني مستوى المعيشة

لقد كانت الحالة الاقتصادية العامة للبلاد في ذلك العصر غير مستقرّة، وذلك بالرغم من الإمكانيات الهائلة التي توفّرت أمام الدولة^(٢٠)، من خيرات الأرض والسماء، وعمل الإنسان، وسعة مال الخراج، الذي بلغت وفّرت ذات مرّة حدّاً أنهم كانوا يضطّرون فيه إلى القيام بعمليات وزن المال؛ بسبب عدم القدرة على عدّه، فكانوا يقولون مثلاً: إنه ستّة آلاف قنطار من الذهب^(٢١). لكن تلك

هذه السياسات الظالمة^(٢٥)، التي انتهجها حُكَّام العصر العباسي^(٢٦)، حالة ضاغطة من البؤس والحرمان والفقر والجوع على الفرد والمجتمع ككل، أدت في محصِّ لمتها النهائية (المساوية) إلى هُدْر طاقات الأمة وثرواتها وقدراتها وذخائرها المعنوية والمادية، وإساءة استخدام وسائل الحكم وإدارة شؤون الناس في داخل الأمة وخارجها.

ثانياً: الخراج

فَصَّل الامام الرضا عليه السلام حكم الخراج في الأراضي وفي حديثه مع أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: ذكرت لأبي الحسن الرضا عليه السلام الخراج وما سار به أهل بيته فقال: العشر ونصف العشر على من أسلم طوعاً تركت أرضه في يده وأخذ منه العشر ونصف العشر فيما عمر منها وما لم يعمر منها أخذه الوالي فقبله ممن يعمره و كان للمسلمين وليس فيما كان أقل من خمسة اوساق شيء و ما اخذ

الأموال الضخمة والثروات الهائلة لم تكن موضوعاً في خدمة عامة الناس؛ من أجل تطوير حياتهم، وتحسين مستوى معيشتهم، بل كان الحُكَّام والسلاطين يتصرَّفون فيها بحَسَب أمرجتهم^(٢٢)، وينفقونها على حواشيهم ومحاسبيهم وأهوائهم وشهواتهم^(٢٣) ولياليهم الحمراء، أو على بناء القصور والعمارات الفارهة^(٢٤)، وتمكين الجيوش من السيطرة على المجتمع. ومن المؤسف أن هذه الأموال الوفيرة لم تُنْفَقْ على تحسين أوضاع المسلمين، وتطوير حياتهم، وإنَّما كان الكثير منها يصرف على الشهوات والمُلذَّات الشخصية للحكَّام ومَنْ لَفَّ لفيفهم. وقد عكست تلك الإنفاقات الهائلة حالة جنون البَدْخ والتَّرَف، الذي عاشته بغداد في ذلك العصر، وروَّته حكايا وقصص (ألف ليلة وليلة)، التي مثَّلت حياة اللُّهُو والغَرْق في الشهوات.

لقد كان من الطبيعيّ جدّاً أن توجد

يقول فيه: (اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات، الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وهذه الساعة تقدر على الثلاث ساعات)^(٢٩).

ويقول الإمام عليه السلام: (وساعة لأمر المعاش)، أي على العبد أن يخصص جزءاً من وقت يومه وليلته لكسب الرزق، والسعي في مناكب هذه الأرض، وذلك لتوفير أمر معاشه مما يحتاجه لنفقه ونفقة عياله، من مأكّل وملبس ومشرب وغيرها من الاحتياجات الضرورية والكمالية.

وقال الإمام عليه السلام: لا تدعوا العمل الصالح والاجتهاد في العبادة، اتكالا على حب آل محمد عليهم السلام، لا تدعوا حب آل محمد عليهم السلام والتسليم لأمرهم، اتكالا على العبادة، فإنه لا يقبل أحدهما دون الآخر^(٣٠).

بالسيف فذلك الى الامام يقبله بالذي يرى كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله بخير قبل ارضها ونخلها و الناس يقولون: لا تصلح قبالة الأرض والنخل اذا كان البياض اكثر من السواد وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله خير وعليهم في حصصهم العشر ونصف العشر^(٢٧).

ثالثا: الحث على العمل

ان العمل الفردي هو اللبنة الأولى في الاقتصاد، وكذلك هو أساس اعالة العائلة وديمومة المجتمع، لذلك حث النبي الاكرم صلوات ربي وسلامه عليه والائمة عليهم السلام ومنهم الامام الرضا عليه السلام على العمل وفضل العامل على غيره، الأحاديث كثيرة ومستفيضة جدا في هذا الشأن وعلى سبيل المثال لا الحصر، رواية عن الامام جعفر الصادق عليه السلام يقول فيها (الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله)^(٢٨)، لكن هنا نورد الأحاديث التي جاءت عن طريق الامام الرضا عليه السلام ومنها:

في حديث عن الإمام الرضا عليه السلام

رابعاً: مساعدة المحتاجين (الصدقة)

ان الإسلام سبق العالم كله في موضوع الضمان الاجتماعي لكن بطريقة تتناسب مع الزمن الذي يعيشه المسلمون آنذاك وهي الصدقات والزكاة والخمس وغيرها، ففي موضوع الخمس، حث الإسلام ومنهم الامام الرضا على هذا الامر الذي يضمن ان تجد عائلة الفقير والمحتاج الذي لم يجد عمل يسد به رمق حياته، لقمة له ولعائلته، وجعل امر الانفاق عليهم من اشد المستحبات حتى ان امير المؤمنين تصدق بخاتمة (لأنه لا يملك غيره) وهو يصلي، وهنا لنا ان ننتبه انه عليه السلام لم يمنع الواجب وهو أداء الصلاة من المستحب وهو الصدقة، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣١)، وفي حديث اخر، محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن علي، عن

محمد بن عمر بن يزيد قال: أخبرت أبا الحسن الرضا عليه السلام إني أصبت بابنين وبقي لي بني صغير، فقال: تصدق عنه، ثم قال حين حضر قيامي: مر الصبي فليصدق بيده بالكسرة والقبضة والشيء وإن قل، فان كل شيء يراد به الله وإن قل بعد أن تصدق النية فيه عظيم، إن الله عز وجل يقول: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾^(٣٢) وقال: ﴿فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام في يوم ذي مسغبة * يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة﴾^(٣٣) علم الله أن كل أحد لا يقدر على فك رقبة فجعل إطعام اليتيم والمسكين مثل ذلك، تصدق عنه.

وعن علي بن محمد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن غير واحد، عن علي بن أسباط، عن الحسن بن جهم قال: قال أبو الحسن عليه السلام لإسماعيل بن محمد وذكر له ابنه^(٣٤): صدق عنه، قال: إنه رجل، قال: فمره أن يتصدق ولو

بالكسرة من الخبز.

وإنَّها سُمِّيتِ پسنديده لأنَّ الرضا ارتضاه من بين الناس -، فلمَّا نزلها زرع في جانب من جوانب الدار لوزة، فنبتت وصارت شجرة فأثمرت في كلِّ سنة، وكان أصحاب العلل يستشفون بلوز هذه الشجرة، وعُوفِي صاحب قولنج وأعمى وغير ذلك) (٣٦)

ففي الحديث أعلاه حث الامام على الزراعة فعلا لا قولاً، واران لهم ان تكون لهم سنة في الحياة وهي زراعة الأشجار وهذا الامر لازال الى اليوم ان الجمهورية الإسلامية مهتمة جدا بهذل الامر حتى ان السيد القائد الامام الخامنئي يخرج سنويا لزراعة الأشجار.

وعنه أيضا

عن أبي هاشم الجعفري، قال: لما بعث المأمون رجاء بن أبي الضحاك، لحمل أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، على طريق الأهواز، لم يمر على طريق الكوفة، فبقى به أهلها وكنن بالشرقي من آبيدج "ايذه"

خامسا: التوسع على العيال

في حال ان المسلم كانت له بحبوحة من المال والرزق من عملة الجيد، دعا الامام الرضا الى التوسع في النفقة على العيال وهذا حتما ينعكس إيجابا على الاقتصاد العام لان الانفاق يعني حركة الأموال بالسوق وبالتالي يفيد الاقتصاد، والحديث هو: (عن الصدوق قال: وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: ينبغي للرجل أن يوسع على عياله) (٣٥).

خامسا: الحث على الزراعة

ان اهم قطاع اقتصادي في ذلك الزمن هو الزراعة، لانها تدخل في قوت الانسان بشكل مباشر، حيث روي:

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: لمَّا دخل الرضا عليه السلام نيسابور، ونزل محلَّة «فور» في دار تُعرف بدار «پسنديده» أي المرتضى -

ثم قال لي عليه السلام: "يا أبا هاشم دونك القوم".

فقمتم وإذا الجوخان والرجل الأسود، قال: فسأناه فأوماً إلى ظهره، فإذا قصب السكر، فأخذنا منه حاجتنا ورجعنا إلى الجوخان، فلم نر صاحبه فيه فرجعنا إلى الرضا عليه السلام، فحمد الله.

فقال لي الطبيب: ابن من هذا؟

قلت: ابن سيد الأنبياء.

قال: فعنده من أقاليد النبوة شيء؟

قلت: نعم. ولقد شهدت بعضها، وليس بنبي.

قال: وصي نبي؟

قلت: أما هذا، فنعم.

فبلغ ذلك رجاء بن أبي الضحاك فقال لأصحابه: لئن أقام بعد هذا ليمدن إليه الرقاب، فارتحل به عليه السلام من الأهواز، وتقول المصادر التاريخية أن سبب مرض الإمام عليه السلام، هو طقس الأهواز الحار والرطب جدا.

موضع، فلما سمعت به سرت إليه بالأهواز وانتسبت له، وكان أول لقائي له، وكان مريضاً، وكان زمن القيظ.

فقال عليه السلام: "ابغني طبيبا".

فأتيته بطبيب، فنعت له بقله، فقال الطبيب، لا أعرف أحدا على وجه الأرض يعرف اسمها غيرك، فمن أين عرفتُها ألا إنها ليست في هذا الأوان، ولا هذا الزمان.

قال له: فابغ لي قصب السكر.

فقال الطبيب: وهذه أدهى من الأولى، ما هذا بزمان قصب السكر.

فقال الرضا عليه السلام: "هما في أرضكم هذه، وزمانكم هذا، وهذا معك فامضيا إلى شاذروان الماء، واعبراه فيرفع لكم جوخان [أي بيدر = محل الشعير أو الخنطة]، فاقصداه فستجدان رجلا هناك أسود في جوخانه فقولا له: أين منبت القصب السكر؟ وأين منابت الحشيشة الفلانية؟".

سادسا: التجارة

التجارة هي ثاني اهم قطاع اقتصادي في الإسلام بعد الزراعة وكانت الجزيرة والمسلمون يعملون بها، وحتى النبي الاكرم مارس التجارة، وتوجد إشارات مهمه عن الامام الرضا في ذلك وهي:

عن الطبرسي مرسلا عن الرضا عليه السلام قال أتى أخوان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله إنا نريد الشام في تجارة فعلمنا ما نقول؟ قال صلى الله عليه وآله: بعد إذا أويتما إلى منزل فصليا العشاء الآخرة، فإذا وضع أحدكما جنبه على فراشه بعد الصلاة، فليسبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام وليقرأ آية الكرسي فإنه محفوظ من كل شيء وإن لصوصا تبعوهما، حتى نزلا فبعثوا غلاما لينظر كيف حالهما ناموا أم مستيقظون فانتهي الغلام عليهم وقد وضع أحدهما جنبه على فراشه وقرأ آية الكرسي وسبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام.

قال: فإذا عليهما حائطان مبنيان

فجاء الغلام فطاف بهما فكلما دار لم ير إلا حائطين فرجع إلى أصحابه، فقال: لا والله ما رأيت إلا حائطين مبنيين، فقالوا أحزاك الله لقد كذبت بل ضعفت وجبت فقاموا فنظروا فلم يجدوا إلا حائطين مبنيين فداروا بالحائطين فلم يروا إنسانا فانصرفوا إلى موضعهم، فلما كان من الغد جاؤوا إليهما، فقالوا: أين كنتما؟ فقالا: ما كنا إلا ههنا، ما برحنا، فقالوا: لقد جئنا فما رأينا إلا حائطين مبنيين فحدثانا ما قصتكما؟ فقالا: أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله فعلمنا " آية الكرسي " وتسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، ففعلنا، فقالوا: انطلقا فوالله لا يتبعكما أبدا ولا يقدر عليكم لص بعد هذا الكلام. (٣٧)

وفي رواية أن الإمام الرضا عليه السلام: "كان يكتب على المتاع بركة لنا". (٣٨)

سابعا: الخراج

ان الخراج يعد العمود الفقري في ايراد الدولة آنذاك، ولأهميته القصوى تدخل الامام الرضا عليه السلام في تصحيح

اجراء هذا الموضوع المهم، والرواية تنص:

صحيحة أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: ذكرت لأبي الحسن الرضا عليه السلام الخراج وما سار به أهل بيته فقال: (العشر ونصف العشر على من أسلم طوعا وتركت أرضه بيده إلى أن قال: وما اخذ بالسيف فذلك إلى الامام يقبله بالذي يرى، كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر قبل أرضها ونخلها، والناس يقولون لا تصلح قبالة الأرض والنخل إذا كان البياض أكثر من السواد، وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله خيبر) (٣٩)

الحديث الثاني: صحيح. قوله عليه السلام: وكان للمسلمين كان هذا تقيية منه عليه السلام، لأنه له خاصة دون سائر المسلمين. قوله عليه السلام: قبل أرضها ونخلها يظهر من هذا الخبر أن القبالة عقد يشمل المزارعة والمساقاة. ويظهر من بعض الأخبار شمولها للإجارة، وقد ذكر أكثر الأصحاب لفظ التقبيل في صيغ

المزارعة والمساقاة، ولم يصرحوا في الإجارة به، لكن أجروا عليها لفظ التقبيل، كقولهم: من تقبل عملا فله تقبيله غيره بأقل مما تقبله به. قوله عليه السلام: والناس يقولون إشارة إلى خلاف بعض العامة، كابن عمر وأضرابه والشافعي وأصحابه. قال في التذكرة: المزارعة وهي المعاملة على الأرض بحصة ما يخرج منها. (٤٠)

النتائج والاستنتاجات

ان الائمة الذي هم قادة الامة والدالين على الله كانوا مهتمين في كل شيء يخص الدنيا والاخرة ومن تلك الاهتمامات هي الأمور الاقتصادية رغم بساطتها في ذلك الزمان، ومن تلك الأمور التي اعتنى بها أئمة اهل البيت عليهم السلام هو الاقتصاد في معظم فروعهم، وكان لإمامنا الرضا عليه السلام إشارات مهمه جدا في الاقتصاد وخصوصا في اهم قطاعين تخص الاقتصاد وهي الزراعة والتجارة وقد جسد ذلك عمليا في الزراعة وحثها

وبارك فيها فيما يخص التجارة.

وهذا يدل على اهتمام الامام
بالاقتصاد وهو أيضا عالم بأهميته لما
يدخل في صلب الحياة العادية
للمواطن ولما فيه عز الأمم والشعوب
بالاكتفاء الذاتي مما تنتج.

التوصيات

ان إظهار الجانب الاقتصادي من
حياة النبي الاكرم او الائمة
الاطهار عليهم السلام، لم تولى الاهتمام الكافي
وبالتالي نوصي الباحثين الى الاعتناء
بهذا الجانب وإبراز علم الائمة في
الجانب الاقتصادي رغم ان زمانهم لم
تكن المفاهيم الاقتصادية الحالية لكن
الإشارات كثيرة ومهمة جدا.

المصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- لسان العرب ١١/١٧٩ والقاموس المحيط
ص ٣٩٦ والمصباح المنير ص ٥٠٤ مادة
قصد.
- ٣- كمال توفيق حطاب، خصائص المرجع
النموذجي في الاقتصاد الإسلامي، جامعة
اليرموك- الأردن، ٢٠١٧
- ٤- بحار الأنوار، العلامة المجلسي

٥- الفيض الكاشاني، علم اليقين في أصول
الدين

٦- هاشم معروف الحسني، أصول التشيع
٧- مقاتل ابن عطية، أجبى المداد في شرح مؤتمر
علماء بغداد

٨- ابن الصباغ، ابن الصباغ
٩- محمد بن علي بن شهر آشوب، مناقب ال
اب طالب

١٠- الشيخ الطبرسي، اعلام الوري

١١- المجلسي، بحار الأنوار

١٢- ابن الجوزي، المنتظم

١٣- أحمد إسماعيل عبد الله الجبوري، تاريخ
الأزمات الاقتصادية الإسلامية الأسباب
والمعالجات - العصر العباسي أنموذجاً -،
كلية التربية / جامعة الموصل — العراق.

١٤- ابن الأثير، الكامل في التاريخ

١٥- المسعودي، مروج الذهب

١٦- المسعودي، مروج الذهب

١٧- القرشي، حياة الإمام الرضا

١٨- مسند الإمام الرضا عليه السلام - الشيخ عزيز
الله عطاردي

١٩- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار

٢٠- الكليني، الكافي

٢١- الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي
بن الحسين بن بابويه القمي، من لا يحضره
الفقيه

٢٢- الشيخ رضي الدين الطبرسي، مكارم
الأخلاق

٢٣- حر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل
الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة

٢٤- العلامة المجلسي، ملاذ الأخيار في فهم

الهوامش:

كلية التربية / جامعة الموصل — العراق.
[١٦] ابن الأثير، الكامل في التاريخ:
٢٧١ / ٥؛ المسعودي، مروج الذهب:
٤٠٣ / ٣.

[١٧] ابن الاثير، الكامل في التاريخ:
٢٩٤ / ٥.

[١٨] المسعودي، مروج الذهب: ٤٠٨ / ٣.

[١٩] المصدر نفسه: ٤٠٨ / ٤

[٢٠] قُدِّرَت واردات الدولة في عهد الإمام
الرضا عليه السلام من الخراج وحده بحوالي ٤٠٠
مليون درهم. (راجع: القرشي، حياة
الإمام الرضا عليه السلام ٢: ١٧٩ - ١٨٠).
والرقم ٤٠٠ مليون درهم ذكره ابن
خلدون في مقدّمته: ١٨٠.

[٢١] القرشي، حياة الإمام الرضا، ٢: ١٩٠.

[٢٢] يذكر ابن الأثير في تاريخه ٦: ٤٣٤، أن
المأمون كان في دمشق، فأصابته ضائقة
مادية اقتصادية فحملت إليه كمية من الماء
قدرت بحوالي ثلاثين مليون درهم من
مال الخراج، فأمر المأمون بإنفاق ٢٤
مليون درهم منها على أصحابه، والباقي
أنفقه على جنده.

[٢٣] كان الإسراف والتبذير ظاهرة طبيعية
سائدة عند ملوك بني العباس. فقد بنى
المهدي منتزهاً أنفق عليه ٥٠ مليون
درهم، وصرف المتوكل على قصره
المعروف بالمحوزة ٥٠ مليون درهم،
وعلى قصره المعروف بالعروس ٣٠
مليون، وعلى البهّو ٢٥ مليون درهم. ومن
الألوان والأشكال الأخرى للبخ
والإسراف الكبير الذي تفنّن فيه حكام

[١] انظر: لسان العرب ١١/ ١٧٩ والقاموس
المحيط ص ٣٩٦ والمصباح المنير ص ٥٠٤
مادة قصد.

[٢] انظر: لسان العرب ٣/ ٤٢٤.

[٣] كمال توفيق حطاب، خصائص المرجع
النموذجي في الاقتصاد الإسلامي، جامعة
اليرموك - الأردن، ٢٠١٧.

[٤] الأنبياء: ٧٣

[٥] بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٢،
ص ١٣.

[٦] بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٢،
ص ١٣.

[٧] الفيض الكاشاني، علم اليقين في أصول
الدين، ص ٧٢٨.

[٨] هاشم معروف الحسني، أصول التشيع،
ص ٢٤١.

[٩] مقاتل ابن عطية، أمهى المداد في شرح
مؤتمر علماء بغداد، ج ١، ص ٥٣٠.

[١٠] ابن الصباغ، الفصول المهمة ص ٢٥١.

[١١] محمد بن علي بن شهر آشوب، المناقب
ص ٣٣٤.

[١٢] الشيخ الطبرسي، اعلام السورى
ص ٣٢٣-٣٢٦.

[١٣] المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٥٠.

[١٤] ابن الجوزي، المنتظم: ١٣٦ / ٥.

[١٥] أحمد إسماعيل عبد الله الجبوري، تاريخ
الأزمات الاقتصادية الإسلامية الأسباب
والمعالجات - العصر العباسي أنموذجاً -،

الدولة العباسية، والمذكور في بطون الكتب التاريخية، قصة زواج المأمون ببوران، حيث بلغت تكاليف ونفقات هذا العرس أكثر من ٤٨ مليون درهم. وقد قيل في ذلك الشيء الكثير (راجع: تاريخ ابن الأثير ٦: ٣٦٤؛ ابن الساعي البغدادي، نساء الخلفاء: ٦٨؛ حميد بن احمد المحلي، الحدائق الوردي ٢: ٢٢٠؛ داوود بن عمر الأنطاكي، تزيين الأسواق: ٣ - ١٧). ويبدو أن هذا الإسراف والهدر الكبير الذي جرى في ثروات الأمة ومقدراتها ومواردها الجبارة والهائلة من قبيل فئة مفسدة وظالمة من الحكام والفراعنة والحواشي والتابعين لهم ما زال يجري، ويفعل فعله تمزيقاً وتفتيتاً في طاقات أمتنا العربية الإسلامية حتى يومنا هذا؛ إذ لا يكاد يمر يوم إلا ونسمع فيه - في إعلامنا المقروء والمسموع والإلكتروني - عن قضايا وفضائح الفساد والاختلاس والنهب والسرقة، وبأرقام تصل إلى حد الخيال، يقوم بها مسؤولو هذه الدولة العربية أو تلك، حتى وصلت المسألة إلى مرحلة أصبحت فيها أخبار الفساد والإفساد التزوير والبذخ والإسراف الموثقة جداً أموراً طبيعية للغاية. وكل ذلك يجري للأسف على مرأى ومسمع الشعب كله، ومرأى ومسمع وزارات العدل والداخلية والشرطة وهيئات الرقابة والتفتيش العربية وغيرها. وإذا كان المأمون قد صرف على نفسه كل هذا المبلغ الضخم من المال فإن الكثير من

حكّامنا ورؤسائنا وحواشيهم (ومن لف لفهم) من أصحاب الجلالة والفضامة والسيادة فاقوا وبزوا المأمون بزاً في هذه المسألة الإفسادية. وإذا كانت أرقام المأمون - وغيره من حكّام البيت العباسي - قد وصل إلى الحد المليوني فقط فإن أرقام هؤلاء قد تجاوزت المئات من المليارات بكثير، بددوها وأنفقوها على شراء الضمائر والدّمم ومواقع النفوذ والتأثير، أو وهبوا للمطربين والمغنين على طريق الأهواء والشهوات والعبث بمقدرات البلاد والعباد، أو سلّموها إلى المستعمرين الجذّذ؛ حفاظاً على كراسيهم وعروشهم ونهبهم لبلدانهم.

[٢٤] تضحّت الثروات الهائلة عند بعض الناس، خصوصاً في بغداد عاصمة العالم الإسلامي آنذاك، فقد وجدت فيها طبقة غنية ومترفة في غناها كانت تملك الملايين. وكذلك البصرة؛ فقد ضمت طبقة كبيرة من أهل الثراء العريض والفاحش، وكانت البصرة تُعمر العراق، والمركز التجاري الخطير الذي يصل بين الشرق والغرب، وتستقبل متاجر الهند، وجزر البحار الشرقية، ومن أجل ذلك سُمّيت البصرة أرض الهند وأمّ العراق.

[٢٥] وثق المؤرخون وقائع وحوادث كثيرة من هذه المظالم، نذكر منها: ما فرضه هؤلاء الحكام من ضرائب باهظة حتى على تركة الأموات. وقيل في ذلك شعراً، لابن المعتز، يصور فيه معاناة الناس من جرّاء ذلك. (راجع كتاب: الحضارة الإسلامية

- [٣٥] الفقيه: ٢ - ٣٩.
- [٣٦] مسند الإمام الرضا (عليه السلام):
ج ١، ص ٥٧. عن تاريخ نيسابور للحاكم
النيسابوري.
- [٣٧] الشيخ رضي الدين الطبرسي، مكارم
الأخلاق: ٢٩٢.
- [٣٨] من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٢٠١.
- [٣٩] الوسائل ج ١١ الباب ٧٢ من أبواب
جهاد العدو الحديث ١، ٢. انظر أيضاً،
الأراضي، الشيخ محمد إسحاق الفياض،
ص ١٩٢.
- [٤٠] ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، ج
٦، العلامة المجلسي، ص ٣٢٨
- ١: ١٩٩). أما بالنسبة للقسوة في أخذ
الخراج - وما تركه ملوك العباسيين من
أموال طائفة اختلسوها من الشعوب
(المسلمة)، وأخذوها بقوة الحديد والنار -
فحدّث عنه ولا حرج. (راجع: الخراج:
١١٦ - ١١٨؛ المسعودي، مروج الذهب
٣: ٣١٨؛ البدء والتاريخ ٦: ٩٢؛
وغيرها).
- [٢٦] أرّخ كثير من شعراء العصر العباسي لهذه
المرحلة التاريخية. فيها هو أبو العتاهية
يحدّثنا - شاكياً باكياً - عمياً كانت عليه
العامة من البؤس والشقاء، يقول:
مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي الـ *** إمام نصائح متوالية
إِنِّي أَرَى الْأَسْعَارَ *** أسعار الرعية غالية
وَأَرَى الْمَكَاسِبَ نَزْرَةً *** وأرى الضرورة
فأشبهه
وَأَرَى هُمُومَ الدَّهْرِ *** رائحة تمرّ وغاديه
ومصيبات الجوع إذ *** تسمي وتصبح طاويه
مَنْ لِلْبَطُونِ الْجَائِعَاتِ *** ت وللجسوم العارية
[٢٧] مسند الإمام الرضا عليه السلام - الشيخ عزيز
الله عطاردى - ج ٢ - الصفحة ١٣٨.
- [٢٨] الكافي ٥/ ٨٨.
- [٢٩] بحار الأنوار ٧٥/ ٣٢١.
- [٣٠] بحار الأنوار / جزء ٧٥ / صفحة
(٣٤٧)
- [٣١] القرآن الكريم، المائدة ٥٥.
- [٣٢] القرآن الكريم، الزلزلة ٩٩: ٧ - ٨.
- [٣٣] القرآن الكريم، البلد ٩٠: ١١ - ١٦.
- [٣٤] الكافي ٤: ٦ / ٨. ينظر أيضاً، وسائل
الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٩
- الصفحة ٣٧٦